سنتان في كردستان

١٩١٨ - ١٩٢٠

تأليف

دبليو . آر . هي

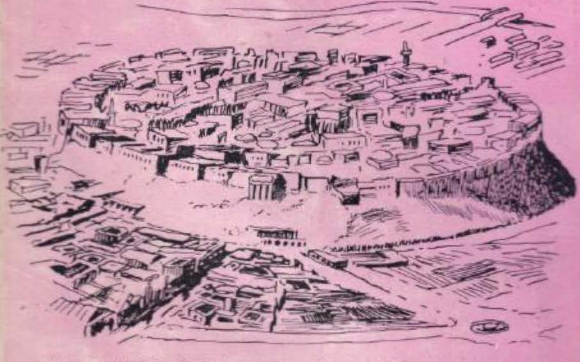
(حاكم أربيل السياسي أيام الاحتلال البريطاني الداير)

ترجمة

فؤاد جميل







الجزء الثاني



١٩١٨-١٩٢٠

تأليف

دبليو. آر. هي

حاكم أربيل السياسي

(أيام الاحتلال الأول)

نقله إلى العربية، حققه، وعلق عليه

فؤاد جميل

الجزء الثاني

من الفصل الثالث عشر الى الفصل الحادي والعشرون

الطبعة الاولى

١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

١٣٩٣/٢٢٠٠ ـ ١٩٧٣.

مقدمة

(الناشر)

أيها القارىء الكريم

ان اول ما تجلوه في هذا الكتاب هو ان (المؤلف) الذي قدر له أن يتبوأ في سنتين من سني الاحتلال البريطاني البغيض لهذا البلد الحر الابي منصب حاكم اربيل السياسي ، قد كلف بالاكراد وموطنهم الذي احب فيه جباله المكللة هاماتها بالثلج الناصع ، ووديانه الخضر . وجداوله المترقرقة ٠٠ كما انه اقام وشائج متينة بحكم منصبه مع بعض متقدميهم باعتبار ان تلك الفترة الزمنيـة كانت تعكس طابـع التحـالف الاسـتعماري ـ الرجعـي المقبور ٠٠٠ وما كان أعدائه بقلة ٠ وقد ذاق من بعضـهم الامرين ٠ وهذا هو نهج الاسـتعباد البريطـاني . فهو يكافيء صدقائه ما دام فيهم نفـع يرتجى ، ويعـاقب عدوه ان كان في ذلك رادع للآخرين ٠٠٠ لقد ذهب الاحتلال البريطاني وذهب معه صدقائه وانقضـت تلك السنون واهلها ، وكانهم احلام ٠٠٠

لقد جعل (المترجم الراحل) وكده في هـذا الكتاب (بجزئيه) نادية (أمانة الترجمة) غير مواربة ، وان يشير الى (اخطاء المؤلف) و (ركوبه مركب الهوى الاسـتعبادي) ٠ ذلك لانه يعتقـد بأن تبعـة السكوت عليها لغليظة ، وان الترجمة الحقيقية ليسـت سـرد لا تعقيب عليه . وانما قوامهـا البحث الدقيـق والتحليـل العميـق ، كي يقرأ (الكتاب المترجم) بكل مكان ، وفي كل زمان ، وعلى تفاوت العصور ، فتتـم بذلك الفـائدة المرجـوة ٠ وأن يكـون فـي جهـده المتواضـع الذي صـبه في اعـداد هـذا الكتاب ما ينفع النـاس ويسـاهم في تعزيز وحدتنا الوطنية للتوصل الى تحقيق اهدافنا السامية في قطرنا المناضل ٠

والله من وراء القصد

بغداد ١٩٧٣/٥/٣٠

جهاد جميل

الفصل الثالث عشر

يوسف بك

ودخلت دار اسماعيل بك يحف بي حشد من الرجال المسلحين، وكان أن رقيت سلما ضيقا جدا ثم أخذ بيدي الى غرفتين افردهما لي • واحدى الغرفتين ، ما كان فيها الا منضدة وكرسيا وقلة من البسط المفروشة أرضا ، كان لي ان اتخذها مكتبا،أنها غرفة مضيئة تلعب الريح فيها ولها نافذتان تطلان على الشارع ، وباب يفضي الى شرفة صغيرة • اما الاخرى فلقد كانت صغيرة مظلمة قد خصصت لاستعمالى الشخصي، فيها موقد ضخم كائن في وسطها ، ولها نافذتان صغيرتان • وعلقت على الجدران كلها سجادات فارسية موشاة من حرير ، كما فرشت بفرش فاخر ووضعت نمارق على ارضيتها • وعرض عديد من المتاع مما يريحني وبضمن ذلك جهاز حديث لاعداد القهوة ، وساعة دقاقة وعدد من أباريق ضخمة من فضة وطرائف جمعها (سويد بك) المرجوة له الرحمة • وافردت غرفة اخرى لـ (سيد علي افندي) والضيوف من الزعماء العشائريين •

ودأب سيد على افندى على مراقبتي بعين الصقر طوال وجودى في راوندوز ، وكان اثنان او ثلاثة من (الدرك) يسيران في اثري ، حذو القذة بالقذة •

واسماعيل بك شاب في الـ ١٩ من عمره او في العشرين ، يرتدي الملابس الاوربية ، وطربوشا في حمرة العناب • انه حسن المظهر ، وان كان اقرب الى ضعف البنية • أن ملامحه رقيقة وجرمه خفيف • لقد حباه الله رقة في الطبع ويسرا في الخلق ، وهو خال من التعقيد ، ومضياف اثير الى القلب ، شديد العناية • انه مرهف الحس دوما ، يسعى الى القيام بما هو حق ، لكنه ارق من الدور الذي يطلب اليه

القيام به . انه ما جد حسنت تربيته ، وان لم يحظ من التعليم بقسط، تكمن خلقه نزعة متبدية ، قد تحمله مكرها على ارتكاب فعال من اشد ما ترتكب في باب سفك الدم . يغشاه شبح مقتل ابيه كالكابوس المطبق ، فيخيل اليه انه يتعرض لخطر غير زائل ، فيقتل[1] .لذلك حاول أزاحة اعدائه بأية وسيلة كانت فى مكنته . لقد عامله والده معاملة تفوق أية معاملة معتاده ، وسواء أكان في ذلك مشفقا من القوة التى يمتلك ناصيتها أم كان الحياء منه هو السبب ، باعتداده ضعيفا ، لذلك جعله عن العالم الخارجى منعزلا ، ولم يكن ليسمح له بالظهور في المضافة او حتى ان يعلمه ركوب الخيل . ومهما يكن من أمر لم يضيّق عليه بقدر تعلق الامر بالتعليم ، ذلك انه كان يحسن التركية والفارسية ، وشدا في التاريخ شدوا حسنا ، وقد بدأ يتعلم الفرنسية أيضا .وبنتيجة خطل والده شب ، وكأنه النبتة النامية في بيت دافيء ، واقع تحت تأثير أمه الشديد . وكانت هذه تغذي مخاوفه وريبه ، وتزور غرفته فى الليل غالبا ، لكي تتوثق من انه لم يقع فريسة لمغتال ما . واخيرا غدا مبذرا متلافا ، على غرار ما كان ابوه بخيلا مقترا يغدق الهدايا بسخاء على ضيوفه جميعا ، ويقدم افخر الطعوم التى شهدتها فى كردستان طرا ...

ووصلت ظهرا ...

(حتى اذا وقت الزوال وجبا ورامت الشمس لها منقلبا
رايت فيها العقربين عقربا)

وجلست في المكتب على حين كان يجري اعداد الغذاء . وعلى حين غرة سمعت لغطا دائرا في الشرفة الخارجية ، وصوتا هرما يقول للدرك مكررا : (اذهب واعلم «الحاكم» .) أي : الضابط السياسي (انني هنا) . وحزرت من يكون هذا ، وسرني ان اسمع كلمة (از) او

---

(1) ASSASINATION في الاصل ، والمفردة تفيد القتل العمد (مع سبق الاصرار) والظاهر ان قد كان هناك عقد النية على قتله . (المترجم)

(انا) وهي خاصة بلغة الشمال • وبعد فراغي من غدائي سمحت لـــه بالدخول فكان الداخل شيخا صغير الجرم ذا لحية ضاربة صغيرة وخطها الشيب ، متناثرة في الجهات جميعا ، وله عينان حادتان وانــف اقنى يرتدي معطفا رماديا ، على اللباس الطويل المعتاد ، وغطاء رأس رخيص واهن الشد من قطن •

أخذ والد نوري المسمّى (باويل اغا) يقص عليّ قصة مروّعة، ويشتكي بمرارة من نكد الطالع الذي نزل به وبولده ، والفقر الفاقر الذي حلّ به • وأخذ يزهو بأنه اسن الوجهاء المزقرين واقدمهم في راوندوز • أن ما كان يريده حقا هو العفو عن ولده الحبيب ، فوعدته بأن لو عمد (نوري) الى (الدخالة) ، اي الخضوع اليّ فأني علـى استعداد لامنحه شروطا سخية • ان (باويل اغا) رجل هرم منكوب ، وان ثمة شبحا مخيفا يلاحقه ، ومن الغريب أن يتبيّن المرء وقع يـد القدر التى تصفع هذه البقعة الجبلية المتبدية • ان جوها كله غـيـر حقيقي وينذر بالشؤم ، وكأن هناك عفريتا خبيثا يعمل على ابقـاء راوندوز ، الموغلة في القدم ، وعرقلة جميع الخطط المؤدية الى تقدمهـا وازدهارها •

واستقبلت فيما بعد الظهر ، على التوالي ، جميع الوجهاء والزعماء الذين صادف وجودهم في راوندوز • واول من جاء منهم هو (الشيخ محمد اغا) ، رئيس قبيلة باليك • ان الشيخ محمد اسم شائع ذائـع في كردستان ولا يتضمن قدسية ما ولا يجود على حامله بشيء منها • انه ليشبه ، سواء في المظهر او الخلق ، بابكر اغا البشدري وأن لم يكن له مساويا • انه فى الخمسين من عمره ، متوسط القامـة ، ثقيـل الجسم ، ذو وجه مدور ، وأنفه معقوف قليلا • وهو ذو احديداب قليل وصوته قوي ثخين ، وهو طلق في نمط حديثه جدا • وهـــو يرتدي الملابس الكردية لاهل التلال وهى غامقة الالوان فى العادة • وهو رجل راجح العقل حذر للغاية ، لذا غدا زعيما بعد ان تخطـى اثنين من أخوانه يعلوانه سنا • لقد كانا ينكران سلطانه ويقاومانــه

غالبا • ودأب على ان يكون مستشاري الرئيس طوال ستة أيـام عاصفة امضيتها في رواندوز ، لذلك أخذت ابجّل أماته وأساليبـه الهينة الطافحة بالحنان والشفقة، أنه الزعيم الفذ الذي ساند (مساعدي الحكام السياسيين) في رواندوز قبلا ، خلال الشدائد التي واجهتم جميعا • وعندما تناهت أخبار ثورة السليمانية ، وقبل ان يصبح أمرها ذائعا شائعا ، زاره (النقيب بيل) و (النقيب كيرك) في قريته المسماة (والاش) واختبراه عندما اخذا يتحدثان عن (الشيخ محمود) حديثا طيبا ويشجعانه على المشاركة في مديحه • لكنه ، على كل حال، لم يقع في الفخ واعطاهما دلائل مطمئنة تثبت ولاءه • وأخبرني كيف ان اباه امتد به العمرُ فخنق ١١٠ من سني حياته وأنه استدعى ذات يوم ، اولاده العديدين وجاد عليهم بالنصيحة التالية : قال : « ان ثمة حكومة قائمة دوما ، وهي ضعيفة أحيانا ، وقوية احيانا أخرى • فان كانت قوية فلا تساوي طاعتها فتيلا ، وعندما تكون ضعيفة يحين الاوان للافصاح عن ولائكم لهـا •

ولقد عمل الشيخ محمد بنصيحته • واسهمت معه في الحديث وسألت رأيه في العمل المحلي فأيد ما سمعته عنه مرات عديدة ، اولها قبل شهرين وزيادة ، من فم صالح بك الخوراني من ان يوسف بك هو السبب الاساس في المتاعب كلها • فان كان في الامكان ازاحته تلاشت الشدائد جميعا •

وما ان انصرف الشيخ محمد الا جاء الحاج نورس افندي وكريم بك معا • لقد وصفت الحاج نورس فيما مضى • كان جده ، وهو فارسي ، صانع سلاح عند (الباشا الاعمى) ، وثمة مدفع او مدفعان قديمان قرب البلدية يشهدان على هذا • لذا فان الوجهاء الاخرين كانوا يعتدونه غريبا • لقد حافظ على مركزه خلال الاشهر الاربعة الاخيرة ، عن سبيل يوسف بك ، في الدرجة الاولى • ويوسف بك نصيره ما دام ذلك يخدم غاياته ، كما كان يجعله على حال راعبـة عن طريق لسانه الذرب البذيء • وارهقت اضطرابات تشرين الثاني اعصابه،

ولكن لا يعرف من الذي كان عليه ان يشفق منه اكثر : اهو يوسف بك ام الحكومة ؟ انه مكثار في كلامه السريع المتشنج ، وينصب جهده على تفسير عجزه عن مجابهة الوضع ، وعلى الرجاء مني ان اقبل استقالته . لكنني أتخذت وجهة تريث في الامر .

ثم جاء بعد ذلك : (محمد علي اغا) ومعه اخوه (خليفة رشيد) . والاول رجل ذو جسم حسن البناء ، في منتصف العمر ، وله ناصية خفيفة ووجه خال طويل . انه ليرتدي الملابس المعتادة التي يرتديها اهل الجبال من الاكراد ، وهو في طبيعته لا يعدو ان يكون فلاحا ساذجا من دون تفكير او تصرف . وانه ليمتلك عديدا من القرى ويحتفظ بنحو ٢٠ تابعا مسلحا . ويرتدي أخوه الجبة الطويلة ويعتم بعمامة بيضاء يرتديها الروحانيون عادة . و (خليفة) تطلق على من تاب ، بعد شباب نزق ، وانخرط في الحياة الدينية . انه شيخ هرم مسالم الى أبعد مدى .

وجاء بعدهما (القاضي) والرجال الروحانيون المحليون ، وبضمنهم (ملا سويد افندي) وهو رجل تقي ساذج ليس له من مطمح دنيوي ، وقد بقي موالياً للحكومة حتى في احلك أيامها .

وفي مؤخرة هؤلاء متقدم يوسف بك ، وهو اكبر ستة أخوة يمتلكون مجموعة من القرى على الجانب الاخر من (رواندوز جاي) . لقد عينه (الرائد نويل) على رأس المنطقة المجاورة ، لذلك حصل على نفوذ كبير في (رواندوز) وما جاورها . وانه لذو شخصية قوية ، ولسان حاد مغري ، وبذلك استطاع ان يجعل الناس مشفقين منه فزعين جميعا . ان تعيين والد زوجته ، واداته الطيعه : (الحاج نورس) حاكما على (البليدة) زاد من سلطانه . وما كان طغيانه ليعرف حدا ، ولتعزيز مركزه كرس قواه في زرع بذور الشقاق بين الزعماء والاغوات الاخرين . ان اخلاقه ذات سمعة سيئة ، وأنه ليدخل ، في الغالب ، بيوت الفقراء وينتزع زوجة احدهم من بين ذراعي زوجها .

وعلى الرغم من أن الناس تقزز منه عموما ، فليس منهم من

يمتلك الشجاعة للوقوف في وجهة ابدا • وبالقتول التي شهدتها (بيره كبره) ، وبهبوط ناموس الحكومة ، أودته فكرة تنصيب نفسه حاكما مستقلا • وأرسل رجالا الى البرزانيين ، نصرة لهم وعونا ، وشجع اخوانه ، والمتمردون في (بالك) على اثارة الاضطرابات والقلاقل فاشاعت الذعر والرعب في المنطقة • وقبل ايام قليلة من وصولي كان قد عقد الخناصر مع (كريم بك) و (مير محمد امين بك) ، والاخير من (دركله) ، بنية أزاحة والد زوجته وتنصيب نفسه مكانه • وكان ينوي جمع ضرائب الارض من الاماكن المجاورة وعائدات الكمرك من جميع القوافل السائرة ، وقد اعد العدة لتجنيد قوة تحفظ له سلطته• وعندما جاء لمقابلتي ما كنت اعلم من هذا كله الا القليل ، وان كنت شاعرا بقوته وبتأثيره السيء • كان رجلا طويلا ذا بنية حسنة ووجهه طويل يشبه البلطة الصغيرة ينتهي بحنك مصمم جدا • أن ملامحه ، وان كانت قبيحة في مظهرها ، لكنها جمّلت بابتسامته الاخاذة • وكانت تتدلى على عينيه من غطاء رأسه (شراشيب طويلة) ، وكان يتكلم بلثغه محببة ساخرة بشأن (حكومتي بليتاني) اي : الحكومة البريطانية• ولو كنت اجهل عنه كل شيء قبلا لاسرتنى شخصيته حتما • وكان حديثنا شكليا ، ذا طبيعة غير ملتزمة ابدا •

وتسنّى لي ، في اليوم التالي ، الطواف بالبليدة ، او بالاحرى ما بقي منها •

تقع راوندوز على رقعة من الارض صغيرة تنحدر على طبقات ثلاث • ووراءها ارض تلال تنتهي بالنشز الذى مرت فوقه في اليوم الماضي • ويطبق عليها من الجانبين اخدودان كبيران ، وكل منهما عميق بمئات من الاقدام • والذى هو كائن في الجهة الشرقية ينحدر من (وادي اكويان) • انه ، عند المدينة العليا ، شق عريض ذو جوانب حادة من صخور رمادية ملساء ، لكنه في الاسفل من ذلك ، يتدحرج ذاهبا بعيدا حتى المكان الذي يعبره طريق فارس ، فوق مفرقه من راوندوز جاي تماما • ويستطيع رجل نشيط ان يقفز فيعبره • ويحد

الجانب الاخر من رقعة الارض مضيق (جاي رواندوز) ، وهنا ينفذ الى قلب الجبل .

والمناظر المحيطة هاهنا رائعة ، أي روعة . ففي الشمال (وادي اكويان) المنتهي بعدد من القمم المجللة بالثلج ، ويحده من اليمين (كريك داغ) ، وهذا يبرز هنا بسلسلة من القمم يشبه شكلها اسنان منشار ضخم ، ومن الشمال بالكدس العظيم الاملس المسمى : (هندرين داغ) ، وعلوه ٨٠٠٠ من الاقدام وزيادة ، والثلوج تكلله شهورا . ان هذا الجبل يشغل جل المشهد الكائن فى الجهة الشرقية حتى يلتقي وادي (رواندوز جاي) بنظرتنا ، عارضا صورة متخيلة من القمم المسننة منتهية بـ (اركوت) الجبار الذي يعلو ١١٠٠٠ من الاقدام . ومن وراء (رواندوز جاي) ومن قرب يطل على البليدة ، قمة جبل (زوزيك) الذى يبلغ علوه ٨٠٠٠ من الاقدام . ان النهر في هذا المكان يرتفع عن سطح البحر بـ ١٥٠٠ من الاقدام ، وعلى ذلك يمكن ادراك شدة تأثير هذه الروابي ، على ما تتراءى فى النفس . وشمالا عبر (الجاي) ، هناك خط من تلال خفيضة ، ابرزها تعلوه قلعة من قلاع (الباشا الاعمى) ، ثم يليها سهل مدور صغير : دشتى ديان ، ثم خطا من الجبال الوعرة ، تتلاشى في المسافات المتباعدة . والى الغرب ، فوق الارض المتعالية ، يمكن مشاهدة الهوة المنشقة : (بالكيان داغ) ، والقمة التى تشبه السرج (كريك داغ) . وسواء اكانت ترتدي حلة الشتاء البيضاء ، او تستحم في شعاع شمس الصيف اللالاء ، فأنا اعرف الا قلة من المناظر التي هي آنق من رواندوز .

ويقع بيت اسماعيل بك في الشطر الباقى الوحيد من (البليدة) ــ اعني الحي السكني العالي . وعلى جانبي الطريق يتجمع عدد من البيوت الكبيرة والصغيرة ، وهي بحاجة الى اصلاح وترميم جميعا ، وقلة من الدكاكين ايضا ، وثمة بساتين تتداخل معها بين الفينة والفينة . وهناك بيوت بنيت بعيدا عن ذلكم الشارع ، وعلى منحدرات التلال بين شجر الفاكهة . ومررنا نزلا بدائرة البرق وبقلة من

المقاهي تدار من قبل رجل قاتم يرتدي سترة زرقاء ، له نظرة معبرة يرسلها من عينين في وجه اشد الوجوه التي رأيتها شرا • اله معروف باسم (مصطفى ريوي : مصطفى الثعلب) • ثم اننا بلغنا بقعة خضراء متفتحة يحيطها من جانبها الاخر منحدر طوله ٥٠٠ قدم ، يفضي الى الاخدود • انه المكان الذي يراد تشييد السوق المقترحة فيه• لقد خططها مساعد الحاكم السياسي السابق ، ها هي حفر الاساس محفورة ، على حين يقوم على شمالنا بيت جديد كبير بناه الحاج نورس مما جناه باعتداده مدير المكس • ثم اننا انحدرنا انحدارا عميقا لمسافة نصف ميل على طريق مفروش يمد على حدور صخر • حتى بلغنا البلدة السفلية ، وقد تراصت ابنيتها على النهاية القصوى لرقعة الارض ، تضاف اليها بيوت تتعالى الى ارتفاع ٢٠٠ قدم فوق النهر تماما • ان كل شيء الان لا يعدو كدسا من الاخربة والركام ، وان قلة من الجدران منتشرة هنا وها هنا ، اكثر رصانة من غيرها ، وتدل على وجود جوامع واسواق هي آنق واجمل ، فيما مضى • وعلى مسافة ما يمينا ، وبقرب ضفة النهر تماما ، وعبر الجسر الصغير القائم فوق الاخدود الذي يمر عليه طريق ايران داخلا البلدة ، ويقوم مسكن محمد على اغا • أنه البيت الذى نجا من يد التخريب لان الروس وجدوه صالحا لان يتخذ مطبخا ، وثمة قلة من المنازل حوله بنيت مؤخرا ليحل فيها اتباعه • لكن لم يكن لهوءلاء بيت واحد يقوم بكماله• وعند النهاية القصوى لرقعة الارض ممر باب ضيّق يفضي الى جسر من خشب طوله نحو ٢٠ قدما ، وعلى مسافة ١٠٠ قدم منه نزلا ، وبين شاهقات صخر ، تجري مياه (جاي رواندوز) ، وقد ضاقت• ووراء ذلك ثمة طريق مفروش يفضي الى المسار الذي يعبر (دشتي ديان) الى موطن القبيلة المسمّاة : (ديوانه) •

لقد امضيت معظم هذا النهار في مقابلة سراة القوم البلديين وتسلم عرائض جاءها طلبات تعيين في وظائف الحكومة قدمها موظفون اتراك سابقون متسمون بالنضج ، او طلبات تعويض قدمها تجار سلبت

أموالهم على طريق فارس ، وفي غيره • وكان زائري الوحيد هو : مير محمد امين بك من (دركله) ، وهو قاطع طريق حسن المظهر الى بعد حد ، ان قصير القامة ، ذوملامح ذوات خطوط عميقة ، قاتمة ، ولحية سوداء قصيرة • ان اشد ما يلحظ عليه هو غطاء رأسه الكبير ، وقد لف بكفية مونقة مطرزة بالذهب والحرير الاسود وتتدلى حفافيها على ناصيته • وكان يرتدي (شرواله) الفضفاض المخطط ، وفمه يشبه الجرس شكلا • ان هذا هو النمط الذي يرتديه الرواندوزيون عادة، تعلوه نطاقات عتاد • انه ليس بالرجل الطالح ، وهو اقل شراسة في مخبره مما هو عليه في مظهره •

وكان لي حديث طويل مع شيخ محمد اغا ، وامضيت ساعات عديدة تراودني فكر مشوقة • لقد استقال الحاج نورس وقضي الامر، وكنت اناهض فكرة معاودة تعيينه كثيرا • وعلى التحقيق ، ما كان احد من الاغوات البلديين الاخرين ليقبل المنصب ان سمح ليوسف بك بمواصلة فعاله من دون رادع • لذلك كان من الضروري ان يناط كل شيء بيوسف بك ، وذلك بالرغم من شروره المعروفة ، وآن ان يعرض عليه منصب (الحاكم) او يتخلص منه • ولما لم يكن عندي غيره ٥٠ من الدرك ، ولما كنت لا اعلم عن الوضع المحلي الا القليل ، شأنه كشأن معرفتي بالاغوات العديدين ، فأن نجمت الشدائد والصعاب كنت اجنح الى الاجراء الاول : (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) • ومهما يكن من أمر ، تقدم (القدر) وحسم الامر في اليوم التالي على نمط دراماتيكي الى أبعد مدى •

وزرت الحاج نورس فيما بعد الظهر ، فاخذ بيدي الى مضافة طويلة حسنة وقدم لي الشاي في (استكانات) ذوات قواعد من فضة. وكان يوسف بك حاضرا وابدى رغبته في العودة الى قريته تلكم الليلة عينها • ورجوته ان يبقى حتى اليوم التالي ولمحت له بان له في ذلك نفعا •

وفي تلكم الامسية عينها ، قابلت ، اول مرة ، شخصية عاصفة

اخرى خط لها القدر ان تكون وبالا على بيتها وعلى بليدتها وعلى
تقريبا • كان الجدل بالكردية قد طال حتى بلغ دور الاملال ، وتراءى
ان لا نهاية له ابدا •وكان ذلك يجري في غرفة اشتدت حرارتها ، لذلك
سرت و (السيد علي افندي) ضابطي العربي ، وتسلقنا تلا صغيرا
تناثرت عليه شواهد القبور ، كائنا فوق البليدة • وكانت ثمة شجرتان
تتعاليان فوق قمته ، فتوقفنا تحتهما نتملى المنظر الرائع ونستمتع بالهواء
العليل البليل • وفي الحال رأيت (باويل اغا) وشابا يسير بجانبه وتابعين
يقتفيان اثرهما • وعلمت ان لا معدى عن ان يكون الشاب (نوريا)
لذلك وقفت وقفة نابليونية وانتظرت مقدمه • ووصل في الوقت اللازم
ووقف امامي ، وهو خجل شطرا ومتحد شطرا ، على حين تفوه باويل
اغا بسلسال من الاشارات ، يرجوني بها ان اعفو عنه وأن اعامله معاملة
حسنة • ان هذا التسليم لعجب • هذا (نوري) مدجج بسلاح تام ،



نوري باويل آغـا سنة ١٩٤٦

بمسدس وخنجر ، وخلفه رجلان يحملان بندقيتين بينما لم يكن لدي الا مسدس صغير ، اضعه في جيبي ، وما كان احدا من الدرك موجودا . أنه ، على التحقيق يستلفت النظر : طويل القامة نحيل جدا ، ذو مكر ودهاء ، وله عينان هما اشد ما تكون نفاذا ومتزمتتان نوعما ، تحتلان وجها طويلا شاحبا . ان ملامحه منتظمة بشكل رائع . ويتراءى كزعيم خاب في دركي مسعاه . وقلت : « ما ضرب هذه الدخالة ياترى ؟ » مشيرا الى سلاحه واتباعه ، وأمرته بان ينصرف وان يأتيني في اليوم التالي ليقدم الخضوع على الوجه الصحيح ، واعدا أياه بان تكون شروطي يسيرة ان فعل .

وانصرف من دون ان يتفوه بكلمة ، وكان باويل اغا يتمتم آنذاك . وكان اليوم التالي ، اي الـ ١٢ من كانون الاول ، يوما ، على الدهر ، لاينسى . لقد امضيت صباحه في غرفتي أقوم باعمالي واقابل كل من يروم مقابلتي . وفي نحو الظهر وبينما كنت أمر من الشرفة الصغيرة المطلة على الشارع تناهت الى مسمعي (جلبة : هورروش) تدوي بها البلدة ، وشهدت الناس يتراكضون في كل جهة وصراخهم يتعالى ، والابواب تسكر والدكاكين تقفل . انه صوت ولعله جو لا يستطيع الوقوف على كنهه ، الا من كان في مدينة شرقية متبدية حين تنفجر اضطرابات فيها على حين غفلة . وتجمع دركي على استعجال ، وقاموا بتحشية بندقياتهم بالاطلاقات ووقف كل من في البيت ساكنا متوترا يقظا . ولم تطلق اية اطلاقة ، وانقطعت الجلبه على حين غرة ، بالسرعة التي بدأت بها ، وعاود القوم اعمالهم الاعتيادية . وارسلت حالا من يتحرى عن هذا الذي اشاع في المدينة فزعا وملأها رعبا . وعندما كنت في (باطاس) ذكر (عبدالله باشا) ان يوسف بك قد اقتاد قطيعا من الضأن يعود الى احد مزارعيه المسمى (خورشيد بك) ، مختار قرية (بابشتيان) ، وانه اعطى الاخير مذكّرة معنونة الى المعتدي يطلب منه فيها بأن يعيد الحيوانات الى اصحابها . وما وقع حقا هو : أن خورشيد بك قابل يوسف بك في تلك اللحظة عينها خارج بيت الحاج نورس ، وانه سلمه الرسالة

وطالب بالحيوانات . وكان ان اتهم يوسف بك ، من فوره ، ذلكم الرجل البائس بأنه قدح في ذاته أمام (الباشا) وانهال عليه بسيل من السباب ، ثم استدعى اتباعه الذين انقضوا على منكود الحظ خورشيد بك باخماص بندقياتهم . واعقب ذلك عراك ، وعلى حين كان الفريقان بسبيل ادارة بندقياتهم وتبادل الاطلاقات اندفع الحاج نورس من بيته وهو على حاله المعتادة الهائجة ، ودعا الفريقين الى الانصراف . وعندها افترقا وذهب كل فريق الى سبيله .

واستشطت من الخبر هذا غضبا ، ورأيت فيه محاولة ظاهرة يريد بها يوسف بك ان يهين سلطتي ويسعى الى ارعابي كي اغادر البليدة . وارسلت الرسل الى الفريقين اطلب منهما الحضور حالا كي القي السمع الى وجهتي نظرهما فى (القضية) واحسم اختلافاتها . كما انى استدعيت كلا من اسماعيل بك والشيخ محمد آغا والحاج نورس الى مكتبي ليمدوا لي ، في التحكيم عونا ،وامرت (السيد علي افندى) بأن يقف في المجاز ويجعل جماعة من الدرك على استعداد ، فى الخارج ، وأن ينزع سلاح جميع من سيدخلون الغرفة . وحضر الفريقان المختصمان حالا ، وسمعت يوسف بك يجادل عند الباب ، لكنه ، على الرغم من ذلك ، سلم مسدسه وخنجره . واجلسته على شمالي ، قرب النافذة ، على حين اتخذ خورشيد بك مجلسه عند النهاية المقابلة من الغرفة ، قرب الباب . وحاول يوسف بك ان يوجه الخطاب اليّ ، لكنني توجهت الى الآخر ،وقلت له بما انه المدعي فأني سأسمع قصته اولا . وشرع يتكلم ، لكن يوسف بك اخذ يقاطعه ، كل دقيقة . وطلبت اليه مرات عديدة بأن ينتظر دوره، واخيرا لما وجدته لا يرعوي أستدرت اليه فجأة وأمرته بخشونة بأن يمسك لسانه . وعندها طلب الاذن بالانصراف من الغرفة ، فطلبت منه البقاء فيها ، وعندها نهض واتجه الى الباب ، أشرت الى السيد علي ، فانقض عليه بسرعة البرق .

واعقب ذلك عراك ، ذلك ان يوسف بك كان بقوة الاسد .

ومهما يكن من امر استطاع السيد علي ان يفوز عليه ، وبجهد عظيم أستطاع ان يحركه او يرميه الى الجدار ، قرب النافذة . وادار يوسف بك رأسه ، على حين غفلة ، وتطلع الى الشارع نزلا ونادى رجاله صارخا : « تعالوا واقتلوا الكفرة » . وهنا انقض عليه السيد علي كرة أخرى وسحبه من النافذة واخذ يديره ، وهو يتراقص ، ويهدده بعنف وهياج وكأنه القطة ! وكان يعدد له سلسال جرائمه العديدة سريعا : « الست الذي هاجم القافلة في بيخال ؟ الست انت .. ؟ » حتى اوقفته . وحضر ، في الوقت نفسه في الغرفة خمسة او ستة من الدركيين ، وقد ركبوا الحراب، وعند ذلك تخلى يوسف بك عن العراك منطجعا خائرا متبرما بأزاء الجدار . وهنا غادرت مقعدي ونظرت من النافذة فرأيت عشرين او ثلاثين من الدرك ، وقد اعدوا بندقياتهم ، في الشارع ، على حين كان أمامهم تماما اشخاص تغدو وتذهب امام الجدرا نوالسياجات وخلفها . لقد كان الفريق المقابل قريبا جدا بحيث استطاع دركي الامساك بسبطانة بندقية غريمه .

لم تنطلق اية اطلاقة ، ومن حسن الحظ انه لم يكن مع يوسف من الاتباع الا ثمانية . وكانرجال الحاج نورس مشفقين من الانضمام اليهم ، ذلك ان سيدهم كان معي في الغرفة ، وعلى ذلك ، وغب دقيقة او دقيقتين ،انطلقوا مسرعين يحملون النبأ الى قراهم ، ويستثيرون قبيلتهم .

وكنت ، في الوقت نفسه ، اقطع الغرفة جيئة وذهوبا ، وافكر في العقبى كان ثمة شيء واحد جليا ، هو أن اية محاولة تنصب على مغادرة المدينة تعتد كارثةحقا . وسرعان ما اندفع الحاج نورس ، ورمى بنفسه امامي وامسك بركبتي مسترحما اطلاق سراح زوج ابنته ، واعدا بانه لن يثير ، بعد هذا ، صعابا وشدادا . وضم الحاضرون اصواتهم الى صوته ، وكان ذلك شكليا ، باكثر من اسباغهم على الطاغية عطفا . واخيرا امرت السيد علي بأن يشد وثاق يوسف بك وان يضعه داخل غرفة مقفلة أخرى ، جاعلا عليه

حارسا ابدا . واثر تفكير جم صممت على ان ارسله الى الرائد مدلتون) ، وكان هذا مع سرية مشاة عند (كاني وتسان) . راجيا منه ان يبعث به الى اربيل عند سنوح اول فرصة .

وجاءني ، في الوقت نفسه ، اغوات رواندوز جميعا يعرضون علي خدماتهم ان هجمت قبيلة يوسف بك . انهم اصدقاء ينذرون بخطر ، لكنني ابقيت معي منهم (محمد علي اغا) و (مير محمد امين بك) . وامضيت ما بعد الظهر في موقف راعب . ولو جاءت الهجمة حقا فلدي لعبة ورق رابحة ، واعني يوسف بك نفسه ، لذلك اعلنت بأنني سادعه يقتل عند اول اطلاقة تطلق .

وعند المساء جاء جميع وجهاء رواندوز ، الواحد تلو الاخر ، يرجون جادين بان اطلق سراح الرجل . أن أمر هذا العرف لعجيب. ذلك ان الرجل يأتيك مستعطفا ، بالنسبة لألد اعدائه ، ان وقع في يد الحكومة ، وهي على ما اسلفت القول عنها ، تعتد وحشا ضاريا يجب الا يقع بين مخالبه اي كردي ابدا . وفي هذا الحال كان المستعطفون يحدوهم الاشفاق من أني ساطلق ، في خاتمة المطاف ، السجين ، وعندها سيقترف أعمال الاضطهاد ، بأكثر من ذي قبل ، بالنسبة لمن لم يمد له يد العون في ساعة العسرة .

وبقيت على عنادي ، وأخيرا ، وغب العشاء ، جاء وفد من جميع الوجهاء ، يرجو مني اطلاق سراح (الرجل) ، ويسألني أن لم اطلق سراحه فما الذي أنا فاعل به يا ترى ؟ وتجنبا لاثارة ريبهم تكلمت بطلاقة لسان عن غرامة قدرها عدد من البندقيات ، وضمان نقدي يودع ، وراجيا منهم الانتظار حتى اسفار الصباح (وما الصبح ببعيد) اذ اكون في ذلكم الوقت قد حددت المقدار الذي سيطلب . ثم انهم رجوني ان يسمح ليوسف بك بكلام معي . ورفضت ذلك اولا ،لكنهم اوغلوا في طلبهم لحاجة ، لذلك استدعيته .

وجيء به سحبا ، مشدودا بالوثاق وعليه احراس. وحبا امامي تعلوه

ابتسامة عليل ، وشرع يقسم ، ويلثغ بوكيد الايمان ويصبها على انه سيبقى (للحكومة البريطانية : بليتيش كوفرنمنت) مخلصا لا يتحلل عن ذلك ولا يريم . لقد تلاشى جنانه القوي وذهب مع الرعب :

وقد صعدت انفاسه عبراته فمقلته عبرى ومهجته حرى !

وان له ، الآن ، منظرا مفزعا !. واجبت بقبول ما عرضه شاكرا وقلت اني ادرس امر عقابه واقرر طبيعته واحدد مداه ، على حين كان الواقفون يطمئنونه بالأمل القائل بأنه سيصبح في اليوم التالي طليقاً . واخرج ، ولم ار وجهه كرة أخرى . وما ان انصرف زواري الا استدعيت (السيد علي) ورتبت معه أمر الاحراس الذين سيغادرون مع سجينهم عند منتصف الليل .

وآويت تلكم الليلة الى فراشي مبكرا الا انني لم استطع الى النوم سبيلا . وقبيل الساعة الثانية عشرة تناهى الى مسمعي من غرفة قريبة سلسال من صرخات مرعبة تختلط بها صلوات الى الله العلي القدير ودعوات بمساعدة الشيخ محمد آغا واسماعيل بك وغيرهما . ان الـ (هاوار) او دعوة الاستنجاد القبلية ، تصطنع عندما تكون حاجة الكردي الى كردي آخر ماسة الى قصاراها . ويجب ان يستجاب اليها عادة ، لكن لم تلب الان صرخة يوسف بك المشوبة بالاسى . ودأبت الضوضاء لمدة خمس دقائق الى عشر دقائق . وأعقب ذلك وقع اقدام كثير ، في الفناء الكائن في الاسفل . ونزلت فوجدت السيد علي فيه ، واعلمني ان خمسة من الرجال الاشداء استطاعوا تكميم السجين وتقله ، وانه عض أيدي اثنين أو ثلاثة منهم ابان جريان ذلك . ورفض الجلوس على مهر ثم أخذ يرمي نفسه أرضا عند اية محاولة انصبت على تحقيق ذلك . وأخيرا مست الضرورة الى ربطه بمطيته . وفي الظلمة استطعت أن اتبين ، خلل العتمة ، كدسا مكوما على أحد الامهار في الخارج .

وامضيت ليلة قلقا مسهدا ، لكن النوم اشتملني أخيرا . وفي الساعة السابعة صباحا استيقظت على حين غرة ، لاجد السيد علي بجانبي واقفا . وكان وجهه شاحبا . وصرخت : « ماذا حل ولي فرارا ؟! »

أجاب : « كلا لكنه فارق هذه الدنيا » . وملئت من النبأ رعبا ،لكنني طويته سرا عميقا . ان يوسف بك ، وهو حي بيدي ، رهينة على حظ كبير من قيمة ، على حين تستثير وفاته قبيلته الثؤور فتهب حالا .

أن حقيقة موته سيبقى امرا عجبا ، وقص عليَّ السيد علي : انه على بعد نصف ميل من رواندوز ، لحظ الدرك ان جسده توقف عن التنفس ، وما ان فحصوه الا وجدوه ميتا وفمه يشخب دماً . وعزا موته الى الاختناق ، اذ بالنظر الى العنف الذي ابداه كان لزاما تكميمه بشدة . لقد صارع كالحيوان الوحش ، ابان شده ، وفي خلال الدقائق القليلة الاولى من الرحلة ، وباعتقاده خائر القوى تماما ، لم يستطع ان يشهق شهقات كافية تحيي نفسه .

وكان حرسه ، وعدتهم ١٢ ، بأمرة من يدعى (رسول جاووش) وهو كردي من اهل السليمانية ، وعلى حظ خارق من غمر البديهة . وما ان وقف على موت سجينه الا واصل رحلته ، وكأن امرا لم يحدث ابدا . وبينما كانوا في (المضيق) اذ شهدوا جمعا من الناس يتقدم ، وقد تبين انه مؤلف من جميل اغا ، ومن قبيلة گردي ، واتباعه ، وهم الذين استدعيتهم شخصياً . لقد استطاع (الجاووش) ان يخفي ركبه لئلا يسأل اسئلة محرجة . وما ان بلغ (كالي وكسان) الا اصر على الضباط الهنود بأن يوقظوا (الرائد ميدلتون) لتسليمه (مذكرة) كنت قد اوجزت كلماتي بما يلي :

« هذا هو يوسف بك . انه رجل خطير جدا ، وان فراره يسبب عقبى فاجعة . أرجو أن تكون حراسته يقظة معنية ، وان يرسل الى اربيل عند سنوح اول فرصة » .

وهب (الرائد مدلتون) من نومه توا ، لكنه اهتز من صدمة عنيفة انتابته حين وجد السجين جثة هامدة .

وقال لي ، بعد ذلك ، أنه لم يرَ ما هو ابشع من وجه يوسف بك، وهو مفارق الحياة . ورغب في ارسال الجثمان الى باطاس نزلا ، لكن رسول جاووش استطاع أن يقنعه بأن التزام السرية الى ابعد مدى

كان أمرا لازما ، كما أصر على ان يوارى التراب على الجثمان حالا •

وأرسل بعض الضباط الهنود لجلب المجارف ودفن جثمان يوسف بك والظلام يطبق على الدنيا ، ولا يعلم بذلك احد الا (الرائد مدلتون) وقلة من الضباط الهنود والاحراس •

ولم يتسرب النبأ الا بعد أن اخترت انا وقته ، أي بعد اكثر من ٤٨ ساعة •

ولما كان سر مثوى يوسف بك مطويا ، وأن احدا لم يره على الطريق ابدا ، وأن سكان (كاني وتمان) بعثوا بخبر مفاده انه لم يكن مع العسكر ايضا ، فلقد اثار ذلك كله شك الناس سريعا •

وافضيت بالسر الى الشيخ محمد ، فتملكه الرعب اولا ، ثم انه اتفق معي ، بعد ذلك ، على أن ما حدث هو افضل شيء يمكن ان يحدث • وقال : أن موت يوسف بك ذا تأثير يعدل تأثير انفاذ فرقتين من الجيش الى رواندوز •

وعندما طمأنته بأن هلاكه كان على الرغم من رغبتي تماما ، تبسم من قولي ضاحكا وكأنه يريد أن يقول : « أننا لنعلم كل هذا » ! ثم أجاب : « ذلك أمر طبيعي » وزارلي الوفد الذي رجاني اطلاق سراحه في الليلة الماضية ، وهو لايعلم عنه الا انه منفي ، وشكرني على « تخليص الاسلام من ذلكم الكافر » • واعلمني رجالي بأن أهل المدينة قد داخلهم السرور وان قد احتفل بذلك اليوم في رواندوز باعتداده عيدا •

وامضيت يوما ، او يومين ، على حال من التربص عظيمة ، لكن قبيلة يوسف بك بقيت في قراها • واخذ اخوته بجمع قوة ، لكنهم نبذوا ذلك عندما وصلتهم رسالة من (الحاج نورس) تفيد بأن يوسف بك في أمان ، ولعل سراحه سيطلق ، على حين سيسفر اي تدخل من جانبهم الى أن تكون الامور اسؤا من ذي قبل •

ان الذين هم على حظ من خطر ثلاثة : (رشيد بك) و (بكر بك) و بيكوك (اى : البك الصغير) • ورشيد بك ، بالنسبة ليوسف بك ،

أخ غير شقيق ، ولقد نال كثيرا من الاضطهاد على يديه :

كم من أخ باخيه غير متصـل   كالعين ليست بلفظ الخاء تأتلف[٢]

انه رجل ضعيف ، لكنه مخلص ، أما الاخران فهما اخواه من امه وأبيه ، وأولهما ضعيف ، معدوم الشخصية أيضـا ، على أني اسم ار (بيكوك) ابدا ، وهو شاب طائش نزق يعيش ليثأر لموت أخيه .

وعند صبح اليوم الـ ١٣ وصل (جميل اغا) ومعه نحو ١٥ رجلا . وسألني ، من فوره ، لِمَ لم اطلب منه أن يأتي بـ ٢٠٠ ، ثم آن أخـذ يتفاخر ، بعد ذلك ويقول ، كيف أن وصوله هو الذي أنقذني وأنقذ الوضع أيضا . أنه صديق قديم لـ (باويل اغا) ، وسرعـان ما أخـذ يسترحم مني أن اقبل دخاله (نوري) . وتحت وطأة الظروف ا راهنة : الافضل الا يكون لدي من المال ، ضمانا . وجاءني يوم الـ ١٤ غـير مسلح في هذه المرة ، واستطال بيننا حديث . لقد رجـاني معـاودة تنصيبه ضابطا للدرك في اربيل ، فبعد الذي جرى لن استطيع معاودة تعيينه في رواندوز أبدا .

وخلال الايام الثلاثة الاخيرة من ثوائي في رواندوز بذلت جهودا جمة في سبيل أستعادة ممتلكات التاعسين من الرجال ، اولئك الذيـن سلبت قافلتهم في تشرين الثاني . أن المعتدين الرئيسيين هـم رجـال (مرگه) ، موطن اللصوص ، والتي حاول الاتراك تدميرها غالبا . تقع هذه القرية الى الاسفل من مسكن الشيخ محمد آغا تماما ، وفي ارض (باليك) تحديدا . هذا وأن اهلها ، وعدتهم نحو ٥٠ أسرة ، من ذوي قربـاه تقريبـا .

ولما كانوا ينحدرون من أصل (رآسي) فأنهم كانوا يعتدون اثـارة الارض[٣] عملا لأيتناسب مـع كرامتهم ، لذلك كان عندهم سـبيلان للمعيشة : الاعتماد على ما تجود به راحة الشيخ محمد اغا ، وقد أعتاد

....

(٢) وفي البيت تكتة لغوية ، ذلك ان (العين) و (الخاء) حرفا حلـق .
(المترجم)

(٣) اي تقليبها وزرعها .
(المترجم)

هذا أن يدفع لهم اغلب مشاهرته ليبقوا على حال من هدوء ، وسلب القوافل السائرة على طريق فارس ، واستيفاء أتاوة منها .

ولما لم تكن لدي الوسيلة التي اصطنعها في انزال العقاب بهم ، وبناء على مقترح الشيخ محمد نفسه ، اوفدت اليهم (خليفة رشيد) الذي يعتد عموما رجل سلام ، ومفاوضا .

أما وقد أرعبهم خبر القاء القبض على يوسف بك فلقد وعدوا باعادة جميع الاموال المسلوبة التي يستطيعون جمعها ، شريطة أن يصدر العفو عنهم جميعا . على أنهم لم يعيدوا مما سرقوه الا قليلا ، ذلك انهم قد استهلكوه تقريبا .

وفي أمسية اليوم الـ ١٣ وصل رؤساء الـ (شيروان) و(بارادوست) تصحبهم جماعة من الاتباع عدتها نحو ٥٠ من الاكراد المتبدين القطريين الصارمين الذين لفحهم الطقس . وكان اغوات شيروان ثلاثة ، ومقدمهم رجل طيب ذو لحية بيضاء شابها المشيب ، اعرج يدعى (احمد اغا). أنه ذو أبتسامة عذبة وصوت خشن يتعسر تبيان كلماته ، وأنه ليسير هين في اساليبه ، ورجل مخلص ، كما ان كلماته موقرة بالايمان ، وأن فعاله التالية اثبتت أنه لولي أمين .

ومحمد سويد بك ، زعيم قبيلة الـ (برادوست) رجل صغير الجرم ، عجوز مجعد ، وذو صوت ناشج . لقد نبزته بـ (المرأة العجوز) حالا ، ومن سوء الحظ ان (النَبزة) تناهت اليه فاقسم على أن يثأر لنفسه عنها ، قائلا : أنه سيثبت لي أنه رجل ، وليس بأمرأة ، لكنه لم يبر بقسمه على كل حال . أن تأثيره في قبيلته قليل جدا ، وآحادها كادت تذهب ريحهم على يد الروس ، كما ليست لهم شهرة في باب الحماس الحربي .

وفي الليلة التي وصل فيها هؤلاء الرؤساء تناولوا العشاء معي ،

وكان اسماعيل بك قد مد له مائدة فخمة ضخمة[٤] وأتخذ احمد العجوز الساذج ، وقد توكأ على عصا ، مكانا سفليا ، وبصعوبة امكن حمله على لبذه كي يتخذ مكانا عليا . وبعد الطعام بحثت في الوضع ، فتبين لي أنهم جاوزوا برأيين رئيسين ، اولهما : أن يكونوا على الجانب الصحيح ان اتخذت الحكومة اجراء تأديب آخر ، وثانيهما الحصول على تجديد معاشاتهم ، وكانت قد قطعت عند اخلاء رواندوز .

وفي آب . وعد احمد اغا ، واحسب انه كان في وعده مخلصا ، بأن يلقي القبض على القتلة ويصطنع افضل ما يستطيع لاجل ذلك ، لكنه ابان أنه أضعف من أن يستطيع أنجاز أي شيء من هذا القبيل ، من دون عون من قوات الحكومة . وأيد ذلك (محمد سويد بك) على طول الخط بصوت ضعيف ، ذلك انه كان مشفقا وعلى حبس قريبه يوسف بك حزينا .

وخلال يومي الـ ١٤ و الـ ١٥ من الشهر نال الجهد من دماغي كثيرا ، أذ كنت اعد الترتيبات لحكومة المنطقة المقبلة . لقد ذهب يوسف بك الى غير رجعة ، والحاج نورس ، من دونه ، اسؤا حالا ممن نفعه لا يرتجى ا. واستطال حديثي مع الشيخ محمد اغا حول الموضوع وعرضت عليه منصب (الحاكم) ، فرفضه ، على ما كنت اتوقع . وباعتداده عشائريا كان يحتوي البلدة وأساليبها، ومن طبعه أن يكره العيش بين ظهراني اهلها ، وصب الجهد في سبيل السيطرة على مثل جماعة اغوات رواندوز الكائدة المتعطشة للدماء . وبحث معي في الوضع كله وأصر على اذ من الضروري أن يكون فيها ضابط بريطاني وقوة مسلحة كبيرة ، أن اريد القيام بأية محاولة في باب السيطرة على المنطقة . لقد قدح في تعيين الامراء الاكراد من امثال الشيخ محمود

---

(٤) اعتاد الروساء والاغوات والوجهاء على استضافة الحكام السياسيين البريطانيين ومساعديهم لعدم وجود (مضافات حكومية) من جهة ، ومنهم من كان يتزلف اليهم ويتودد لينال الحظوة في عيونهم ثم الجاه والمنصب والاراضي والاموال .

(المترجم)

ودأب على العيب في شعب هو واحد من ابنائه ، مرددا الكرة تلو الكرة : « الكردي على الفطرة البدائية ولايؤمن الا بما يراه » .

وأخيرا ، اقترح ، كاجراء موقت ، أن أدعو (اسماعيل بك) الى قبول منصب (ممثل الحكومة) . وردا على اعتراضاتي بشأنه ، باعتقاده صغير السن جدا ، وقليل الدربة والخبرة بحيث تتعذر عليه السيطرة على مثل هذه (المنطقة) المضطربة ، أجاب : لاأستطيع الا ان تأمل بأن هذا المنصب سيصيره (پياوا : اي رجلا) . وبالنظر الى ذكرى والده العطرة ، فان القبائل جميعا ترجو له خيرا ، وهو لم ينغمر بعد ، في غمار دسائس (اغوات رواندوز) ومشاحناتهم ، ولما هو عليه من ثراء وسماحة فانه لائق لهذا المنصب تماما . وفي يوم مبكر من اليوم الـ ١٥ سألته أن كان يريد الاضطلاع بالتبعية فأجاب بالموافقة .

وفيما بعد ظهر اليوم الـ ١٥ دعوت جميع الوجهاء الى مؤتمر ، حضره رؤساء قبيلتي (شروان) و (برادوست) ايضا . وما أن اعلنت نبأ وفاة يوسف بك ، الا علا شيء من حماس عند ذكره ، ثم ابديت أسفي على استقالة الحاج نورس من وظيفته ، وبينت أني اجتبيت اسماعيل بك خلفا له ، واسماعيل بك هو من لم يعمد الى الاساءة الى اي أحد ، ومن يحبه الجميع ويحترمونه بسبب من ذكرى والده الراحل العطرة .وصادق الحاضرون بالاجماع على أختياري والقى كل من (محمد اغا) و (احمد اغا) خطابين طلبا فيهما أن يقف الكل الى جانب اسماعيل بك ويشاركوا في اصلاح حال رواندوز الخربة ، بدلا من أن يجعلوا هذه الحال اسوأ بالحسد الشخصي والثأر . وجيء بـ (قرآن) عند ذلك واقسم عليه الجميع ، من دون تردد ، قسم الطاعة والولاء لاسماعيل بك ، واضاف (باويل اغا) الى ذلك شرطا مفاده : « أني ساكون في علاقتي باسماعيل بك منصفا ما دام يبادلني ألانصاف بأنصاف » .

وفي مطلع يوم الـ ١٦ من الشهر ، وبعد ان تركت لدى (الحاكم الجديد) تعليمات تتصل بجباية الواردات وغير ذلك من القضايا

الضرورية ، وبعد أن عينت كاتبا ذا خبرة اكتسبها من خدمته في الحكومة السابقة ، ليكون له عونا ، فصلت الى اربيل وقد صحبني الى اعلى النشز جميع وجهاء البليدة ورؤساء القبائل الذين انتظم عقدهم فيها . وما أن اودعت اسماعيل بك وسلام المنطقة الى عنايتهم ، ووعدتهم بأن اعاود زيارتهم في غضون شهرين ، الا ودعتهم ، وسرعان ما وجدت نفسي اقتفي خطواتي السابقة في (المضيق) نزلا ، معددا في الوقت نفسه جميع الحوادث التي وقعت خلال الايام القليلة الماضية ، شاعرا بقدر من الارتياح والطمأنينة الى خواتيمها . وفي باطاس وجدت عبدالله باشا الهرم ينتظرني واقفا بوصيد بيته ، يرتجف ويبتسم مسرورا . قال ، وعلى فمه تكشيرة فرح : « طبيعي ان يوسف بك من ذوي قرباي ، لكن لم يكن ثمة تعاطف بين فرعي الاسرة » .

ووصلت أربيل في اليوم الـ ١٨ من كانون الاول ، يشع في نفسي سرور مبعثه العودة الى ظهراني اصدقاء في مكان متمدين كرة أخرى .

الفصل الرابع عشر

ثلاثة اشـــهر رخيّة

لدى عودتي الى اربيل وجدت أن (النقيب برادشو) قد انتقل الى بيتنا الجديد وقد تم بناؤه ، بعد أن اقام بتصميمه الرائـــد مـــوري ، وشرع به . أنه كائن على بعد نصف ميل ، من (البليدة) او زد على ذلك قليلا ، وفوق ارض متموجة ، تطيف بـــه أرض عامرة[1] . وتكشـــف النوافذ الكائنة في الجهة الشمالية الشرقية منه منظرا مونقا لـ (ســـفين داغ) . كما أن جميع النوافذ تطل على الخارج ، بدلا من اطلالها على فناء . وعلى غرار ما هو معتاد في البيوت الشرقية ، لذلك اضطررنـــا الى الاحتفاظ بدورية تجوب ، والليل اذا عـــمس ، دؤوبا :

يا نائم الليل مسرورا بأولـــه أن الحوادث قد يطرقن اسحارا !

لاتركنن لليل طـــاب اولـــه فرب آخر ليل اوقـــد النـــارا !

وأمضينا يوم (عيد ميلاد) هو اشد مايكون بهجة وحبورا ، وغمر سَرَوات (البليدة) واقيم الاحتفال على وجه التـــمام . وفي الســـاعة التاسعة صباحا اعلن قدوم وفد من نصارى (عينكاوه) . أنه يتألف من نحو ١٢ قسيـــا وشيخا ، وكان أن ادخلوا واقضى لحو نصف ساعة في التحايا ، ومناقلة الحديث معهم . وغب انقطور ادى الزيارة رئيس البلدية ومعه ما يتراوح عدتهم بين ٢٠ و٣٠ من موظفي المحليين . واقمنا وليمة غداء للموظفين الرسميين غير المسجلين في (الجريدة الرسمية)[2]، ثم اختلفنا بعدها الى المطار لحضور حفلة الالعاب التي قام بتنظيمهـــا العقيد بي.ام.كارول ، وضباط وحدة الـ ٨٧ البنجابية . وشارك فيها

---

(١) أرض عامرة اي ذات زرع ونبت . والارض الغـــامرة ، هي التـــي لا زرع فيها ولا نبت . (المترجم)

(٢) والمراد بهم « صغار الموظفين » ، وقد حذا حذو ذلك (العهد الملكي الدابر) فكانت اسماء (كبار الموظفين) تنشر في الجريدة الرســـمية للحكومة العـــراقية . (المترجم)

بعض الدرك والشرطة الذين هم في أمرتي ، على حين جاء جميع الوجهاء واغلب الاهلين لمشاهدتها . وما أن انتهت الالعاب الا سعى الوجهاء والزعماء الى زيارة بيتنا الجديد ، وبعد أن شاركوا في احتساء الشاي والقهوه سمح لهم بأجالة النظر فيه[٣] .

وقام مطعم (الوحدة/٨٧ البنجابية) بدعوتي والنقيب برادشو الى عشاء على الوجه السمح الكريم ، فاستمتعنا بحفل عيد الميلاد المعتاد . وفي اول يوم من أيام الاسبوع الذي يلي يوم عيد الميلاد[٤] جرت مباراة في لعبة (الجوكان : POLO)[٥] ، اعقبها تسليم العصي الى مشير آغا نجل ابراهيم اغا ، وغيره ، فاستطاعوا ضرب الكرة واللعب بها وأصابوا في ذلك نجحا ما . أني لاشعر بايقان أن الكرد سيكلفون بالجوكان ان علّموا كيفية لعبه . ودعوت خلال الاسبوع الاخير جميع الوجهاء الى الغداء ، الواحد تلو الآخر ، فقاموا برد تكريمي هذا بدعوتي الى بيوتهم .

وفي اوائل كانون الثاني أديت زيارتي الاولى الى (الشيخ مصطفى افندي) ، وهو يحل في (خانقاه)[٦] ، وهي عبارة عن مسجد وصومعة،

---

(٣) اعلمني من لا ارد خبره ان هذه الدار بقيت لكثير من المتصرفين في العهد الملكي الدابر مستقرا الى ان شيدت دار جديدة لتصبح للمتصرف سكنا . (المترجم)

(٤) في الاصل BOXING DAY – وفي مثل هذا اليوم تقدم الى المستخدمين وسعاة الرسائل هدايا في صناديق ومن هنا جاء اسمه . ومن الطريف ان (احد المترجمين) ترجمه باسم (يوم الملاكمة)! . (المترجم)

(٥) وهي لعبة (الكرة والصولجان) التي عرفها العرب ويظن ان الغرب اقتبسها منهم . (المترجم)

(٦) وهي قريبة من (الزاوية) او (الرباط) او (التكية) . و (خانقاه) كلمة فارسية النجار معناها (بيت) وقيل ان اصلها (خونقاه) اى الموضع الذي ياكل فيه الملك و (الخوانك) حدثت في الاسلام في حدود سنة ٤٠٠ للهجرة المباركة وجعلت لتجلي الصوفية فيها لعبادة الله . (المترجم)

كائنة عند النهاية الشرقية القصوى للمدينة • وللرجل وجـه شاحب ، ونحية مربعة سوداء ، وعينان غائرتان عميقتان ، وهو من اشد من عرفت من الرجال تقوى واكرمهم نفسا • وملامحه تدل على تصوفه ، وتفصح عن الساعات الطوال التي قضاها قائما مصليا ، وهو ثاني اثنين استطيع ان اطلق عليهما (القديسين على قيد الحياة) • وعلى الرغم مـن انـه يأتي بعد (ملا افندي) في المرتبة ، بسبب من انعزاله الكلـي عـن الدنيويات لكن له من سمعة القدسية ما يفوق ما لهذا • وغدالي صديقا عظيما ، وبالنظر الى عزوفه الطبيعي عن حضور اجتماعـات الوجهـاء المعتادة ، فلقد كان يعمد الى زيارتي في بيتي ، على وجه خصوصي •

وعاد (النقيب ليتلديل) الى اربيل يوم الـ ٧ من شهر كانون الثاني، بعد ان اعتلى الطائرة في اليوم المنصرم وقصف (بجيل) في منطقة عقرة، وهي قرية الشيخ عبيدالله السورجي • ومنذ ذلك الحين فصاعدا غدت الـ (سورجي) ثائرة على الحكومة دوما •

انها كالقرحة المتعفنة التي لاسبيل الى شفائها ، وقد سرت عدواها الى منطقة أربيل اخيرا • وكان (مساعد الحاكم السياسي في عقرة) قد استدعى (الشيخ عبيدالله) ليمثل امام (المقر العام) في المنطقة ،فسلوكه ، في الاوان الاخير ، ما كان يبعث على الطمأنينة والرضى ، كما عرف أن زعيم قبيلة الـ (زيباري) : فارس اغا ، وأحد قتلة (مستر بيل) و(النقيب سكوت) ، قد زاره حديثا • ورفض الدعوة ، ولما اخفقت جميع الجهود التي صبت في سبيل الاتيان به ، تطلب القيام بأجراء جـوي •

وعلى ذلك ارسلت يوم الـ ٦ من كانون الثاني طائرة ، فيها النقيب ليتلديل باعتداده مراقبا ، فقصفت (بجيل) وفتحت عليها نار رشاش • وجرح الشيخ عبيدالله نفسه ، على حين قتل أحد زواره وهو زعيـم من زعماء قبيلة (خيلالي) يدعى (عزيز ــ ي ــ هودي) كما قتل اثنان من ذوي قرباه • وقامت الـ (سورجي) بتعبئة رجالها واتخذت موقفـا ينذر بالويل والثبور ، على حين جاء الزيباريون ، من فوق التـلال ، ليسدوا لها عونا •



طائرة عسكرية بريطانية فوق المناطق الكردية سنة ١٩١٦

واشفقت كثيرا من أمتداد الاضطراب الى جنوب النهر ، أذ دارت حكايات عن هجمة ينوي شنها على (باطاس) . وفي اليوم الـ ١٢ من كانون الثاني غدت الانباء المتناهية من منطقة عقرة على درجة من الترويع بحيث فكرت في تجنيد قوة عشائرية من قبيلتي (دزدي) و (خوشناو) بغية الهجوم على شيوخ الـ (سورجي) لكن الوضع بعد أيام قليلة جنح الى الهدوء فنبذت فكرة القيام بأجراء مباشر :

(ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لاتفرج !)

ومن حسن الطالع ان زعماء الـ (هركي) والـ (زراري) كانوا في اربيل عندما بلغ شأن الـ (سورجي) المضطرب القمة ، فلم اسمح لهم بالرحيل الى أن غدا الوضع اقل تهديدا . وكانت الـ (هركي) تخيّم، برمتها ، في جوار (ديره) . أن رئيسها المسمى (طاهر اغا) رجل يتمتع بسمعة عظيمة ، سداها الصدق ولحمتها الامانة ، وقد وعدني بأن القبيلة ستسدي لي العون أن احتجت اليه ، على حين حلف احمد خان - وهو رجل خبيث المخبر حسن المظهر ، وصديق سابق ليوسف بك واداته في محاولة كسر شوكة النقيب بيل والنقيب كيرك في الربيع المنصرم - ايمانا بأنه سيبقى امينا مخلصا . أنه وغد مرح ، فلم اثق به

ابدا ، ومن حسن الحظ ان نفوذه في قبيلته كان محدودا لذلك لـم اشفق من شيء يأتي منه ، وكان يسير ، في اعقابه ، الى كل مكـان يمضي اليه ، مخلوق ذو صدر منبسط خارق يعرف باسم : (شريف جن) ، اي : « شريف المرأة » ، أنها مخلوقة طويلة هزيلة (والهـزال يحير عن سوء الحال) ترتدي ملابس الرجل دوما ، وتحمل بندقيـة وعتادا ، وبقدر تعلق الامر بالقـوة الجـدية يذهـب الزعم الشـائع الى اعتدادها ، لكل فرد من الجنس الآخر ، ندا ، وقيل ان مثل هـذه من (الامزونيات)[٧] موجودات في امكنة اخرى من كردستان ، لكنها الوحيدة التي قدّر لي ان القاها ، وكان سلوك الـ (هركي) مثاليا طوال مدة ثوانها في منطقتي ، لقد دفع ابناؤها الضرائب كاملة غير منقوصة، وجنوا ربحا عظيما عن سبيل تهيئة وسائل النقل للسلطات العسكرية ،

واحمد بك زراري ذو الوجه الطويل البشم والعينين الرجراجتين هو على التحقيق، من لا يؤبه له ، وذو كيد شيطاني ، ولما لم يكن الا رئيس قبيلة صغيرة ، يسهل الوصول اليها من اربيل ، لذا حافظ على علاقات طيبة معي ، وقام ، في ظرف او ظرفين ، باجراء مفاوضات مـع رؤساء الـ (سورجي) ، أصهاره ،

وفي الـ ١١ من كانون الثاني وصل اربيل من رواندوز ، كل مـن اسماعيل بك والشيخ محمد اغا ، فوقفت على ان السكينة سادت هناك منذ رحيلي عنها ، وذلك على الرغم من ان الحـاج لورس واخـوان يوسف بك كانوا ، على ما يزعم ، يتكاتبون مع الـ (سورجي) ،

وفي هذا الاوان استطعت ان اجمع في اربيل جميع الرؤساء ذوي

---

(٧) ورد في اسطورة اغريقية ذكر نسوة محاربات ينتسبن الى آسية الصغيرة . وكانت ملكتهن المسماة (هيبوليتا) تتمنطق بنطـاق (اريس) وقد اخذه منها (هرقل) وقام ثيثوس مساعد هرقـل بخطف شقيقة الملكة المسماة (انيتوب) ولكي يستعدنها قامـت الامزونيات بهجمة على اثينه لكنهن دحرن اثر معركة ضارية . وثمة عصبة منهن جئن لمد يد العون في آخر سنة من حرب طـروادة، لكن (اخيل) قتلهن جميعا . (المترجم)

الخطر في (المحافظة)،ولقد استنزف وقتي كله في مواجهتهم وتكريمهم. وكنت قد عقدت العزم العازم على تشكيل قوة تعاقب الـ (سورجي) وقتلة (مستر بل) و (النقيب سكوت) ، وبقي هذا الهدف يراود فكري لاسابيع . ولقد وعدلي جميع الرؤساء بمد يد المعونة الي ، لكنهم كانوا يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى عندما يجيء أوان العمل ، وعرفت اخيرا انه لايمكن الاعتماد على القبائل ما لم تصحبها قوة عسكرية نظامية .

وأديت في الـ ١٨ من كانون الثاني زيارة الى الموصل للمشاورة مع الحاكم السياسي العقيد نولدر[٨] بشأن الوضع العشائري . لقد وضعت الخطط لقيام ارتال من الدرك وابناء العشائر من عقرة واربيل لغزو ديار الـ (سورجي) ، وغب ايام قليلة ، وفقت قوة من المكان السابق الى حرق قرية الشيخ رقيب[٩] . وهو من قتل نفرا من الدرك خلال الاضطرابات التي نجمت في تشرين الثاني . وحال تهطال المطر وارتفاع ماء الزاب دون القيام بحركة ما في اربيل .

وفي نحو هذا الوقت قدمت الى مَن في بغداد اقتراحات تتصل بتشكيل قوة نظامية ضاربة في اربيل ، تنضاف الى الدرك الذين كانت الغاية منهم الاضطلاع بواجب الشرطة حصرا . وكنت اروم تشكيل قوة عدتها : ٢٠٠ في الاقل ، وذلك بغية حماية روالدوز والقيام بأية حركات ، بازاء القبائل ، يحوج اليها . وصودق على المقترحات هذه في الوقت المناسب ، وعهد الى النقيب ليتلديل واجب تشكيل قوة (ليفي: مجندي اربيل) جديدة . وعمل هذا جاهدا ، وتقدم اليه الراغبون في التجنيد حالا ، لكن المدربين كانوا ، على كل حال ، قلة للغاية ، وحدثت تأخيرات عديدة في الحصول على تجهيزات لهم .

وكان شباط شهرا قزا يمض بردة باياب خداد . وتساقط البرد

---

(٨) عيّن حاكما سياسيا في الموصل في ١٤ تشرين الثاني اثر مقتل (الحاكم السياسي بل) في منطقة (بيره كبره) . (المترجم)

(٩) هو رئيس قبيلة (سورجي) في عقرة . (المترجم)

في اليوم الخامس منه ، وازداد في اليوم الثامن ، وفي ليلة العاشر منه كان تساقطه على إشده وبلغ علوه صباح اليوم التالي ٣ بوصات وكسى وجه الارض كلها . وتساقط اكثر فأكثر الى ما بعد الظهر من يوم الـ ١٣ من الشهر حين هبت ريح صرصر عاتية فأخذ بالذوبان . لقد حل هذا الطقس في وقت كنت اسعى فيه الى القيام بحركات عشوائرية ، فصيرها ، بطبيعة الحال ، مستحيلة . أن كل ما كنت آمله هو حملة يستطيل أمدها الى ثلاثة أيام او أربع ، من دون خيام او دريئات أخر ، كما ان الطقس يجب أن يكون حسنا بالضرورة ، للقيام بها . وفي آذار ، والثلوج تذوب ، تبدأ مياه الانهر بالارتفاع فيتعذر عبورها . لذلك كان لزاما علي تأجيل كل تفكير بشأن التعرض لـ (سورجية عقرة)، حتى اواخر الصيف ، وحالت في الوقت نفسه الاوضاع عينها دون تدخل الـ (سورجي) تدخلا ذا خطر في شؤوني حتى الموسم المذكور ذاته .

. . وفي اوائل شباط زرت قرية (لهيبة) في (كنديناوة) وقابلت اول مرة (خورشيد آغا) شقيق (ابراهيم اغا) الاكبر . كان يشبه ، في مظهره ، ابراهيم اغا ، الى حد ما ، وهو بنفس طوله ، وله ابتسامة اكثر من ابتسامة أخيه سحرا . لكن قوامه العام كان اكثر هزالا ووجهه اطول وابيض . وله لحية شمطاء ، متوسطة الطول ، وكان يرفض صبغها ، وهو اخشن من أخيه . كان السياسي منهما : ابراهيم اغا ، أما المحارب فهو : خورشيد . وكان مكلفا بقيادة قوات فرع بابز في الميدان دوما ، كما عرف بصلابته وعناده ، وقناته التي لا تلين بأزاء اعدائه . أنه رجل قوي يجنح للعنف ، على حين كان ابراهيم اغا يرتكن الى الـ (ديلوماسية) . وكان لاخيه مخلصا مواليا ، وأنهما ، معا ، أصلح من يقود القبيلة الى مصائرها .

كان خورشيد آغا يفتقد العقل وقوة التفكير ، أذ ما أن تخطر له خاطرة الا التزم بها ، سواء اكانت حقا ام كانت باطلا . وأن كرهه لعدوي اسرته ، احمد باشا والحاج پير داود ، لكره لا سبيل الى زواله،

أنه متزمت في كلامه ومقتصد ، وخيل لي عند مقابلتي له أول مرة أنه لايمكن أن يقارن بأخيه ، وهو أكثر منه تهذيبا وتشذيبا .

على أنه كان ، في ذلكم الأوان ، يعاني من تردٍ في صحته ، وكان يعزوه الى الدخينات ، وما كان عليه نبذ التدخين بقادر . ثم أني وقفت اخيرا على أنه يمتلك قلبا ، صيغ من ذهب . ومن بين أبنائه ٩ وهم خمسة ، واحد يدعى علي آغا ، ويعرف عادة بـ (غلو) ويبلغ من العمر ٣٠ سنة تقريبا . لقد كان من الشقاة المعروفين في العهد العثماني ، لكنه الآن أستقر الى حياة التعقل ، وأن لم يزل سريع الهياج جانحا الى التبدي والوحشية . وبقدر تعلق الامر بتكوينه الجسماني والعقلي جرت على أعتداده أفضل (اغوات الدزهيي) الشبان طرا .

ورحلت من (لهيه) الى (مخمور) حيث أمضيت الليلة عند (ابراهيم اغا) وكان قد رزق ولده الـ (١٧) في هذا الاوان عينه ، كما كان ابنه الوحيد الباقي على قيد الحياة اعني (مشير آغا) حاضرا . وكان أن وقف أمامي وقفة الفارس الطافح وجهه بماء الحياة ، وهو يرتدي أحذية وسراويل ركوب ضخمة ، وسترة زاهية الوانها ، كما كانت (شراشيب) غطاء رأسه تتدلى على ناصيته ، أنه في نحو العشرين من عمره ، طوله نحو ٦ اقدام ، وهو ذو لحية قصيرة خشنة ، وصوت عالي الطبقة . هو شاب على الفطرة معروف بالتبذير ، وقد جاء الآن في أحدى زوراته الغالبة ، تدعو اليها حاجة الى المال ذات الحاف ولجاجة . لقد استقر حديثا في موضع منفصل على مسافة من مخمور .

وحدثت ليلة الـ ٢٣/الـ ٢٤ من شباط حادثة ذات طبيعة مريعة . ذلك أننا لم نخلد الى الفراش الا عند منتصف الليلة تقريبا . وفي نحو الساعة ٣٠ : ١٢ صباحا ، أيقظتني أطلاقة على حين غرة . ومن عادتي أن أزعجني أمر ما ، وأنا نصف نائم ، أن افجر سلسلة من الصرخات حالا . وما ان استيقظت تماما الا خيل لي ان من المحتمل أن حارسا ما اطلق بندقيته خطأ ، وأنه عاد بعد ذلك الى نومه ، كرة أخرى ، وتناهى

اليء صوت النقيب ليتلديل صارخا ، وأسمع صوت اطلاقات اكثـر • وأمسكت بمسدسي وخرجت • وكان أول مـن قابلـت : الديدبان ، وجوابا عن سؤالي السريع أجاب أن ليس هناك من شيء وبمقدار مـا يعلم ، أن (الآى قومنداني) ـ يريد (آمر الدرك) ـ قد شهد على ما يظهر شيء ما ، واندفع وراءه في الظلام الدامس • وما كـاد ينهي كلامه الا اندفع النقيب ليتلديل ، وهو يرتدي (بيجامته) وبيـده مسدس ضخم • والظاهر انه كان في (المرحاض) من دون ضوء ، وهو في نفس الجناح الذي تقع فيه غرفتي • وما ان سمع صرخاتي والاطلاقة الا وتطلع من النافذة ، فرأى كرديين قريبين من نافذتي ، بيد احدهما مسدس وقذف بنفسه من نافذة المرحاض ، تلقـاء الرجل ، لكن هذا ولى فرارا • واستطاع الامساك باحدهم ، لكنه لم يستطع التمسك به لذلك افلت من قبضته • وكان أن صرخ مناديا الحارس وشرع بالتعقيب، لكن الليلة كانت حالكة السواد فلم يستطع ان يتبيّن شـيئا في الجهة التي فروا اليها • اما الحارس فأما انه كان نائما او كان ينظر الى جهة أخرى ، على الجانب المقابل من البيت • فلقد ركض واطلـق في الهواء اطلاقات قليلة ، ودأب على ذلك حتى لقيني اخيرا • وما أن أرسلت الى السيد علي رسالة ليقوم بتفتيش المنطقة الا عدت ، وليتلديل الى غرفتي لاقف علـى مـا حـدث من الضرر فيها • وكان الخدم قد استيقظوا وتجمعوا جميعا • وكانت شبابيكي مغلقة والزجاج لم يصبه أي كسر، فداخلتنا حيرة عظيمة حتى أشار (برادشـو) الى صورة قريبـة لي موضوعة على المنضدة ، على الجهة المقابلة من الغرفة ، وكان ثمة خرق فيها ، وخلفها عثرنا على بعجة في الجدار ، وعلى الارض وجدنا اطلاقة صغيرة من رصاص ، لا معدى عن ان تكون مطلقة من مسدس من نوع رديء قديم الطراز • وعندما فحصنا النافذة وجدنا في الاطار الخشب الكائن بين الالواح خرقا طبيعيا وقد سودت حـافاتها • والظاهر أن مهاجمي المجهول قد صوّب مسدسه نحو قدمي (اذ لم يستطع تبيّن الجهة التي كنت مضطجعا فيها) ، لكن شكل الخرق الـذي كان في

الخشب حال دون أن يطلق النار باتجاه مستقيم ، لذلك سارت الإطلاقة بدائرة ، عبر الغرفة ، أفقيا ، ومرت من (الصورة) فاصابت الجدار الكائن على الجهة المقابلة .

وأطلعت احمد افندي (والصنح أدرتنفس) بالحادث الآنف الذكر ، فاهتاج له وماج كثيرا . وأرسل من يستدعي قصاص أثر خبير ، ولم يتأخر في سبيل الوقوف على كنه المتدين وسعا . وبسبب من المطر الذي تساقط صبحا لم يصب قصاص الاثر الا نجحا قليلا ، ولم يحقق الا أن الجماعة المداهمة كانت تتألف من ثلاثة كان اولهم يمتطي مهرا ، والثاني بغلا ، والثالث يمضي على القدمين مشيا . وانهم جاءوا من ركن في المنطقة يقع شمالا ـ شرقيا . واستقرت شكوكي على اناس متعددين ، على التوالي ، بالنظر الى طبيعة السلاح البدائي المستعمل ، والطرائق الفجة المصطنعة ، جنحت الى ان المدعو (حمادة شين) ـ وهو الذي اطلقت سراحه من السجن في اليوم المنصرم ـ هو المسؤول عن ذلك . كان قد جيء به ومثل امامي في باطاس ، قبل نحو ستة اسابيع ، وكانت تهمته انه اغتد في امرأة عجوز خنجرا . انه طويل القامة هزيل عليه مظهر المتوحش ، وشعر لحيته رمادي يميل الى زرقة . وكان في العهد التركي شقيا طار اسمه كل مطار وما ان اعلم بالشكاوى المقدمة بأزائه الا اخذ يحتج ، وعلا هياطه وعياطه ، وأخذ ينفيها بشدة ، ثم انه رمى بغطاء رأسه (١٠) من فوق رأسه أرضا ، وأتخذ مسلك فظ غليظ عموما ، فاضطررت الى ارساله الى أربيل ليغدو السجن له مستقرا . وعقب ايام قليلة من المحاولة التي جرت لاغتيالي تحدى سلطة (مدير ديره) جهرا ، وجرت محاولة لالقاء القبض عليه لكنه لاذ بالفرار ، عبر الزاب والتحق بالـ (سورجي) أخيرا .

وفي الـ ٢٦ من مشباط رحلت في زورتي الثانية لـ (رواندوز) يصحبني كل من النقيب (ليتلديل) والنقيب (يكينسن) الذي وصل

---

(١٠) هو في الغالب ، يشبه العمامة ويطلق عليه في الكردية (شده مسكى : مسچى) . (المترجم)

أربيل حديثاً ليكون لي ظهيرا ، وضابط آخر أيضاً . وعانينا من العسر شيئاً ، ومرد ذلك الى الصقيع المتساقط في (المضيق) ، ولولا ذلك لكانت رحلتنا من دون حادث ما . وكان ثخن الصقيع في رواندوز لا يزيد على انج واحد او انجين ، وقد ذاب في بعض الامكنة ، لكن الجبال المحيطة كانت مكسوّة بكساء سميك منه ، ولها منظر رائع حقاً . ولقينا (اسماعيل بك) على التشز وقام باضافتنا على اسلوبه السمح الكريم . ووجدت للمكان هادئاً جدا ، وما كان هناك من عمل يعوقني فيه الا القليل .

وفيما بعد ظهر الـ ٢٩ من الشهر مضينا راكبين ، ومعنا كل من اسماعيل بك ومحمد علي آغا واتباعهما ، عبْر (دشتي ديان : سهل النصارى) الى قرية (بالكيان) .

يحيط بهذا السهل ومساحته ٦×٤ من الاميال ، مدرج من جبال ضخام . أنه يضم موقع « المطار » حيث وجدنا جزءاً من ماكنةالطائرة، وهو ما تبقى منها عندما تحطمت عنده ، في ايلول المنصرم . وتقع (بالكيان) التي تقطنها ٦٠او٧٠ اسرة تحمل الاسم نفسه ، والاسرهذه شبه رحالة ، عند اقدام سلسلة تلال منحدرة كائنة على ضفة جدول عظيم فيه ركائز قنطرة بناها (محمد باشا) ، وقد غدا ذلك منذسنين أخربة وركاماً . واثر مسافة اميال قليلة نزلا ، ينفذ الجدول من الجبال ويلتقي بـ (رواندوز جاى) داخل (المضيق) . وكان مختارا القرية وكلاهما يحمل اسم : سليمان آغا ، أول من سعى الى رواندوز ، اثر وفاة يوسف بك ، يقدمان عونا . أنهما من النذج البسطاء ورجالهما ينتمون الى ذلك الطراز الكردي المتوحش المتبدي . أنهما قصيرا القامة ، لهما بنية قوية ، وشراويلهما لها فتحة تشبه الجرس ،والسترات مهلهلة سميكة ، وغطاء الرأس ذو « شراشيب » تتدلى . وبعد ان شاركا في احتساء الشاي وأكل الخبز وشرب الـ (شنين) ، عدنا

بسبيل مختلف قليلا فمررنا بـ (بابشتيان) ، حيث يسكن (خورشيد بك) الذي كان لدى زيارتي الماضية ليوسف بك غريما مناوئا .وخارج القرية تماما ثمة بستان من شجر البلوط فيه أغصان غريبة ، والفروع الطرية في هذا الشجر تقطع وتدخر علفا للضأن والماعز عندما يغمر الارضين الثلج والوفر . ومن فوق تل قريب شهدنا منظرا رائعا عجبا ، أنه منظر رواندوز والاخاديد التي تطيف بها .

وقام اسماعيل بك ، في تلكم الامسية نفسها ، باستضافة جميع الوجهاء في مأدبة عشاء القيت فيها الخطب كالمعتاد . وبعد تناول الطعام وصلت (فاطمة خانم) [11] وطلبت مقابلتي . وكان زوجها قد قضى نحبه قبل الاحتلال البريطاني وخلف لها مالا عظيما في قريتي (اكويان) و (فافيان) الكائنتين على بعد ميلين من (رواندوز) أو ثلاثة أميال . ونصبها (الرائد نويل) رئيسة على الوادي الذي تنتمي اليه القريتان المذكورتان ، لكن بعض اتباعها الرجال ، على كل حال، اعتدوا وضعهم في أمرة انثى امرا بكرامتهم ماسا ، لذلك جاءت ، في أعقاب ذلك ، أضطرابات كثيرة فاضطر مساعد الحاكم السياسي اللاحق الى عزلها ،

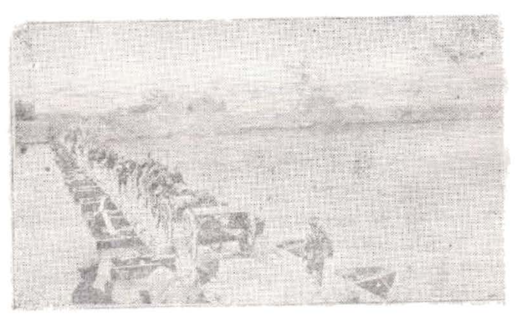
....

(11) استطاعت فاطمة خانم ان تدير شوءون ٨ قرى بعد وفاة زوجها، وحديث هذه السيدة يسوقنا الى حديث سيدة اخرى نظير لها ، عاشت في المنطقة نفسها تقريبا ، فثمة اميرة كانت تدعى (خانزاد) كان لها شان في (هەرور : حرير) و (باطاس) عندما قامت فيها امارة سوران الكردية . لا تزال لهذه الامارة آثار بين شقلاوة وكلي علي بك . لقد كانت هذه الاميرة ترتدي ملابس الرجال وتحمل السلاح وتسري ليلا للمراقبة وتجلس لسماع شكاوى الناس وحل خصوماتهم ومشاكلهم . وكان قصرها في شقلاوة ولا تزال آثاره على جبل سفين واثر موتها انقرضت الامارة وكان ذلك على ايدي حكام العراق العثمانيين ، اوانئذ .

(المترجم)

و (فاطمة خانم) ذات آراء متقدمة بالنسبة لحقوق النسوة • وفي الخريف المنصرم زوجت بنتها من (الشيخ مازو السورجي) وذلك بخلاف رغبة أخيها (تقي الدين بك) وهو من كان يعتد نفسه الرجل الوحيد الذي له الحق في ذلكم الامر • ولجأ هذا الى العنف فغدا حبسه لحين من الدهر أمرا لازما • وبينا كان (الشيخ مازو) يوشك على اخذ عروسه التي ضمنها له تدخل الحكومة ، فتصف عمه الشيخ عبيدالله فثارت الاسرة بازاء السلطات الحكومية كلها • وكان من الضروري ، في هذا الاوان ، أن تخبر السيدة بانه لا معدى عن تأجيل الامر حتى فرصة مناسبة اكثر ، وقد أنذرتها باني سمعت بانها ارسلت هدية من العتاد الى (مازو) الذي تؤثره •

جاءت لمقابلتي وهي ترتدي اللباس الازرق المعتاد الذي ترتديه نسوة الاكراد وقد أسدلت عليها نقابا وسيعا يغطي وجهها وينسحب على ملامحها ، ولا يسمح لي بأن ارى الا ، على لمحات ، وبين الفينة والفينة ، فما واسعا كريها • وتراءى عليها الاضطراب كثيرا ، وتكلمت



الجسر الذي نصبه الجيش البريطاني على نهر ديالى وقطعاته تعبر عليه في آذار سنة ١٩١٧

معي ، وكان اسماعيل بك في ذلك وسيطا . وفي اليوم الثاني من الشهر رحلنا ، إلى اربيل عائدين .

ومر (آذار) من دون حادث في لواء (محافظة) اربيل ، وكانت السحابة المطبقة الوحيدة هي اضطرابات الـ (سورجي) ، في قضاء عقرة . وشغل وقت السلطات الحكومية كله بالقضايا الرتيبة ، ولعل في ذكر تفصيلاتها ما يمل منه (القارىء) . وقصتي ، في الدرجة الاولى ، تسجل حادثات جلّى وقعت لـ (كاتبها) ، وعلى الرغم من مروره بالفترات التي تخللتها لم يذكر عنها شيئا ، الا أن ذلك لا يعني أن قضايا ، على حظ كبير من خطر ، تؤثر في بلاد ما بين النهرين عموما ، لم تقع في امكنة اخرى .

الفصل الخامس عشر



زيارات : رواندوز والحد الفارسي

في أواخر شهر آذار نقل الموقع العسكري في (باطاس) الى (كاني وتمان) الكائنة عند نهاية (المضيق) السفلى . وفي اليوم الاخير من الشهر المذكور أعلمني (الآمر) تلفونيا بانه تلقى من عبدالله باشا خبرا مفاده أن ٤٠٠ رجلا قد عبروا (الزاب) أستعدادا لمهاجمة (موقعه) .

لم أصدق هذا الخبر مطلقا ، وان كنت اعلم ان منطقة عقرة اخذت تفور بالقلاقل وتمور ، كرة أخرى . واتضح ، بعد ذلك ، أن (حمادة شين) قد غادر ديار الـ (سورجي)، شمالي الزاب ، صحبة نحو ٤٠ رجلا ، وشرع بعبور الزاب عاقدا العزم على تصفية أحقاد وثارات قديمة مع بعض القرى الكائنة قرب (كاني وتمان) . وما أن يتناهى الى الشيخ عبيدالله خبر مخططاته ، ولوجود أعمال له في أمكنة أخرى ، الا استدعاه .

وجاءت الاخبار ، غب ثلاثة أيام ، تفيد بان الـ (سورجي) هاجمت قافلة عسكرية فقطعت عليها الطريق بجوار عقرة [1] واخذ رتل تأديب من الموصل ، لكن الثوار في الوقت نفسه ، وبالاتفاق مع الزيباريين[2] انحدروا منقضين على عقرة نفسها ، كرة اخرى ، واستطاع الدرك ان ثبتوا في اماكنهم ، ولم يستطع العشائريون الا احتلال قسم من (انبليدة) وما ان وصل العسكر الا انسحبوا منها .

---

(١) تبعد عقرة عن الموصل زهاء ٩٥ كيلو مترا . (المترجم)

(٢) كان رؤساء قبيلة الزيبار الثائرة في هذا الاوان هم :

آ ــ بابكر اغا الزيباري وقريته (بيره كبره) التي سلف القول عليها .

ب ــ فارس آغا الزيباري وقريته (هوكي) ، الكائنة الى الشمال الشرقي من عقرة وتبعد عن (بيره‌كبره) ١٢ كيلو مترا .

ج ــ محمود اغا الزيباري وقريته (نباخي) الكائنة وراء جبل بيرس . (المترجم)

وحسب أن هذه الاضطرابات سيكون لها أثر مقلق في منطقة رواندوز . وعلى ذلك فصلت ، والنقيب ليتلديل ، ومعنا نحو ٧٠دركي كانت النية منعقدة على أن يجلوا لدى معبري الزاب عند (قنديل)و (باردين) لئلا تستخدم الـ (سورجي) هذا الطريق لمهاجمة منطقتي ، وسواء كان ذلك للاعتداء او كمحاولة للهروب من الرتل الذي يوشك على زيارة ديارها . وصحبني (النقيب هملتن) : المنسوب الى وحدة رسل المشاة /٩٤ وذلك للحصول على معلومات تتصل بالارضين .

وقابلت في (ديره) رؤساء الـ (هركي) [٣] وهم الذين قاموا بصد قوة معادية عبرت النهر في ذلك الجوار . ثم سلكنا الطريق الرئيس المفضي الى (بابا جيجيك) حيث وجدنا (المجنّدين : الليفي) الذين ارسلوا أولا . لقد (أخذت الارض زخرفها فاكتسبت جمالا رائعا واصبحت على أبهج ما تكون منظرا) . وكان كل ما عليها اخضر ، والنجوم النبت اوراق طرية : (جال الندى فيه حتى مال اعناقا) ، كما كان الحدور من (دوين) مونقاً ، قد فرش بشقائق النعمان وزهور أخرى ، لحظت من بينها برعما يشبه (جزاب النحل BEE ORCHIS شبها كبيرا .

وأمضينا ليلتنا في (بابا جيجيك) حيث وافاني فيها : مصطفى آغا، وحرس عشائري صغير . وحاولت أن احط من اثقال النهار ويشتملني النوم ، لكن المطر والريح والهباء المنثور اضطرلي (ولا بد مما ليس لنا منه بد) الى ان انتقل الى الداخل واستسلم الى القمل .

ورحلنا ، في اليوم التالي ، صبحاً ، عبر نهاية دشتي حرير [٤] اسفلي : وقطعنا ارضين متموجة معشوشبة ، بورودها بهيجة مبتهجة،

---

(٣) هي من القبائل الكردية الرحالة ، ورحالة الاكراد كبدو العرب يسكنون خياما طويلة سوداء اللون غالبا مصنوعة من قطع شعر الماعز تخاط وجوانبها ترفع او تخفض حسب تبدلات الطقس ووجهة الريح . وتقاس مكانة صاحب الخيمة وثروته بسعتها وعدد اعمدتها . (المترجم)

(٤) دشت كلمة فارسية النجار تعني : السهل . (المترجم)

وتتخللها جداول ذات ضفاف عالية . ولا يمكن ان يتقبّر ، على الوجه الاتم ، جمال العشب الاخضر النضير الذي يكسو الارضين في (الفصل الضاحك) الا من عاش عشرة من شهور السنة في عالم اغبر طيني آن.
ووجدنا رئيس آل (سورجي) علي بك ضارباً خيامه السود على الموقع المفتوح المعشوشب الكائن قرب قريته . لقد جاد علينا بمائدة حافلة بنفيس الطعام ، ثم اتخذنا سبيلنا ، بعد ذلك ، على ضفة النهر .وكانت ديار الـ (سورجي) المعادية تقع قبالتنا ، وهي تلال متشابكة خفيضة مربجة تطل عليها ، من الجهة الشرقية ، الكتلة الشاحبة المسماة : (عقرة داغ) . وكانت قرية او قريتان غير مشتركتين مع الثوار ، قد رفعتا الاعلام البيض ارهاصاً للطائرات بانهما في عداد الاصدقاء . ووجدنا (قنديل) خاليا تماما ، ذلك ان جميع السكان يحلون ، في مثل هذا الوقت من السنة ، في خيام . ولا سبيل لعبور النهر الا على (اكلاك) صغيرة تسندها (جربان) منفوخة ، يحمل الكلك الواحد منها نحو ستة رجال . وقر رأينا على ان (باردن) هي خير موقع يحل فيه الدرك.
وهذه القرية ملك (شوكت افندي) ، وهو من أبناء الموصل ، كان قد حل في منطقة راوندوز منذ امد بعيد . أنه رجل في وسط العمر ، محدودب الظهر ، وذو طبيعة مرّة . قيل انه كان عريفا في الدرك في اول عمره وقد صيّر نفسه مكروهة من قبل اهل راوندوز بحيث انهم امسكوا به ذات مرة واوسعوه بشراسة البهيم ضرباً سببوا له الضرر الذي نجمت عنه التشوهات التي يعاني منها حاليا . وكان من الذين يكنزون المال كثيرا ، وغدا رئيسا لبلدية راوندوز اخيرا ، وعندما اخلى النقيب كيرك (البليدة) انسحب هو الى قريته وجعلها ، منذ ذلك الوقت له مستقرا . أنه من دأب على التظاهر بصلة مع الحكومة وارتباط بها ولقد زودني بكثير من المعلومات المفيدة المتصلة بالسورجي .

ولعله كان يزود عدونا بمعلومات هي اكثر قيمة ونفعا ، وبذلك كان للسياسة التي اختطها لنفسه والتزمها طوال حياته ، بالنسبة للطرفين ، صادقا .

وتقع (باردين) عند اسفل (المضيق) تماما وحيث ينفذ الزاب الاكبر من سلسلة الجبال الصّم الراسيات المعروفة جنوبا باسم (حرير داغ) وشمالا باسم (عقرة داغ) • والشاهق الصخر • الذي لا معدى عن ان يكون طوله ٥ اميال وفي الوسط يبلغ عمقه : ٣٠٠٠ من الاقدام ، رئي من بيتي في اربيل • ان جوانبه تتألف من صخر اسود منحدر • وثمة مسار عسير ينفذ من المضيق كائن في الجهة الجنوبية ، واني لاعتقد بأن الجانب الشمالي لا سبيل الى اجتيازه ابدا • وعلى الضفة المقابلة لباردين وعلى علو ميل تقريبا تقع قرية (بخم) ، قائمة عند مدخل المضيق تقريبا • وفوقها بقليل شاطىء صغير تنطلق منه الاكلاك • ان هذا هو الموقع الذي يتحتم مراقبته ، ذلك ان (حماده شين) كان قد شرع بالعبور منه قبل ايام قليلة •

وتغدينا عند (شوكت افندي) ، وكان (الحاج الشيخ محمد)، مختار قنديل ، حاضرا ايضا • أنه رجل بلغ من الكبر عتيا ، ذو لحية ببياض الثلج • وفي خضم الاضطرابات التي نجمت ابى ان يكون مع اي فريق ، لذلك تراه لينعم بثراه رغدا سالما • وبعد الغداء ودعت النقيب ليتلديل واتخذت سبيلي الى كاني وتمان يصحبني كل من النقيب هملتن والسيد علي • وارسلت مصطفى آغا ورجاله الى باطاس لاني كنت اعتقد باني لن احتاج اليهم في رحلتي الى رواندوز •

وعبرنا نشزاً خفيضاً ، ومررنا بقرية (اموخه) الواقعة في واد منعزل خاص بها ، ومنها اخذنا برقى سلسلة التلال الرئيسة ، ثم ولجنا ارضا مريجة كثيرة الاحراج •

وبعد ساعة او ساعتين ، وبينا كنا نتوق الى معرفة أين كنا ، بلغنا قرية صغيرة ذات اكواخ حقيرة مبنية بالطين والحجر واقعة عند عين كبريت يثرثر ماؤها متدفقا من خزان صخر ويروي بستان فاكهة صغيرا • وكانت ثمة معروشات عنب قليلة متناثرة حولها • انها الآن ترتدي حلتها السندسية ، كما كانت ثمة قطع من الارضين ، لون تربتها اسود ، جرى استصلاحها من غابات الصنوبر بغية زرع الحنطة والشعير والتبغ •

والقرية ذات ظل ظليل وتخفيها سوامق شجر الجنار والصفصاف.
هنا استقبلتنا العجوز التي جيء بها التي في باطاس ، هي على شفير هلاك ، وزعم انها جرحت في سبعة امكنة من قبل (حماده شين) .
واعلمتنا باسم القريــــة أعني (كاني كوليلكا : نبع الورد) (٥)
واشارت الى الطريق المفضي الى (كاني وتمان) . وغب ان رقينا تلاً تحفه الشجر وجدنا ، في وهاد مستنقعات منفسحة ، ألفدنة مزروعـــة بالنرجس ، واريجه يعطر نسيم المساء : (؛ الشرط في الزهر الارج) .
واخذ الاصيل يحسر عن الارض والسماء ضوءه الشاحب الحزين في اناة وئيدا ، وعند ذلك بلغنا غايتنا . واستضافني ، بسماحة ، الملازم هنتر المنسوب الى (وحدة مشاة رسل/٩٤) وروى لي مفصلا المخاوف التي انبعثت اخيــرا .
ورحلنا صبح اليوم التالي ، صحبـــــة الملازم هنتر ، لاستكشاف الارض الكائنة شمالي (كاني وتمان) ، وعلى وجه أخص للتحري عن المعبر المحتمل لقوة معادية ، على الزاب الاكبر او (جـــاي رواندوز) بجوار مقرنهما ، وكانت المنطقة التي مررنا بها موحشة الغاية.ولانعدام احتمال زيارتها من قبل اوربي فيما مضى ، فانها تستأهل وصفا مسهبا نوعمّا . وباتباع الطريق نفسه ، اعني الطريق الذي جئت عليه في يومي الغابر حتى قرية كـــاني كوليك ، دأبنا على السير بمحـــــاذاة وادي (رواندوز جاي) ونحن على علو بضعة اقدام من المجرى . وكــــــان يساورنا فوق ارض منحدرة ، فيها واجهـــة (سيروان داغ) الصخري الحادة ، وهو الذي يبلغ ارتفاعه ٦٠٠٠ من الاقدام ويطل علينــــــا من الجهة اليــسرى . وكان في الجهة السفلية منا نشز من السلسلة الرئيسة يظهر سلسالا من القمم المسننة وكأنه مشط عظيم .
أن الحدور الكائن بين النشز العلوي وهذه القمم لكثير الشجر ، وعلى وجه اخص شجيرات البلوط . وواجهنا عبر (رواندوز جــاي)

....

(٥) يلحظ ان معنى (كاني) في كردية هذه الارجاء : عين الماء الجاريــة او النبع (المترجم)

المنحدرات السود الفظة العائدة الى (بياو داغ) ، ولهذا عرف طويل خياله على صفحة السماء . ولا تزال قطع الثلج مجللة ذروته . ويمكن تمييز قلة من القرى ، هنا وها هنا ، متناثرة على سفح الجبل ، ويطلق على المنطقة اسم (مجالي بياو) . انها مسكونة من قبل فرع من فروع السورجي يتزعمه رجل يدعى (هريس اغا) . والمنطقة التي كنا نجوس خلالها ، وتعرف باسم (سورجيا) مسكونة من قبل السورجي ، وهم بامرة (حماده شين) الرمزية . لكن اتباعه ، على كل حال ، مختلفون معه .

وبعد مرور ساعة على رحيلنا عن (كاني كوليك) زاكبين ، بلغنا (كوراس) الكائنة بين معروشات العنب وشجر العرموط ، والاخيرة قد ازدانت بتمام حلتها من النور الزاهي .

وتحت القرية تماما هناك قلة من الحقول النضرة الخضراء المستصلحة من الغابة ، ولولا ذلك لكانت مطبقة عليها . وتسكن القرية ثلاث اسر ذوات املاق ، وابناؤها من اكثر الاكراد تبدياً ووحشية ، وهم اكثر شبها بالدببة من بني آدم (والعهدة على المؤلف : المترجم) .

ودخل الطريق ، الآن ، غابة كثيفة من شجر بلوط ضخم حقا ، يبلغ قطر الواحدة منه قدمين ، او زود على ذلك شيئا . ويتداخل معه شجر عرموط وهو الآن زاهر مزدهر تماما ، والزعرور ، وثمة نبت تحتاني من نجوم ، ذوات اشواك ، شتى ، وخصلات من حشيش ايضا . وكان اليوم قائظا ، حارا ورطبا ، ويطيب فيه استنشاق رائحة الاحراج صيفاء وقرب الطريق كانت هناك ينابيع رمستنقعات ، تحيط بها قطع مخضوضرة مشرقة مطرزة بضروب من الزهر كثيرة ، ومنها النرجس وبصل العنصل : SQUILLS والمنثرات FRITILLARIES والاوركيد : ORCHIDS . وانحدرنا ، خلال الغابة فمررنا من اسفل خط القمم ، وبلغنا قرية (ساوير) الواقعة ، من كثب ، على قرن النهرين . وعند مفرق الطرق ، على الجهة الاخرى من (جاي واندوز) ، هناك رقعة وسيعة من حقل اخضر ، غير مزروعة وغير

مسكونة . وتسلقت التشز ، صحبة الملازم هنتر ونفر من الدرك قليل، وهو كائن فوق القرية ، ثم اننا مشينا بمحاذاته مسافة ميلين او ثلاثة اميال ، ونحن تتخلل غابة كثيفة ، حتى بلغنا لقطة تطل على الزاب الاكبر رأسا . انها واقعة عند مقرن (الزاب الاكبر) بـ (رواندوز جـاي) تماما . هنا ينعطف الزاب عطفته اليمنى ، وعلى جانبنا الايمن ذلـك الجدار العظيم المسمى (اياو داغ) المتجه الى الشمال ـ الشرقي ليدخل الجبال الكائنة في ديار (بارزان) و (شيروان) .

وتقوم امامنا النهاية المقطوعة لسلسلة من التلال تعرف باسـم (بيريّس داغ) ، وعلى امتدادها كنا واقفـين ، على حين كـان يتراءى بينهـا وبين (يـاوداغ) منخفـض عميـق ينسـاب الزاب تحته تلقاءنا حتى يقوم بانحراف كاسح كبير .

كان الزاب ، بالماء الذي يمد فيه (رواندوز جاي) منطلقا تحتنا ، داخلا المضيق الحالك المفضي الى (باردين) . وعلى شمال (بيريّس داغ) ، وبينه وبين (عقرة داغ) ، ثمة واد طويل ضيق ينحـدر الى ضفة النهر تماما ، وعليها تقوم القرية الزيبـارية المهجورة المسماة : مالاموس . وقبالة هذه وتحتنا تماما ، وعلى شمالنا ، هناك واد مونق يضم القرية الصغيرة المسماة (دولاتيـو) وكنا قادرين على رؤيـة أهلها ناشطين في اعمالهم اليوميـة .

وكان يحد مشهدنا في هذه الجهة جبل قائم على كماله تقع خلفـه (باردين) و (دشتي حرير) . ورأينا على ان قوة عشائرية لن تصادف الا شرا طفيفا ان ارادت عبور النهر من (مالاموس) الى (دولاتيـو)، شريطة انتهيء لها الاطواف .

وبينا كنا مشغولين بدراسة ما حولنا انطلق احد الدرك ، على حال هياج ، قائلا : انه شاهد حية ضخمة . وذهبنا معه وشهدناها ملتفة في حفرة في الارض . واطلق الدركي وابلا من الرصاص عليهـا فقتلها . كان طولها نحو ٥ر٤ من الاقدام وقطر جسمها نحو ٣ انجات ولهـا رأس ضخم منبسط وثمة بقع سود على عنقها .

وبعث الرمي هياجا عظيما في القرية الكائنة تحتنـا وتجمّع جميع اهلها ، على سقوف منازلها ، انها حيّة حسب ، فعـادوا الى واجباتهم وعـدّة عـديـدة .

ونزلنا التل واتخذنا سبيل الرجعى الى (ساوير) ، وكان مسارنا مسارا آخر ، يمر بشجرة جنار مرداء ، عارية من الورق ، ساعيـة الى فناء . ولا معدى عن ان جذعها ذو قطر طولـه ١٠ اقدام . كانت منخورة مجوفة ، سوداء في داخلها ، كما كان ثمة ينبوع يثرثر خارجا مـن جـذورهـا .

ويقول السكان البلديون ان الجنار يعيش ١٠٠٠ سنة ، ومدةنمائه منها ٥٠٠ سنة ، ويستهلك بسبيلنار داخلية طوال الـ٥٠٠ سنةالاخرى.

وفي قرية (ساوير) نحو سبعة دور ، ومختارها : علي بك شقيق (هارس اغا) البياوي ، والرجل على غير ما هو مأمول ، ذو اخـلاق محببة ، أن اخذ بنظر الاعتبار المحيط الذي يعيش فيه . واستلقينا على صفة معشوشبة تغمرنا أشعة الشمس وشاركنا في طعام ، جاء به الينا ، مؤلف من زبدة وخبز مصنوع من سحيق البلوط ، وقطـع من اللحم المقلى ، وبعض بلوطات وصحن كبير من الشنين .

وعدنا متخذين السبيل نفسه ، من حيث أتينا ، فيما خلا عطفة صغيرة تفضي الى (القرية) حيث كنا نروم التحري عن مواضع عبور (رواندوز جاي) . ان هذا الجدول غير قـابل للعبور في مثل هذا الوقت من السنة ، لكن ثمة مكانا واحدا ، قرب كـالي وتمان ، تتقرب عنده الضفتان المنحدرتان بحيث يمكن نصب جسر وذلك برمي اعمدة ثقيلة عبره . وعلى هذا الطريق اعتادت الـ (هركي) وغيرها من القبائل الرحالة ان تسوق خرافها تهربـا من الضرائب التي كانت تفرضهـا السـلطات التركيـة .

وامضيت ليلتي في معسكر كالي وتمان ورحلنا وكان المضيق رائعا يختال بحلته الربيعية ، وفي القسم الاعلى من الحـدور ، فوق الطريق وتحته كان الطريق مكسـوا باكداس من الزهر ، انها قرمزيـة اللون

وبشيعة ، ولاوراقها ابر .

وشهدنا في أماكن اخرى ما بقي من كتل عظيمة من الزنابق ، توجد بكثرة ايضا في (كنديـنوة) ، وهي ذات لونين : موف MAUVE شاحب وارجواني ، أن كلا من النوعين مرقط بنقط صفر وسود ، واخذ الثلج يذوب في هذا الاوان ، فغدا (نبع بيخال) على أفضل حال .

ووجدنا اسماعيل بك والشيخ محمد آغا ينتظران مقدمنا ، على الربوة الكائنة فوق البلدة ، ومعهم نمارق فرشت تحت ظلال شجرات ، وسماور معد وهو يغلي . وبعد استراحة استطالت نصف ساعة واحتساء اكواب من الشاي انحدرنا الى (البليدة) حيث امضيت ما بعد الظهر والامسية في محادثات ممتعة نوعما دارت بيني وبين اسماعيل بك وغيره من وجهاء البليدة .

وعلمت ان (نوري) قد غادر (رواندوز) قبل ايام يروم زيارة بعض القرى الكائنة في (وادي اكويان) و (قبيلة هاروني) التي تقطن



منظر من مناظر كردستان

الجزء الاعلى من الوادي المنحدر الى كاني وتمان . ولمح اسماعيل بك الى انه كاديمني بشر لكنني لم الحقه في هذا الأوان . وسألت (باويل انيا) أين هو ولده ؟ فأجابني انه ذهب يصطاد (وعل الجبل) فوق (تريك داغ) . وفي اليوم التالي ، وبينما كنت أهم بمغادرة البليدة شهدته واقفا خارج بيت ابيه ، حلله الخجل الى حد ما . وفي رحلة العودة اتخذنا سبيلنا فوق جبل تريك في الطريق المسمى (بيجان) بدلا من الطريق المعتاد المار من (المضيق) . ان القسم الاول من المرقى وعر جدا ، ذلك أن الطريق يمر من مضيق ضيّق كائن بين قمتين تطلان على السلسلة الرئيسة ، على الجانب الشرقي منها . والطريق يمر على صفاح ضخمة ومنه ينفذ الجرف الذي يجهز القسم الشمالي من رواندوز بالماء ، وانه ليشق على الحيوانات للغاية . وما ان ينفذ المسار من هذا المضيق الا يصبح منبسطا اكثر ، على كونه لايزال منحدرا كثيرا . وقرب القمة قطع من الثلج تذوب ، وبقربها تنمو ورود رقيقة غريبة ، على حين يمكن أن تشاهد ، هنا وهناك ، خنادق ليست بذات غور ، كان يحل فيها الاتراك عندما كان الروس في رواندوز . وعلى قمة التل يمر الطريق بمسافة الف قدم فوق واد موحش تجثم عبره قمم وعرة وشواهد منحدرة تحوم فوقها سحب ثقال .

ويخترق المنحدر الوطأ المحجرة ويمر من حصن (بيجان) الخرب ، وهو واحد من حصون كثيرة ، بناها (الباشا الاعمى) . واستدرنا شمالا وسرنا بمحاذاة وادي (الالانسو) وهو الجدول الذي ينساب تلقاء (كاني وتمان) ويدخل المضيق مع الطريق الرئيس . وبعد أن مررنا بقريتين او ثلاث قرى صغيرة عبرنا الساقية أخيرا واتخذنا السبيل الى المعسكر صعدا .

وبينا كنا نجوس ، خلال هذه الديار الجبلية الشجيرة ، كنت افكر دوما بما الذي نحن صائرون لو هوجمنا فيها . لقد كان يحدق بنا خطر عظيم ، ولم اعلم بذلك الا بعد أسابيع . ذلك ان قبيلة (هروتي) ، وعدتها نحو ٤٠٠ ، كانت تسير على اعقابنا ، وقد اوشكت على الالتحاق

بنا قبل أن نبلغ مأمنا . ولعل (نوري) سـار في أثرنا مـن روانـدوز واحـاطهم خبـرا .

وفي اليوم الـ ١٣ انحدرت الـى باطاس راكبا ، حيـث قابلـت النقيب لبتلديل و (صالح بك) أيضا ، وهو من جاء صحبة ١٠٠ رجـل نسدي ني عوننا . وصحبته الى قرية (بشور) العائدة الى ابـن عمه : (عبيد بك) وهو رجل «ناعم الملمس» خبيث قتل اغلـب اخوته كـي يستحوذ على مالهم (والعهدة على المؤلف : المترجم) . ومن هنا سرت راكبا لاميال قليلة ، الى قرية اخرى في السهل تسمى (سيـاوا) حيـث وجدت قادر بك وقد ارتدي حذاء الركوب وتجهـز بجهاز الحـرب كاملا . لقد قام بتعبئة رجاله ايضا ، لمديد العون الي ان كـان ذلك لازما . ومهما تكن الحال ، ورد نبأ ، في هذا الابان ، يفيد بأن « رتـل التأديب » قد أحرق كثيرا من القرى المعادية وأن شيوخ الـ (سورجي) تمكنوا من الهروب الى التلال . ولم يعد ثمة خطر غزوة تشن ، لذلك استطعت ان آذن لقادر بك وغيره من الرؤساء بالانسحاب الى مواطنهم الخاصة . ونمت تلكم الليلة في (بشور) وعدت في اليـوم التالي الى اربيـل .

وفي اليوم الثاني من أيار أقدمت على أطـول رحلة من رحـلات تجوالي في كردستان ، وامتعها . وقبل أن ابدأ بوصفها علي ان افصل بعض الحوادث التي وقعت بجوار رواندوز منذ عهـد زيارتي الاخيرة لها . لقد وردت رسالة هاتفية اثر عودتي الى روانـدوز توا مصدرها (كابي ونمان) ومفادها أن قبيلة (هروتي) على وشك مهاجمة المعسكر . والظاهر ان هذه القبيلة ، وهي ليست بذات خطر ، قد القت القبض على أثنين من الدرك او ثلاثة وجردتهم من سلاحهم . لقد أرسل هؤلاء الدركيون لجباية الضريبة منها ، فقامت بتعبئة قوتها على تمامها ، وهي قوة تبلغ نحو ١٠٠ رجل . ثم انها اخذت مواضعها في بعض الكهوف الكائنـة قرب (طريق بيجان) حيث عقدت العـزم على تعقيبي ، على ما قصصته عليك آنفـا .

كان من الضروري أقامة مراكز دركية على طريق رواندوز ، عند: (ديره) و (بابا جيجك) و (كالي وتمان) فالمنطقة فريسة الحال الفوضى وليس هناك من زعيم عشائري ذي هيبة كافية يستطيع ان يضطلع بحماية القوافل الضاربة فيها . كان هؤلاء الدركيون ، على ما ذكرته ، يفرضون على القرويين أتاوات طفيفة لاخذ لها . وكان الناس بدورهم أجهل من أن يجأروا بالشكوى منها ، لذلك تستطيل معاناتهم من جراء ذلك حتى ينفذ صبرهم .

وقد تكون النتيجة حدوث انفجار أيضا . أن المشكلة التي نجمت في صفوف الـ (هروتي) مردها ، الى حد كبير الى طغيان الدرك وبغيهم، لكنهم ما كانوا ليجسروا على تحدي الحكومة لو لم تشجعهم على ذلك جهات سامية .

وهوجمت في تلك الليلة التي تلت يوم رحيلي ، (فاطمة خانم). وهي التي كانت تساعد الحكومة في جباية (الكودة : ضريبة الاغنام) وغدا الوضع ، خلال الايام التي تلت ذلك ، تنذر بشر مستطير . والتحق فريق من (وادي اكويان) بقبيلة الـ (هروتي) ، بجوار (بيجان) وعلى رأسه (لوري) ، واخذ يترقب الفرصة المناسبة لمهاجمة المعسكر في (كاني وتمان) . ان مثل هذا لايبعث من القلق الا قليلا لو لم أعلم أن (المعسكر) يقوم في موقع خطر ، وأن اي نجح ابتدائي طفيف يستفز الديار كلها . وجمع أخوة يوسف بك وبعض متذمري (باليك) ، في الوقت نفسه ، قوة ، في قرية كائنة على الحافة الشمالية لـ (دشتي ديان) وأخذوا يعدون العدة للنزول الى رواندوز . ومن حسن الحظ لم يحدث شيء غير هذا .

وأرسل احمد آغا السرواني رسالة الى أخوة يوسف بك يخبرهم فيها بأنهم أن تحركوا تلقاء رواندوز فأنه سينقض على مؤخرتهم،وما أن عرف (حويز اغا الهروتي) في الوقت نفسه ، بتفرق الـ (سورجي) وتدمير قراهم الا فرق شمل رجاله واطلق سراح الدرك المسجونين واعاد لهم، سلاحهم وأعطاهم رسالة حاول أن يفسر فيها تصرفه .

وما أن غدا الوضع سويا ، كرة اخرى الا تقرر سحب العسكر من منطقة رواندوز نهائيا وأبدالهم بالليفي ، وعدتهم الان ٢٠٠ ، على أن تكون البلدة لهم مستقرا وأن يكون النقيب ليتلديل لهم آمرا . وكنت قد عقدت العزم على ان اسعى الى ادارة المنطقة على أسس سوية بحسب الامكان وأخذت اذنا من الحاكم الملكي العام بأن يستقر (مستر ترنر) في رواندوز ليشرف على الترتيبات الكمركية ويساعد اسماعيل بك في شؤون الواردات .

كان مستر ترنر يشغل وظيفة رئيس كتاب في باطاس ، ويمتلك قدرا من المعلومات كبيرا ، وذلك بقدر تعلق الامر بالمنطقة واهلها ، ينضاف الى هذا انه يتكلم الكردية قليلا . انا الآن في زيارة لرواندوز لأقيم النظام الجديد ولاحقق من كثب في أمر القلاقل التي نجمت مؤخرا . واني آمل ان أغري جميع المسؤولين عنها لتقديم (الدخالة) وان اكسبهم الى جانب القانون والنظام مصطنعا طرائق لطيفة لبقة . ان هذا هو السبيل الفذ الممكن ان اخذت بنظر الاعتبار الظروف العتيدة . ذلك ان المجندين لا يزالون يعدمون التدريب ، فأي اجراء هجومي ، أذن ، غير ذي موضوع . كما اني كنت أنوي زيارة الحد الفارسي بغية تمكيني من اقرار افضل الطرائق التي يجب ان تصطنع في جباية العائدات الكمركية ، وهي التي كنت آمل بان تدر قدرا من الواردات ثمينا . كما انني كنت أنوي العودة من ديار الـ (هروتي) و (وادي باليسان) الى (بيتوين) و (دربند) كي اقابل مساعدا الحاكم السياسي الحالي ف (رانية) : النقيب كول وان أنتهي عند (كوي) حيث حل النقيب برادشو محل النقيب رندل اخيرا .

واتخذت السبيل الرئيس المفضي الى شقلاوة ، ذلك اني كنت ارغب في الوقوف على آراء قادر بك بشأن الوضع في رواندوز . كانت الطبيعة مونقة جميلة : (غنت اطيارها فتمايلت طربا اشجارها ، وبكت اطيارها فتضاحكت أزهارها) .

والقرية الصغيرة ، الكائنة عند اقدام التلال التي تتناثر فيهما

الحصى ، قبل (باستوراجاي) ، التي وصلناها كانت محاطة بسنابـل الحنطة الخضراء المشرقة يطرزها (الخشخاص القرمزي) ، وتحتها ينبت النبت الرقيق الأزرق المسمى (بخبز العقـاب : CAMPANULA وتتناثر هنا وهناك (الخبيزى : HOLLY HOCKS، السامقة باللونين الـ (موف : MAUVE) والأبيض ، وفروع عظيمة من النور على غرار (زهرة الحدقي : HYACINTH) •

وتمهلنا عند (كورة) على الطريق هنيهة وشربنا الشـاي لـدى البقعة المعتادة تحت ظلال شجرة التوت • لم اذكر فيما سلف القهواتي مصطفى آغا المسـمى (كانبي) ، وهو من كان يقوم على خدمتنا دائما • أنه رجل هاش باش وذو وجه مستدير ، وهو في كل مكان انبه شخصيـة ذكرا وابعدها صيتا ، وقيل انه يمتلك شجاعة الاسد الهصور ايضا •

ودار لي حديث طويل مع (قادربك) في شقلاوة • لقد أيد هـذا الريب التي ساورتني والتي كانت تضع تبعة جل القلاقل الاخيرة التي نجمت في منطقة راوندوز على عاتق (نوري) • والظاهر انه اغـرى استاذه القديم ، وهو شيخ هرم يدعى (كاكه امين) على زيارة القبائل المجاورة واستثارتها بازاء الحكومة الكافرة • كان الاكـراد الجهلـة يعتدونه قديسا ، لذلك صاعوا بما أمر • وهذا الشيخ نفسه هو الذي عمد الى تهدئة العاصفة بآخرة ، وذلك عندما وجد ان جهوده جـاءت في غير أبانها مبتسرة •

ونزلت في اليوم التالي الى (سيساوه) وبصحبتي ابن أخ قادر بك المسمى(عبد الرحمن بك) وهو رجل نحيل متـام كنت اجتويه ، ومنها مررنا بقرى عديدة كائنة بمحاذاة الحافة الشرقية لـهل باطـاس • ان الارضين الكائنة على طريقنا لا تعدو ان تكون كدسا من (شقيق الماء : (RNUNCULUS)) ، وكأنه جمرات حريق ! ومنذ زيارتي الاخيرة كان (الباشا) قد غادر واستقر مع حفيده في روالدوز ، وهذا أمـر أزعج الاخير ، فلقد كان يمقت مشورة (الرجل العجوز) وأفراطه • وفيما بعد دأبت على السفر تلقاء (كاني وتمان) حيث امضيت ليلتي •

وغادرتها في اليوم التالي متجها الى رواندوز بسبيل المضيق ، وحيث (الخزامى TULIPS) عن تكاثفها الى اوراق الصيف التي هي اشد خشونة قد تخلت .

وكان لدي شغل شاغل كثير ، علي ان أصرفه في (البليدة) ، واستقبلت من الزوار عددا كبيرا . وأرسلت الى أخوة يوسف بك ورؤساء الـ (هاروتي) ، وغيرهم أنتاب فيها منهم المجيء الي ومقابلتي واعدا أياهم بالامان . وكان نوري ، لدى مقدمي ، في رواندوز ، لكنني عندما طلبت من باويل آغا أن يأتيني به أعلمت بانه خرج يصطاد . وأنذرت الوالد بان من الحتم اللازم ان أرى ابنه قبل رحيلي الى اربيل ، وقلت له : لو جاء الي فليس ثمة ما يجب ان يشفق منه وان ذلك خير له واجدى . ووجدت (الباشا) من عودته الى رواندوز مسرورا ، لكنه كان يتذمر من ان ابنه يبسط يده كل البسط ، الى حد ما .

وما ان أنهزم الليل وولى مدبرا وأنتصر الصبح وأقبل ظافرا الا اتخذت الى ديار (باليك) سبيلا ، مستصحبا اسماعيل بك ومحمد علي آغا والاغوين المسمى كل منهما بسليمان ايضا . وما ان انحدرنا الى (البليدة السفلى) الا عبرنا الاخدود على قنطرة صغيرة كائنة عند قعره ، وعقبنا الضفة اليسرى لـ (رواندوز جاي) ، وهنا تشاهد ساقية مفتوحة تثرثر لجائها[6] وتطبق على الطريق من الجهة اليمنى منحدرات من صخر رمادي اللون ، على حين كانت ، في الجهة اليسرى وبمحاذاة ضفة النهر ، بقعة مروية تتقسم بواسطة حواجز وتتناثر فيها عيون تنمو حولها اعشاب متشابكة كثيفة واكداس من زهور البرية تكامل نورها . وكان الهواء مضمخا بعبيرها ، والذكريات الحائمة حول الحقول الانكليزية في حزيران متزاحمة ، تترى . ومن الصخرة الكائنة على الجانب الايمن من الطريق كانت تتفجر ثلاثة أو أربعة ينابيع وسيعة تكتنفها الطحالب والسراخس . وبعد ست او سبع ساعات ابتعدنا عن الساقية ورقينا مرقى وعرا جدا الى (زن)

(٦) في الاصل RAVINE والذي يحدثه مجرى الماء عادة .
(المترجم)

(اي : سرج) جبل (دركله) وعلوه نحو ٤٨٠٠ قدم فوق مستوى البحر . والطريق ، في الغالب الاعم ، شجير فيما خلا اعلاه حيث تتمعّج وتتلوى ، لوله أحمر وهو من رواسب صخر ، متفتتة ، ولا تستثنى من ذلك الا بعض الرقع التي تتموج فيها زهور زاهية بألوانها .

وترى الطل على الاقاح . دمعة الافراح في سحر العيون !

وأفضي بنا الحدور الى (دركله) الواقعة في مكان منيع جدا ، بين هذا الممر وبين مضيق ضيق كائن في الاسفل ، هو الذي يخترقه الطريق ليلتقي بـ (رواندوز جاي) . وتلقاء الجنوب ثمة طريق وعر جدا يفضي الى (وارتا) والديار الوعرة ، وأي ديار وعرة هي الممتدة من هنداوين داغ شرقا ، على حين يحد المنظر من جهة الشمال حدور املس متهاو مكسو بمعروشات العنب . ودركلة التي كانت ، ذات مرة ، قرية وسيعة ، دمرت على يد الروس كليا ولم يبن من بيوتها كرة اخرى الا نحو عشرين بيتا . وهنا قام (مير محمد امين بك) وابن أخيه (ميرو) وهو صبي وسيم قسيم للغاية ، باستظافتنا ، اذ قدموا لنا طعاما فاخرا جدا ، وجعلونا نحل في خيام قائمة على أرض القرية الخضراء وبذلك نجونا من جل القمل الذي عرفت به القرية وشهرت . ووجدنا بانتظارنا هاهنا (الشيخ محمد اغا) واخاه الاكبر ذا السمعة السيئة ، الخبيث ذا المظهر المتبدي (والعهدة على المؤلف الراوي : المترجم) المسمى على غرار تسمية شيخ ديار الـ (هروتي) : كاكه امين ، وما (كاكه) الا لقب تشريف يراد به (الاخ الاكبر) حرفيا .

ورحلت الجماعة كلها ، صبح اليوم التالي الى قرية الشيخ محمد اغا المسماة (والاش) . ونبذنا الطريق العام الذي لم يعد صالحا للمرور بسبب انهدام قنطرة قائمة على رواندوز جاي) ، فعبرنا طنفا خفيضا كائنا شرقي (دركلة) وأنحدرنا الى واد لاحد روافد النهر الرئيس . وكان مسارنا يمد خلل ديار لطيفة بهيجة ، بين اسيجة ومراع تبتهج بحليتها الربيعية وتزهو ، والى الاسفل ثمة اجمات من شجر

الجوز ، وبجانبها ساقية بمائها المثرثر تلوى وتندفق بين شجر الجنار والصفصاف المتعالي على حفافيها . وكنت ترى على سفوح التلال الكائنة على يميننا قرى متناثرة هنا وها هنا تطيف بها الكرمات . وخضنا الساقية وسط ايكة من شجر كثيف وأخذنا نرقى على الجهة الاخرى . وغب ساعتين او ثلاث ساعات قطعناها في ارض شجيرة صعدا وصلنا الى ممر خفيض رأينا منه قرية والاش قائمة أمامنا .

أنها ذات موقع مونق كائن على سفح جبل ، عند النهاية العليا من سهل صغير مخضوضر بحنطة كانت في ريعان عمرها .

وتختلف دار الشيخ الشيخ محمد اغا عن أية دار كردية اخرى، زرتها ، اختلافا كبيرا ، انها متينة البناء ، شيدت على غرار بيت مزرعة انكليزي ، وثمة ممرات ضيقة ملتوية تفضي الى غرف صغيرة مريحة ، حسنة التدفئة ، سواء آكانت هذه بالمواقد أم بالنيران المفتوحة .

وأفردت لي غرفة خاصة حيث كان واحد او اثنان من أبناء (الرئيس) الثلاثة يقومان على خدمتي دائبين . أنهم أناس على الفطرة ، واكبرهم انسان خجول الى حد ما ، لكن الاثنين الآخرين كانا يشاركان في الحديث رأسا . واصغر الثلاثة (سويد) صبي في الـ ١١ من عمره وهو يتفوق على أخويه بسرعة الخاطر والمؤانسة .

كل أمرىء متفرد بطباعه ليس أمرؤا الا على ما يطبع !

وفيما بعد الظهر كانت لي مشية قصيرة أروم بواسطتها تملي المشهد . وما ان مررت من بساتين الفاكهة الا رقيت نشزا في التل ، خلف القرية ، وكان على يميني حاجز عظيم مكلل بالثلج ، يكون الحد الفارسي ، وفي داخله تماما (اركوت العظيم) ، وهو قبة من صخر أسود يخططها الثلج . أنه معزول عن السلسلة ويعلو عليها . وأمامي كان الوادي العميق الضيق لـ (رواندوز جاي) ، ملتويا بين التلال . وكانت الارض الشجيرة تنحدر الى مجرى الماء تدريجا على حين تقوم على الجانب البعيد سلسلة من الروابي والقمم تنفصل عن بعضها بعضا بوديان طويلة . وتحتي ، وراء (والاش) بمسافة ميل او ميلين ،

تشاهد (ميركه) عش اللصوص الذائع الصيت ، وعند ذلك أخذت أفكر القيام باجراء من شأنه الاحاطة بها وتدميرها ، لكن ذلك مشروط بقدرة المجندين على القيام بالحركات . وكان المنظر الكائن على يساري مسدود بـ (هنداوين داغ) وما اشبهه بظهر خنزير جسيم . انه معزول عنا بالوادي العالي الذي جئنا خلاله هذا الصباح . هذا ، وكان ورائي كدس مريع من الجبال التي تكللت هاماتها بالثلج ،وعلوها ١٠٠٠٠ من الاقدام وزيادة . وفي الامكان رؤية قرى (باليك) الصغيرة متناثرة في جميع الجهات ، بمعروشاتها ، وقطعها المزدرعة . يتعسر ايجاد الكلمات التي يمكن التوسل بها الى اعطاء وصف تام لعظمة هذا المشهد. أن الارضين وعرة للغاية،واذا ما استثنينا مسقط الماء،فالظاهر انالجبال لا تطيع حكمنا ما ، ذلك انها مركومة ، متراكمة فوق بعضها ، بشكل مريع ، تفصلها شقوق عظيمة فتغدو مشارف وطنفا لا تعد ولا تحصى.

لقد خامرني شيء من خيبة الامل من جراء العشاء الذي جاد به (الشيخ محمد اغا) وادركت الان لم يقول بعض اغوات الـ (دزه يى): أن (مير محمد امين بك) اكثر رجولة منه . والشيء الوحيد الذي كان يفتح الشهية طبق من الكمأة ، وهذه تظهر في مثل هذه الارجاء أبان فصل الربيع دوما . ومضت الامسية حفيلة بلطيفه السمر وطيب المطارحة . وجاء سويد بجروي دب عثر عليهما في التلال اخيرا ؛ وحاول بقسوة ان يجعلهما يتعاركان . ووعد الشيخ محمد بأن يرسلهما الى اربيل هدية لي ، الا انهما نفقا بعد ايام قليلة . ودار حديثنا حول الجبال المحيطة بنا ، وأخص بالذكر منها جبل الـ (گورد) ، وقال « مضيفي » عنه ان الهنود المتجولين كانوا يزورونه قبل الحرب بغية جمع الاعشاب الغريبة النامية قرب ذروته . وقال أيضا انه يوجد تحت الثلج ، المركوم منذ قرون ، حيوان غريب الخلقة يطلق عليه اسم (دودة الثلج) . ان طوله نحو قدم ، وهو سمين ابيض اللون لا فم له ، وليس له عينان او أنف أو أية ملامح طبيعية أخرى ، فيما خلا ذنبه المبتور . واذا ما جيء بهذا المخلوق الى مستويات خفيضة نفق . ان جثمانه

المجفف يجعل آخر الماء وحتى أبان ذروة الصيف واوارة باردا . وأكد كثير من الناس رؤية هذا الحيوان لفالك ان افترض الا القصة اساسا .

وفي (والاش) وجدت كل من بكربك ، شقيق يوسف بك، وملا يوسف آغا من قبيلة باليكيان ، وهو رجل صغير الجرم ، يظهر عليه التبدي ، وذو لحية كثيفة سوداء ولغطاء رأسه « شراشيب » . أنه رائد تفكير الاخوة حقا .

وقدموا الخضوع الي وأقسموا جهدهم بانهم يثيروا أبناء قبيلتهم بنية عدائية ، بل كان ذلك على سبيل الدفاع عن النفس ، اذ انهم كانوا يشفقون من هجمة يشنها اسماعيل بك . وقبلت أعذارهم ، وقبل مغادرتي وصل (رشيد بك) ايضا . وصحبني الجميع في عودتي الى رواندوز وذلك بغية عقد الصلح بينهم وبين اسماعيل بك . ومهما يكن الامر ، لقد اخفقوا في حمل (بيكوك) على المجيء معهم .

وفي اليوم التالي ، السابع من ايار ، رحلت ، والشيخ محمد آغا واسماعيل بك وغيرهما ، الى (رايات)[7] والحد الفارسي بغية زيارتهما . واتخذنا سبيلنا نزلا ، خلل ارضين كان تشجيرها حسنا ، والى (رواندوز جاي) انتهاء . كان المنحدر متدرجا فيما خلا حدورا واحدا عرف عند الناس باسم « مهلك البغل » .

وبلغنا قعر الوادي عن طريق قرية «ناوبيردان» أي : (ما بين الجسرين) حيث عبرنا روافد النهر الرئيس وذلك بواسطة جسر ضيق مخطر تظلله أشجار جوز ضخمة . وثمة جسر آخر ، هاهنا ،يعبر عليه (رواندوز جاي) لكن الدهر خانه فخرب ، فلا يصلح الا لعبور

---

(٧) توجد في هذا الوادي قرية صغيرة بالقرب من قرية جنديان الكائنة على فوهته اسمها (خالكان) ولعل المؤرخ النابه الذكر ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان منسوب اليها ، كما توجد قرية بهذا الاسم ابضا في الطريق المؤدي الى دوكان . (المترجم)

السابلة . وتابعنا السير في الوادي حتى بلغنا ، بعد ثلاثة أميال أو أربعة ، مدخل الوادي الطويل ، حيث استقبلنا عنده (على بك رايات) ، وهو رجل هادىء ، شعر لحيته اشمط :

واشتعل المبيض في مسوده   مثل اشتعال النار في جزل الغضى!

انه من أخطر رؤساء فروع (قرية باليك) ، شأنا . وعند رأس الوادي مررنا برايات وكانت سمتها الغالبة الخراب ، وتابعنا طريقنا الى مضرب على اغا الكائن على بعد ميل واحد من القرية .

وكان المشهد الذي صافح ناظرينا مونقا جميلا ، بل أشد ما يكون جمالا . فالخيام السود ضربت في فسحة صغيرة وثمة جماعات من الكرد البدائيين ترتدي ملابس عجيبة غريبة تقف امامها ، بين العشب الوفير العميم . ويحيط بالمشهد كله مدرج من شواهق الصخر ومنحدراته تعلوه الروابي المكللة هاماتها بالثلج . وما ان دخلنا المضافة الا رأيت على اعلى مقام منها شابين يلبسان عباءتين فضفاضتين ، و (السيدية الخضراء) تتوج رأس كل منها ارهاصا بان مرتديها ينحدر من صلب الرسول (صلعم : المترجم) . وأفسحا الطريق الي ولم آلُ ، في أول الامر ، لطيفا معهما رقيقا (كذا : المترجم) ، لكنني سرعان ما وجدتهما زوجين ماجدين يجعلهما كلامهما المهذب واخلاقهما الساحرة مختلفين اختلافا عجيبا عما عليه الكرد الذين يحلان بين ظهرانيهم ، من خشونة طبع وجفافه . لقد جاءا من القرية المجاورة المسماة : (دار الامان) .

وقبل الغداء جاءني مضيفي بهذا العشب الشهير المسمى (ريواس) والذي لا ينبت الا في العوالي ، ويعلي الاكراد من شأنه باعتداده مهظما .. ان له ساقا طويلة ومظهرها خارجيا عجيبا يشبه الفرو شكلا ، وثمة ورقة في أعلاه توشك ان تنفتح . وقشرناه واكلناه بالسكر . وما كان طعمه غير مستساغ ، ولم اكتشف كنهه الا بعد ايام قليلة ، اثر طبخه ، ذلك انه لم يكن الا (الراوند RHUBARB) لا اكثر ولا أقل .

وبعد الغداء ركبت واسماعيل بك وغيره بنية قطع مسافة الستة أميال الباقية الى الحد . وبسبيل مرقى متدرج جدا ، يعلو أرضا عالية معشوشبة ، يتقرب الطريق من الشق العظيم عند مقسم المياه المعروف باسم (كروه شيخ) او (ممر الشيخ) . والارض هنا جرداء فيما خلا « طنفسة » من عشب طري كثيف لخضراره ، لا سيما في الوهاد التي اذابت الشمس الثلج فيها ، وتتخله بوفرة حدقيات طويلة وشقائق النعمان وابصال المنصل .. وكانت ثمة قطع من الثلج لا تزال باقية على جانب الطريق . وعلى بعد نحو ميلين من الحد الحق مررنا ببرج صغير مقبب ، على حال شديدة من خراب ، يعرف باسم (شيخي باليكان) ، ويجود باسمه على الممر . هنا يرقد ولي كردي ، طال عليه الامد ، وأزدهرت حياته قبل ثلاثة اقرن او قرنين . وحول المرقد الى مقبرة محمدية نمطية في اختلال نظامها ، وبين شواهدالقبور تنمو قطع كثيفة من (سوسن النمر : TIGER LILES.) المتعالي . انها من هذه الرقع التي يكتنفها روح العلي القدير ويطبق عليها بجلال الصمت[٨] .

وعلى الجانب الاخر من المقبرة تماما ، تتعالى ثلاث او اربع شجرات صفصاف نحيلات ، علو كل منها نحو ٥٠ قدما ، جرداء مرداء تقريبا ، لا ورق عليها ولا اغصان لها ، انها الشجرات الوحيدات الكائنات على مسافة اميال . كانت هذه من شجر حرج ، لكن بقيته قطعت للوقيد من قبل الجيشين اللذين وقفا ، هاهنا ، وجها لوجه . ان اثار الصدام بينهما موجودة هنا في كل مكان : فثمة خطوط خنادق ، واكواخ صغيرة ، واقبية من صفاح ، واكوام من الاسلاك الشائكة ، وغيرها من المواد : لكن النصب الخالد هو : الطريق

---

(٨) (يلحظ) ان على شواهد القبور في كردستان علامات غريبة ، ففي بعض الجهات صورة مشط ذى اسنان على جبهته ، وهذا يوضع على قبر امراة ، وعلى قبر الروحاني او السيد (يد من حديد) ، ويزين قبر رئيس القبيلة صورة قرون (وعل الجبل) ، كما تلحظ صورة الشمس وهي ترسل اشعتها الى جميع الجهات على بعض شواهد القبور ايضا . (المترجم)

المار على المر والذي صيره الروس طريقا عاما وسيما على الوجـــه المتأني متدرجا ، صالحا لمرور اية وسيلة من وسائل النقل تبلغه . وعند الحد الحق اعني : مقسم الماء يبلغ عرض الفرجة ميلا ، وثمـــة منحدرات كائنات على الجانبين . وهناك حدور يسير وقصير يفضـــي الى (سهل لهجان) .
ورقيت طنفا مكسوا بالورود كائنا على شمالي وارسلت النظر ، عبر السهول المتونة ، والتلال الجرداء المتهاوية ، موطـــن قبيلتـــي (ماماش) و (بيران) ، الى (ساوج بولاق)[9] و (اشنو) . لقـــد خامرني شعور غريب من الفرح وانا اطيل النظر الى ديار (لهجان) ، وهي بالنسبة الي جديدة ، غير مكتشفة . انها تتراءى أنيقة مونقـــة حسنة التنظيم لو قورنت بالرقع الارضية الوعرة التي خلفتها ظهريا . وتقت الى النزول والتجوال بين قبائلها الغريبة . وتحتي ، على الجهة اليمنى ، سهل حسن الارواء ، وفي مكنتي مشاهدة قرى حسن آغـــا البيراني . وهو من قتل قائمقام رانية ، قبل سنوات قليلة ، والتجـــأ الى مصيف قبيلته . وامامي يشاهد تل أسود تقع حوله (بسوه) قرية قرني باشا ، رئيس قبيلته ماماش ، وهو ، في الوقت الحاضر ، مشغول بجمع ما كان يسميه بالـ (كمرك) من القوافل التي تمر من طريقه . وتقع (اشنو) على الجهة اليسرى ، مختفية وراء سلسلة من النشوز الصخر ، وخلفها (اورمية)[10] . ويقال ان (سمكو)[11] رئيس

(٩) او (سابلاخ) وهي في جنوبي بحيرة اورمية . (المترجم)

(١٠) هي مسقط راس زرادشت ، وقد بشر بدينه على شواطئها كما بشر المسيح ، بعد ٧٠٠ سنة على شاطيء بحيرة طبرية في فلسطين . (المترجم)

(١١) زعيم كردي اسمه الاصلي (اسماعيل اغا) وسمكو لقبه وقبيلته (شقاق) تنتشر بين (وان) التركية و (اورمية) الايرانية . وقد عظم امره ، ففكرت الحكومة الايرانية بالتخلص منه بايسر سبيل ، فاستدعته سنة ١٩٢٦ الى طهران بزعم التفاوض معه لتعيينه زعيما على عشائر الاكراد في المنطقة الشمالية الغربية من ايران وفي الطريق كان ثمة كمين بالقرب من (اوشنو) اطلق عليه النار فارداه قتيلا . (المترجم)

قبيلة (شقاق) مشغول حتى الآن بصدام مع العسكر الفارسي ..
وشعرت كأنني أحد المكتشفين وهو يرى قارة مجهولة ، أول مرة .
وبكثير من الأسى غادرت المشهد وعدت أدراجي .

وحري أن نذكر أن هذه الديار كلها قد اكتسحها الروس ، وأن القرى الكثيرة التي كان في مقدوري أن اراها ، متناثرة على السهول ، لاتعدو أن تكون خالية من اهلها خاوية . أن قبيلة (ماماش) ، وكانت قوية ، في وقت ما ، تزهو بالفين من فرسانها ، لن تستطيع اليوم أن تعد أكثر من ٢٠٠ من المشاة . أنها والقبائل الكردية المجاورة تحت السيطرة الاسمية للحكومة الفارسية ، لكنها ، على كل حال ، لاتدفع من الضرائب الا قليلا ، اولعلها لاتدفع شيئا منها ابدا ، وأن خضعت الى سيطرة ما .

وأنثنينا في طريق عودتنا جانبا ، وكان ذلك لقصد خاص ، وسرنا تلقاء قرية (دار الامان) الواقعة على سفح التل مطلة على الفرجة الكائنة ، ونحن نعود ، على يميننا .

هنا يسكن السيدان ، وأعني بهما الشيخ عبدالله والشيخ علاء الدين . أنهما أبناء عم ، وكان والداهما ، وقد ماتا قبل ثلاث أو أربع سنين ، قد حلا في هذه البقعة قبل ٥٠ سنة ، لقد جاءا من (لهجان) أصلا ، وكانا يتمتعان بتبجيل كبير يسديه لهما الـ (ماماش) وغيرها من القبائل الكردية . (١٢) وأسسا في (دار الامان) ملجأ لأغاثة أبناء السبيل والمساكين ، ممن ينتابهم البرد في الممر ، ذلك أن الارضين كلها تكون مغمورة بالثلج بين شهري كانون الثاني وآذار . وبهذه الوسيلة طار لهم صيت حسن كل مطار ، اعني صيت التقوى والاعمال

(١٢) عدم اتقان عامة الاكراد (اللغة العربية) رغم حبهم الشديد لها باعتدادها لغة قرآنهم الكريم وفقه دينهم الحنيف هو الذى مكّن شيوخهم من تبوءا المقام الرفيع بين ظهرانيهم ، فالشيوخ بنظرهم فقهاء وحماة الدين . واستغل بعض هؤلاء الشيوخ نفوذهم الديني فى السيطرة على شؤون القبائل الدنيوية . وهكذا انقلب (شيخ الدين) الى (شيخ دينى ودنيوي) . (المترجم)

الصالحات . واضطرا الى الهرب في سنة ١٩١٦ ، لدى تقدم الروس، وتم تدمير جميع ممتلكاتهم . وعاد اولادهما الآن وهم يسعون ، بوجه يسير ، الى معاودة القيام بالاعمال التي بدأها ابواهم .

ورجاني الشيخ محمد آغا أن أزورهما صحبة اسماعيل بك محمد علي آغا باعتدادنا وفدا ينوب عنه في خطبة شقيقة الشيخ عبيدالله من اخيها ، ذلك أنه ليس من اللائق ، بالنسبة الى الخاطب ، أن يقوم بذلك شخصيا .

شعرت بأن شرفا عظيما نلته من جراء تكليفي بالقيام بواجب كهذا ، ذي صلة بحياة أسرة كردية وتقي . وهو بعد ، واجب بعيد جدا عن واجباتي الرسمية السوية . وكانت زوج أحد رؤساء بالك قد ماتت عندما زار رواندوز لمقابلتي في ظرف سابق ، وقد أفصح الآن عن أمله في أن مشاركتي في هذه المراسيم لفأل حسن بالنسبة لما سيقدم عليه كرة أخرى .

ونزلنا درجات الى غرفة خفيضة السقف تشبه بهو كوخ فيها نافذتان ذواتا زجاج تطلان على الممر . وكانت تدفئتها تجرى بسبيل نار عظيمة مفتوحة ، ذلك أن الريح ، حتى هاهنا ، لشديدة البرودة . ولما لم اك راغبا في أن أتفوه بما يفسد أجراءات الخطبة ، لذلك طلبت من محمد علي اغا أن يكون الناطق بأسمنا . لا اتذكر ما قاله تماما لكن الذي اعتصره في ذاكرتي أنه قال شيئا كهذا ! : « لقد بعث بنا اليكم الشيخ محمد آغا ، وهو زعيم قبيلة كبيرة وذو مقام جليل ، وحول وطول ، في مهمة أنتم تعرفون كيهها ، وأنه ليأمل وقد جاء الحاكم السياسي نفسه ليشارك في الطلب ، الحصول على موافقتكم وأن الاصهار المرتجى سيكون فألا حسنا . » وأجاب الشيخ عبيدالله ، وهو شاب ذو وجه يضوي حسن ، وشعره اشقر كشأن شاربيه : « أني لاتحسس حقا . فهذا الشرف الذي يريد الشيخ محمد اغا أن يضفيه على أسرتي عن طريق التقدم بمثل هذا الطلب ، ذلك أني لاعلم انه ليس بالرجل الوضيع وأن له ناموسا عظيما بين القبائل ، وأن الاصهار

اليه لامر أجله وتجله قرابتي ؛ على أن ثمة شرطاً معروفا لـديكم ، لو قبل ، قبلت . » والشرط الذي يشير اليه يتعلق بالصداق الذي سيدفعه الشيخ محمد اغا في طلب يد الفتاة • وكان مقداره قـد تقرر ، خلـل حديث غير شكلي • وتليت (الفاتحة)ـ(فاتحة القرآن الكريم : المترجم) وهي تحل على وجه ما محل (صلاة الرب : LORD,S PRAYER في الدين المسيحي (بالاحرى : الاسلام ، وأن الدين عند الله الاسلام۔ المترجم) أرهاصا بعقد القران وتبريكا له • وتمتم كـل واحد ، اثـر الفراغ من المراسيم ، عبارة : (مبارك بي) أي : (ليبارك الله القران)!• وبعد مشاركتنا في أحتساء الشاي والقهوة ، وفي حديث ممتع أستطال نصف ساعة ، استأذنا بالانصراف ، ولحقنا بالشـيخ محمـد اغـا في (رايـــات) •

وفي تلكم الامسية عدنا ، والمطر يتساقط والريح القرة تهب ، الى (والاش) حيث أجريت حديثا طويلا مع شقيق مضيفي (كاكا امين) المخبول (والعهدة على المؤلف : المترجم) • أن له وجها لا يختلف عن وجه يوسف بك ، لكن له نظرة اكثر من نظرة أخيه ضراوة ، وشـعره أبيض ، كشأن شاربيه ، ولـه عينان تحملقان في الناس • أخـذ يعج ويضج بصوت عال خشن لمدة ساعة وزيادة مفسرا لم سـلب القافلـة العلانية ، والذي حداه على ذلك هو الثأر من صاحبها الذي الحق بـه ضرا فيما مضى •

وفي اليوم الثامن من الشهر عدت الى روانـدوز مكملا الرحـلة في يوم واحد • وعلى مسافة ميلين من المدينة توقفنا عن السير لاحتساء الشاي مع محمد علي آغا عند النبع المسمى (جنديان) هاهنا وتحـت الطريق كهف واقـع على زاوية قائمة من شاهقي صـخر حـادين ، يندفع منه ينبوع ، ماؤه يبرودة الثلج ، جاريا طـوال السنة فيما خلا

فصل الخريف ، حيث يتقطع ، ففي يوم يفيض ماؤه[١٣] وفي يوم آخر ينطلق بكامل غرامه . وعند فم الكهف توجد مقاعد كائنة على جانبي مجرى الماء ، وهذا ينزل الى حدود قصير مشوشب حتى يبلغ بساتين يخرج منها العرموط والرمان . والارض هي ملك محمد علي اغا ، وهو يسكن هنا في خيام ومعه أسرته ، ويستطيل مكثه فيها خلال الصيف .

وعندما بلغت رواندوز وجدت أن النقيب ليتلديل قد وصلها ومعه الجندون وهو مشغول بنصب الخيام على تل يطل على البليدة .

وكان الجند من التركمان الاربيليين والكركوكيين ، ومن اكراد سهل اربيل وكوى وقلة من نصارى عينكاوه والجميع سعداء ، على أحسن حال . وهكذا وجدت قوة تسترعي الانتباه اخيرا ، وأن لم تدرب على وجه ما . وبقيت قوة الدرك القديمة ، وهي الان تدعى بشرطة الاقليم ، منفصلة ، بأمرة الملازم بارلو .

ووصل مستر ترنر أيضا ، وأمضيت يومين ، أو ثلاثة ايام ، أجري خلالها الترتيبات اللازمة لجباية الضرائب ، والعائدات الكمركية ، وتخمين الحاصلات التي توشك على النضج . واستقبلت زائرين عديدين ، بضمنهم فاطمة خانم وحويز آغا الـ (هروتي) ، أحد ذوي قربى محمد سويد بك،وقد زعمهذا أن زعيمه مريض الى حد لايستطيع الركوب ، وأنه لراغب في أن يحمل على سرير نزلا أن أردته حاضرا ، يضاف اليهم اصدقائي الشروانيين القدامى ، وقد قدمت لهم (ارواب تشريف) لانهم ساعدوا كثيرا على انقاذ الوضع في رواندوز ، قبل شهرين أو ثلاثة أشهر .

---

(١٣) اخبرني من لا اتهم حديثه ولا ارد خبره ان من العادات البلدية التي كانت شائعة فيما مضى ولعل لها اثارة اليوم ان يعمد احد الاهلين عند انحباس ماء الينبوع الى اطلاق طلقات مسدسه او بندقيته داخل العين بزعم قتل العفريت الذي سد مجرى الماء فيه ، وقد يعود الماء الى جريانه على سبيل الصدفة او بفعل ضغط الهواء فيشيع ان الرجل قتل العفريت حقا . ولله في خلقه شؤون . (المترجم)

وما كان نوري في رواندوز ، وعندما سألت (باويل آغـا) عنه قال أنه لم يعد بعد ، من رحلة الصيد . وبسبب من عدم مجيئه حتى الان ، بعثت بخبر الى النقيب ليتلدبل بـأن يلقي القبض عليه في أول فرصة سانحة .

وأتخذت سبيلي في الوادي ، وهو سبيل يفضي الى المدينة مـن الجنوب ، فبلغت القرية الكبيرة المسماة (اكويان) ، المؤلفة من نحـو ١٠٠ بيت ، أتنظمت طبقة فوق طبقة ، على سفح التل وعند فم المضيق ، بين قمتين تطلان على (كريك داغ) . وتنتشر حولها حدائق وسيعة ، فيها فاكهة وتين ورمان ، على حين تقع قرية (فاقيان) الجميلـة الموقعة فوق المضيق ، مطلة عليها . واليها اتخذنا سبيلنا خلل بسـاتين نظرة ، وتسلقنا المضيق محاذين ماء يتـاقط ، ويطبق على طريقنا شجر كثيف من اشجار الجوز وشواهق صخر مكسـوة بالطحلب فيغـدو لذلك معتما . وتقع (فاقيان) على سفح التل عاليا ، وتطيف بهـا البسـاتين ومستنبتات الحور ، ولعلها اجمل قرية في المنطقة طرا وأبهـا لمصـيف أبان الصـيف .

هنا تقطن فاطمة خانم ، وهي التي استضافتنا في (ديواخانتها) الجديدة يعاونها على ذلك ذوو قرباها الجشعون الذين يبذلون أفضل ما في وسعهم لابتزاز ثروتها . ومكثت ساعة ، وبينا كنت أهم بالرحيل جاء(باويل اغا) العجوز معجلا.ولحظت أنهلم يكن معالجماعة التيجاءت اوداعي ، ويقول الان بأنه تأخر بسبب من عدم أعداد مهره ، وأنه جاء لذلك معتذرا . لقد داخله عجب عاجب حين سـمع أني موشك على الرحيل ، ولقد تركته واقفا هناك وعلى وجهه مسحة أمتعاض شـديد (وكأن قلبه على مقلاة) وعلى كل حال فقد اخفقت مخططاته ، ومـن حسن الحظ أننا لم نشهد عقبى أنهيارها . ذلك أنني كنت على يقـين تام من أنه كان يأمل الاتيان بـ (نوري) الي وأنا في (فاقيان) ويطلـب الصفح عنه فيها . ولعله حسب أني ساخشى القبض عليه في مثل هذه البقعة الموحشة ، أ وأن لم يكن ذلك ، فمن المحتمل أ نرحيلي المبكر قد

بمرقل تنفيذ مكيدة دبرت بنصب كمين لي على الطريق في اليوم التالي.

ودأبت على رحيلي فوق جبل (كريـك داغ) مصحوبا بعبدالله آغا ، وهو من (بله) [١٤] ، وكان معي ايضا ١٠ من الدرك و ١٢ رجلا من رجال اسماعيل بـك ، يقودهم أبن عمه : يونس اغـا . وعنيـت بأرسال الكشافة في جميع الجهات ، ذلك أني كنت اعلم بأن (نوري) يكمن في هذه الارجاء ، ولعله يرقب ظهوري فيها أيضا .

وصادفني في الطريق (ملا) يعتم بعمامة بيضاء ومعه رسالة مفادها أن (كاكه امين) الشيخ الروحاني القاطن في قرية قريبة يروم مقابلتي ، لذا رجوته أن يراني في (بله) . وما كان أرتقاء التـل امـرا عسيرا معسرا ، وعجبت من أن أجد على ذروته منخفضا فيه بحيرة صغيرة . ومن هنا افضى بنا حدور طويل يتهاوى الى (بلـه) الكائنة في قعرواد ضيق وصغير يختص بها كائن بين (كريك داغ) ونشز اسود بارز يدعى (ايرون) ولاتزال فيه بقية باقية من اثار الثلج .

وتطيف بالقرية شواهد صخر ، قائمة على جوانبها كلها ، فيما خلا الجنوب ، فهي ، عنده ، معرضة للشمس . لذلك كانـت الوديقة على اشدها . وقادنا عبدالله اغا الى مضافته الكائنة فوق بيت مؤلف مـن ثلاثة طوابق ، وهو شيء لم ار مثله في اي مكان آخر في كردستان ابداء

وعند هذا وصل (كاكه امين) ، يمشي وئيـدا متمهلا ويصحبـه اثنان من (الملالي) وشاب وسيم قسيم يرتدي ملابس تسـر الناظرين ، واحسب أنه ابنه . واحنى الجميع رؤوسهم وهم يتقربون منه وهـرع كثيرون اليه وقبلوا يديه وملابسه . أنه حقا لشيخ جليل ، لـه وجـه لطيف ولحية طولها قدم تشبه الشوكة شكلا . ورحبت به ترحيبا حارا وذلك بسبب من التشريف العظيم الذي حباني به بمثل هذه الزيارة ، على حين حاول أن يقف على مقدار ما اعرفه عن فعالـه التي طواهـا

....

(١٤) كانت قبلا مركز ناحية برزان وانتقل المركز الى قرية مركهسور اخـيرا . (المترجم)

الماضي • وشرح لي كيف اخمد الاضطرابات التي نجمت مؤخرا وكيف اعاد الـ (هروتى) الى ديارهم ، لكنه لم يذكر أنه هو الذي استدعاهم ايضا • وشكرته ، وقلت له : أن ما مضى فات بالنسبة الى الذين جاؤوا وقدموا دخالتهم الي • ثم سألني : « وهل جاء نورى » ؟ أجبته «كلا» فقال : « اسفا ، كان الافضل أن يفعل هذا » •

واثر تقديم الطعام فصلت عن طريق متمعج يتلوى ، وكان اتجاهي شماليا ، خلل شق جبل ضيق طويل يقع خلف القرية تماما • وكانت على الساقية التي جنبنا شجيرات الـ (جنار) الرائع تنتظم على خط يحاذيها • وثمة فسحة كائنة عند نهاية الشق تقوم فيها طاحونة ، وعندما استقبلني شقيق فاطمة خانم المسمى خورشيد بك ، وهو من شارك في الاضطرابات والقلاقل الاخيرة • هنا استدرنا حول نهاية التل واتجهنا نحو الجنوب حيث وادي (هروتي) وهو منخفض ضيق كائن بين منحدرات مكسوة بشجر البلوط •

وكان الطريق يرقى صعدا محاذيا جهة الشرق مارا من قرى يأخذ الواحد منها بخناق الاخرى ، وكل قرية تعشعش في وليجة في سفح التل • أن سكنتها ، وهم الذين هددوا (كاني وتمان) اخيرا ، اناس أغمار ذوو متربة وثيابهم مهلهلة رثة • وتوقعت اسألهم أن كانتعندهم شكاوى • وما كانوا شاكين الا من الاضطهاد والقتل ينزل بهم على يد مختاريهم • وتوقفت هنيهة في قرية (حويز اغا) وتحادثت معه • أنه رجل عديم الشخصية وليس بذي خطر (والعهدة على المؤلف طبعاً : المترجم) •

وعند نهاية الوادي ، وقد استغرق قطعه نحو ثلاث ساعات ، عبرنا نشزاً صغيراً فوجدنا انفسنا عند حافة حوض خصيب عريض • أننا الآن في ديار الـ (خوشناو) ، وهي ديار تراءت لي دوما باعتدادها موطن سكينة وأمن ، بعد تلال راوندوز الوعرة التي يسكنها اكراد أغمار متبدّون • وكان طريقنا يمد بمحاذاة اقدام التلال ويمر بقرى زاهرة مزدهرة وسيعة تطيف بها بساتين ومزارع ومراع غنية ، ونسيم

الاضية يردد ثغاء قطعان كثيرة • وادى بنا تسلق نشز صخر تحتجنح الظلام الى قرية (باليسان) الكبيرة حيث استطعنا بشيء من اضمار تبين طريقنا ، وكان في مسارات ضيقة كائنة بين حدائق الفاكهة ، فادى بنا الى بيت عزيز بك عم ميراني قادر بك، رجل شتقلاوة • أنه شيخ ساذج لطيف وقد بذل افضل جهده في سبيل الحفاظ على السلام بين أبناء أخيه المتحاسدين •

وفي الصباح التالي سرنا في منتصف الوادي العريض المفضي الى (بتوين) نزلا ، وعلى ضفتي نهر كيشان ، وهو يحوي من الماء ما يكفي لان يطفو الخشب فيه الى الزاب الاصغر نزلا • أن الوادي لحفيل بالقرى العائدة الى فرع (بجكالي) من قبيلة خوشناو وفيه كثير من مستنبتات شجر الحور • وكان طريقنا يمد فوق مراع معشوشبة وفيرة الازهار • ولحظت فيها على وجه أخص قطعا من الاوركيد الارجواني المتعالي • وفي نحو الظهيرة تهذنا الى حافة (بيتوين) الشمالية ، قرب ينبوع سرجنار حيث الماء يتدفق من صخرة كائنة عند قدم اخدود. وينساب في مجرى وسيع بين القصب والادغال • كان السهل مكسوا بعشب عميم يبلغ اذان المهر • كما ان الازهار كانت وفيرة ، واخص بالذكر منها : الخبيزى ، والهواء مضمخ بالرائحة الزكية المنبعثة من الحلفاء والبرسيم • وكان الذباب بلاءا مبرما ، وكانت النعرات الكبار [١٥] تؤذي دوابنا •

وتغديت مع (كاكه حمزة) ، أبن عم (ساوار اغا) ، وهو من كان يخيّم بمضاربه السود قرب (كرده تلّله) • كان يعتم بغطاء الرأس العريض ، ويرتدي مشد الخصر الملفوف لفاً سميكاً ، وال (شراويل) الضخمة ، وهي خصائص (قبيلته) المميزة ، ذلك أن ال (بيران) ترتدي فاخر الثياب وتبالغ فيها ، وباكثر من قبيلة كردية صادفتها • وصحبني في رحلتي الراكبة الطويلة المنهكة عبر السهل الى (دربند) حيث أمضيت الليلة لدى (مساعد الحاكم السياسي النقيب كوك) وكنت اول ضابط

---

(١٥) وهي ذباب الخيل (المترجم)

استضافه منذ خمسة اشهر • وكان (النقيب باركر) قد بنى ، قبل مغادرته ، بيتا هنا ، تحت الشق الجبلي تماما ، وعلى النهر مطلا • لقد نقل اليه (مقره) من بين مستنبتات الرز غير الصحية الكائنة في رانية• وكان المجندون يحلون في الحصن ، وقد رمم ، كما كانت تبذل جهود عظمى في سبيل معاودة بناء القرية الخربة •

وكنت آمل أن ارى بابكر آغا ، كرة اخرى ، لكنني وجدته راحلا ، لذلك فصلت عند صبح اليوم التالي تلقاء (كوي) ، يصحبني (كاكه حمزة) • وعندما كنت اقطع سهل (بتوين) لقيني (مام قرني) وهو من كان يقوم مقام (الزعيم) خلال ايام غياب (ساوار آغا)، ومعه جماعة من اغوات الـ (بيران) والاتباع ورجل يبحث من الـ (زرناي) نغمات•

وكان الجميع غير مسلحين ، ذلك انهم اقسموا على الا يحملوا السلاح علانية ما لم يعد اليهم زعيمهم الحبيب الاثير • وعلمت ان المضافة الكائنة في (سرخمة) بقيت مغلقة منذ ان القي القبض عليه • واستضافني في العشاء شقيق ساوارآغا ، وكان هذا ، وأهل سرخمة، مخيمين في بقعة لطيفة كائنة عند أسفل القرية ، قرب مقرن النهرين • وجلسنا ها هنا نستظل بظلام الخيام ، ونرقب الاطفال وهم يسبحون وحفاة الاكراد وهم يحدرون الخشب في مجرى الماء نزلا •

وبعد الطعام عاودنا المسير على طريقنا الماد الى (كوي) •ومررنا بمأوى الـ (مطران) في (جبناروك) وهي الآن على افضل حال ، تطيف بها زهور البرية وصغار النبات الخضراء وشتى الاوراد • وأمضيت ليلتي في (كوي) عند النقيب برادشو ، ورحلت الى اربيل صباح اليوم التالي مبكرا • أن الوادي الصغير الكائن في الارض ذات جحر الرمل الاحمر لا يزال الورد فيه كثيرا عميما ، واخص بالذكر منه شقيق النعمان وزهرة تشبه (الحدقية) وهي ذات ورود خضراء باهتة وثمة خصلات ارجوانية شبيهة بالريش تعلوها •

وعندما دنوت من اربيل شهدت امرا عجبا ! ذلك ان سكانها جميعا قد اقاموا المضارب على مشارفها • وكانت المياسير من اسرها في

الخيام وغيرها في ملاجيء من الدثارات (البطانيات) والستائر المضفورة . ومرد خروج القوم من البلدة الى زلزال حدث في اثناء غيابي عنها ، وهو حدث لم اسمع عنه الا اوجز التفصيلات وكان ذلك عبر الهاتف .

شعر الناس بالرجفة الاولى في الساعة العاشرة من ليلة الـ ٨ من الشهر ، وكانت طفيفة جدا . ثم جاءت في غضون ربع ساعة رجفتان اخريان اكثر من الاولى شدة وعنفا . ولم يحدث الا ضرر طفيف ، لكن الاهلين ملئوا رعبا ، ووقف بينهم مخبول واعلن انه رأى فيما يرى النائم أن ستحدث هزتان ، وان نهاية العالم ستكون عند الاخيرة .

ولم يحدث شيء ما ليومين اثنين او ثلاثة ايام واخـذ روع القوم يهدأ . وعلى حين غفلة ، في ليلة ١٢ــ١٣ من الشهر ، وبعيد منتصفها ، جاءت رجفة اعظم شأنا من الرجفات السابقة . وهدمت ١٠ دور وتضرر عدد كبير منها . وهلك رجلان وجرح كثيرون . ولاذ الاهلون ، والفزع يتنابهم ، بالفرار من البلدة وامضوا اياما عديدة بلياليها يصلون خاشعين دائبين . ولما لم يقع بعد ذلك شيء ما ، فيما خلا رجفتان خفيفتان او ثلاث رجفات لم يشعر بها احد تقريبا ، الا اخذوا بالعودة الى بيوتهم واصلاح الضرر الواقع عليها .

ومن الغريب الشاذ ان تلكم الرجفة كانت محلية في تأثيرها اطلاقا . وفي الثامن من الشهر لحظت هزة خفيفة في رواندوز ، لكن الرجفة التي حدثت ليلة الـ ١٢ــ١٣ لم يحس بها احد في دربند او كوي فيما خلا قلة من الناس كانوا ايقاظا . ولم تتأثر مدينتا كركوك والموصل بها ، على حين شعرت القرى الكائنة ضمن اميال قليلة من اربيل بحركة طفيفة جدا . وبالنظر الى ما يقوله السكان لم يعرف حدوث رجفات عنيفات في اربيل وما جاورها ، فيما مضى .

الفصل السادس عشر

نوري : عظيمان حان حينهما

وبعيد مغادرتي توا ، قفل (نوري)الى رواندوز عائدا • ولم يتدخل النقيب ليتدليل في أمره لايام قليلة بغية تبديد ما كان يساوره من ريب ، بل ابدى الصداقة له واحتسى الشاي معه ذات مرة • ودعي (نوري) لمشاهدة المعسكر وقبل الشاب الدعوة من غير ان يخامره شك ، وما أن بلغ ذروة التل الا وجد نفسه على حين غرة ممسكا به وبالوثائق مشدودا •

ودوت اطلاقة ، وكانت هذه اشارة الى جماعتين كانتا على استعداد للتقدم • لقد استحوذنا على جميع البندقيات والعتاد والرسائل التى استطاعنا العثور عليها • وكانت عدد البندقيات ١٦ ومعها ٢٠٠٠ اطلاقة ومن الرسائل رسالة تصلح توجيه تهمة من أجلها حررها الشيخ عبدالله السورجي وهي معنونة الى الشيخ الهرم (كاكه امين) •

وأرسل (نوري) الى اربيل صحبة حراس قليل عددهم وأن كانوا ممن يوثق بهم ، واودع السجن فيها ، على حين أمر باويل آغا بان يسير في أعقابه وان لم يلق عليه القبض• وارسل (الحاكم الملكي العام) برقية تهنئة على القاء القبض هذا واخذت اشعر بان الوضع في رواندوز اصبح الآن آمنا •

وفي السادس من حزيران وصلتني معلومات عن الانفجار الذي وقع في تل اعفر [1] ، وهي بليدة تقع على بعد نحو ٥٠ ميلا غربي الموصل•

(١) واجع ذلك في كتابنا الموسم بـ (ثورة العراق ١٩٢٠ ـ الفصل الخامس) وراجع كتاب (اهمية تلعفر فى ثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠) لـ (السيد محمد يونس السيد عبدالله السيد وهب) وقد تفضل المؤلف فنقل الفصل الخامس من كتابنا المشار اليه وضمنه كتابه نصا • وراجع كتاب (ثورة تلعفر ١٩٢٠) للسيد قحطان احمد عبوش التلعفرى وقد ضمنه رابنا فى امتداد ثورة تلعفر ((طليعة الثورة في العراق) ص ٢٢) (المترجم)

ان جماعة من ابناء العشائر بأمرة ضباط شريفين هاجمت البليدة وشد السكان من ازرهم فحاصروا دوائر الحكومة وقتلوا مساعد الحاكم السياسي الرائد بارلوا وضابط الدرك ستيوارت وموظفين بريطانيين صغيرين . وعمت اثر ذلك الحال الفوضى في اجزاء منطقة الموصل العربية ودهم الغزاة حتى طريق الكوير ـ الموصل . ان اجراءاعسكريا أتخذ في حينه قضى على تلكم الاضطرابات .

واثار النبأ في اربيل اهتياجا عظيما ، وازدادت من الان فصاعدا ، الدعاية المناهضة لبريطانيةيوميا وغدت اشد من ذي قبل عنفا . وقام المشاغبون (كذا ! : المترجم) من ارباب السمعة السيئة يبشرون بالثورة جهرا ، وميدانهم المقاهي ، وانتشرت رسائل زعم انها جاءت من (شريف مكة) وغيره من الوجهاء والزعماء الذين لا ينطوون على نية حسنة من امثال احمد باشا والحاج بيرداود . وكانت الـ (سورجي) نشطة ايضا ، اذ دهمت (كوي) وشقلاوة وجوار رواندوز كالسيل الجارف ، وكانت معها رسائل قيل انها وردت من (والي وان) وشخصيات مثله . كانت هذه الدعاية ، ومصدرها الاناضول وسورية ، تعمل سرا طوال شهور ، وبما انه قد جرى سحب قطعات عسكرية كبيرة في هذا الاوان ، لذلك تدهور نفوذ الحكومة فاخذت تظهر علناء كنت اعرف من زمان طويل من هم المحرضون في اربيل ، وكنت اشعر ان اتخاذ اجراء ما بحقهم يزيد من خطرهم في نظر الناس . ولما كانت قصصهم يثبت بطلانها غالبا ، لذلك كانوا يمنون بالسخرية ، ذلك ان الناس في هذه المنطقة عموما دأبوا على الانطواء على نية حسنة بازاء الحكومة .

وشغلت خلال الجزء الاكبر من شهري حزيران وتموز بحزص الحاصلات في منطقة اربيل . لقد كانت الواردات المتأتية من الشعير والحنطة على حظ كبير من القيمة ، كما كانت هناك خسارة عظيمة في السنة المصرمة سببها الموظفون الضعاف وخربو الذمة . لذلك عقدت النية على القيام بجولة واسعة ، للتوثق من النتائج شخصيا ، ما استطعت الى ذلك سبيلا ، يعاونني عليها شخصان يقومان بالخرص ويعتمد عليهما . وزرت ٧٠ من القرى ، وزيادة ، وذلك اثناء حصاد الشعير

ومثلها عند حصاد الحنطة . كان العمل مرهقا مجهدا وكانت الوديقة على اشدهـا .

وكانت جولتي الاولى خلال شهر رمضان وفيه يكون الاكراد ، على اختلاف مقاماتهم ، صائمين . ان الفلاح هو فلاح حسب ، والظاهر أنه ان صام أو لم يصم فلن يهم ذلك شيئا . لكنه ، على كل حال ، لا يستطيع اليه سبيلا ما دام يعمل في الحقول طوال يومه مددا . هذا ومن الجهة الاخرى يمضي الرؤساء سراة يومهم في النوم الى اطول مدة مستطاعة ، وعند المساء يتخذون السبيل الى المضافة ، ووجوههم ذابلة ، وصحنا من ماء او شنين موضوعا امامهم ، وهم ينتظرون بتوق (الاذان) الذي يعلن ان الشمس قد غربت وان صيامهم قد انتهى . وعند اول كلمة منه تراهم يرشفون قليلا ثم يأخذون بالصلاة ، ويتهيئون بعدها لطعامهم . وشهدت بعضهم يفطر على دخينة (سيكارة) ، وهو عمل خارق بعد امتناع طوله ١٦ ساعة عن شرب الماء . وعلى الرغم من وجود بعض المقصرين الذين يروون عطشهم سرا ، فان اغلب الاكراد الذين يستطيعون قضاء الايام متعطلين يلتزمون بالصيام التزاما تاما . ومن حسن الحظ ان رمضان لم يحل دون الاستضافة التي لقيتها في كل مكان ، ليلا ونهارا .

واقتصرت جولاتي على ديار الـ (دزەيى) وأصبحت على معرفة وثيقة بجميع الاغوات ، شيوخا كانوا او شبانا ، كبارا كانوا او صغارا . وكلما عرفتهم بوجه افضل كلما كانت تتجلى لي أفضليتهم على رؤساء ديار التلال ، غلاظ الكبود جفاة الطبع . لقد غدوت الان على معرفة بجميع ذوي قرباهم وبمشاحناتهم الصغيرة ومطامحهم ، واخذت اشعر بأني واحد من القبيلة تقريبا .

وليس من ضيف يؤثره الكردي بالتقدير كمثل الذي يطلق هو عليه (شرازي) ، على معنى الذي يمتلك معلومات بلدية تامة ، وفي مكنته ان يتكلم معه بشأن اموره الهينة الخاصة ومشاريعه ، وهذه تمتعه باكثر من غرائب الدنيا الخارجية كلها .

وغالبا ما كانوا يسألون : « كيف هي انكلترة ؟ واين سكني فيها ؟ ومن هم ذوى قرباي الذين لا يزالون احياء يرزقون ؟ » وكـــان يثير اهتمامهم كثيرا سماع ما اقصه عليهم عن الحاصلات والماشية في بلادي، وعادات الزواج فيها . لكنني ان حدثتهم عن سعة لندن واهلها ،وعجائب العالم الحديث ، سرعان ما تشهدهم يتثائبون ثم ينتقلون الى موضوع آخر . ان سياسة العشائر هي ، في الغالب ، موضوع الحديث الرئيس، ذلك ان ليس للكردي في حديثه ما هو احب منها ابدا .

وفي كل قرية اعتاد الفلاحون الهرمون على التحلق حولنا ، ابان قيامنا بتقدير البيادر ، وشرح وهن شأن الحبوب وطول سيقان التبن وتبديد جميع الآفات التي دهمت حاصلاتهم التاعسة . ومهما يكن خرصنا هينا ، فانهم ليرجون منا المضي معهم الى حيث دياسة الحبوب وتذريتها عارضين تقديمها الينا كلها ان ثبت ان مقدارها اكثر من نصف ما قدرناه وعلى الرغم من انهم كانوا يخاتلون طبعا الا انهم ذوو طبيعة حسنة ، اذ ما ان يتم العمل الا يعمدون الى معاملتنا بلطف ويضفون علينـــا من سماحتهم شيئا عظيما ، ويصح هذا عـــن كلهم فيما خلا قلـــة مـــن يجعلون ايديهم مغلولة الى اعناقهم ، الذيـــن يدأبون على التمتمـــة بشأن قسوة خرصنا حتى مغادرتنا القرية .

كنت ارى ابراهيم آغا في مخمور كل اسبوع ، خـــلال هذين الشهرين ، تقريبا . وكنت اصطحب في زيارتي النقيب ويليمسون وهـــو مـــن تولى مسؤولية (الطبيب المدني في اربيل) غالبا . لقد تمـــرض ذلكم الزعم الهرم في اوائل نيسان ، بعيد عودته من رحلة قمنـــــــا بها الى بغداد معا .

لقد شخصت قرحة في رئته ، وعلى الرغم من بـــذل كـــــل شيء مستطاع للحفاظ على حياته ، وانه تراءى يتماثل الى الشفاء احيانا الا ان الوهن اخذ يعتريه دأبا . وزرته يوم الـ ١٥ من حزيران حـــين كانت حاله سيئة جدا . وما كان ، آنذاك ، في (المضافة) لكنه كـــان في جناحه الخاص : في خيمة كائنة في فناء الدار ليلا وفي غرفة صغيـــرة

مليئة بالحلى النفيسة والزخارف المنمنمة نهارا . وكلما كنت ازوره كلما كان يمد الى مد يده الواهنة ويشد على احدى يدي ويمسك بهـا بشدة وعيناه محمومتان غائرتان في وجهه المتقلص . وان استطاع الجلوس فعل ذلك واستقبلني ، يمينه عليه خورشيد آغا او احـد اقربائه . اما انا فأتخذ مقعدي على وسادة بجانبه فأن ملت اليه اوظهرت بمظهر غير المرتاح في مقامي قاطعني قائلا ، ببطء وبصوت مغر وعلى محياه ابتسامة عذبة : « استراحة ، استراحة » . وأن نسيت فلا أنسى مقابلاتي مع هذا الهرم الحبيب وهو من اكن له الحب العميق . يتراءى انه كان يتوق الى الشد على يدي والتحدث معي ، وأني لاحسب انه كان يعتقد ان لو كان هناك من يستطيع انقاذه ، فهو انا . وكان يصر على ان ازوره قدر الامكان ، وكان يشكو من غيابي ان استطال الى اكثر من اسبوع .

وفي هذه المرة ، اعني يوم الـ ١٥ من حزيران ، كان الرجل ضعيفا جدا ، ولا يستطيع الكلام الا بصعوبة . ولدى مقدمي عليه أمر باحضار الشاي والقهوة لتقديمها الي. ثم أمر من في الغرفة بالانصراف. وبعد أن شد على يدي حينا من الوقت قال : « قد اعيش أياما قليلة لكني اعلم اني راحل عن هذه الدنيا : (وما حي على الدنيا يدوم!). آه ! لقد حان حيني ودنت منيتي :

وما الموت الا رحلة غير انها من المنزل الفاني الى المنزل الباقي !

سيجلس اخي خورشيد آغا في مجلسي ، ولي رجاء واحد منك هو : ان تكون لطيفا به كما كنت لطيفا بي وان تعني به عنايتك بي ، وان تسدي اليه افضالك العظام باكثر مما اسديت الي . اني اتوق الى الحياة (توق الوليد الى حلمة توردت في فمه !) ، ان عشت فسأقوم بشيء جليل وأقدمه اليك وسيعجب به العالم كثيرا . وهنا تراءى انه اخذ يدخل في غيبوبة قبل ان احرى جوابا ، لكن الاسى غلبني فانصرفت من الغرفة راحلا . وازدادت حاله في تلكم الليلة سوءا وارتفع العويل في البيت كثيرا . وفي الصباح انقطع كلامه لكنه شخصني عندما قدمت لرؤيته .

ومهما يكن من امر ، لم تكن النهاية قد حلت بعد . لقد دأب على مصارعة الحياة وزرته مرات عديدة كان في بعضها قوية بدرجة استطاع ، خلالها البحث في القضايا العشائرية والوضع السياسي . لكنه كان يمسك بي دوما ، ويطيل النظر في بالعينين الفاحصتين المشعتين بالتوق الى الحياة . وفي احدى الزورات تحدثت في امر رسالة كتبها ، نيابة عن (نوري) ، وهي بالمناسبة ، رسالة لم ارها وقال انه لا يرجو من قوله شيئا ، لكنه يقترح ، ان اسمح للشاب ان امكن بالبقاء في اربيل طليقا حرا لقاء كفالة . ولو اخذت بنصيحته لكان خيرا .

وكان ابراهيم آغا كلفا بمصالح اصدقائه ومزارعيه . فهو يرجوني بان اخفض من خرص جرى على حاصل فلان او فلان وبولغ فيه ، او ان اعين احد معارفه ، وهو امين مخلص وان كان لحزا شحيحا ، في منصب ما كان شاغرا . وما كنت قادرا على رفض رجاءاته ذلك انه كان رجلا رشيدا لا يسأل شيئا ان كان انجازه من على يدي أمرا شاقا .

وبقي خورشيد آغا في مخمور طوال مدة مرض اخيه ، وكان يقوم بواجب الضيافة في اثناء وجودي هناك . وكان الرجل الهرم المنكوب اشد من ذي قبل اسى وتشاؤما ، وذلك على الرغم من انه كان يلقاني لدى وصولي بابتسامة لطيفة . وكان على يقين من ان زيارتنا بغداد هي السبب في مرض أخيه . كان يحب ابراهيم آغا حبا جما ويمضي الجانب الاكبر من وقته يرقبه ويصلي عسى الله يكتب له السلامة (ولم أر راجيا لله خائبا !) . وأعترته أخيرا حمى شديدة فرقد على السرير الى جنب اخيه ، وتراءى مرضه أشد المرضين .

وعلى العموم كان ثلاثة او اربعة من الاقرباء حاضرين ، وعندما تصبح حالة الزعيم المشرف على الهلاك خطيرة (والعمر لا بد ان يفنى وان طالا) يلتئم شمل عشرين او ثلاثين من الاغوات ، ويضمنهم أبنه

واخوانه ، وابناء اخوانه ، وابناء عمومته ، ورحمان آغا موجودغالبا مع الاخ الأصغر محمد امين اغا وهو رجل في الثلاثين من عمره وسيم قسيم ذو جرم كريم • ومن ابرز الاقرباء البعيدين اثنان هما : (حسيني ملا) و (جوكل اغا) • والاول ماجد ريفي في الستين من عمره ، لهوجه احمر وتصرفاته مرحة ، وكان في ايام العثمانيين يسلك سلوكا شائنا ، وهو يؤثر الحال الفوضى • ومن الآن فصاعدا غدا اشد من يواليني حماسا • أما (جوكل اغا) فرجل طيب وليست له شخصية كافية تمكنه من أن يلعب دورا ذا خطر في قضايا العشائر • ان له صبيا مرحا ، صغيرا في العاشرة من عمره يسمى بـ (الاغـــا) حسب ، وهو قرة عين ابراهيم اغا واثيره • وعندما وصلت ذات يوم الى (مخمور) استقبلني ، ويا لغرابتي ، بقصيدة ترحيب نظمهـــا بالفارسية شـــخصيـا •

وفي الـ ٢٩ من حزيران حاكمت نوري شخصيا ، وكانت تهمتـه اثارة القلاقل والتآمر بازاء الحكومة • وارسل اسماعيل بك شاهدين احدهما خورشيد بك ، شقيق فاطمة خانم ، وهو من شارك في الثورة حقا • ودافع نوري عن نفسه بحماس وفصّل سلوكه كله منذ مجيء الحكم البريطاني ، ودحض بمهارة التهم الموجهة اليه • كـــان يقف منتصبا مهيبا وعيناه تلتمعان ، ولو لم اعرف ، من خـــلال تجربتي الشخصية ، الدور الذي لعبه جنحت الى الايقان بكلماته • ولو لـــم تلن له قناة الا عندما ابرزت كتابا من الشيخ عبيدالله وجـد في بيته • وحكمت عليه بالسجن لمدة خمس سنوات ، وفي ساعة شيطانية قررت ارساله الى كركوك بدلا من الموصل ، واليها كان المسجونون يرسلون عادة ، وكان الذي حملني على ذلك ان سليمان بك واصـــدقائه في المدينة كانوا يصطنعون وسيلة ما لفراره • ينضاف الى ذلك انالموصل كانت مركز الدعاية الدائرة بين الاكراد في منطقتي عقرة ورواندوز • وعلى غرار حاله عند ارساله من رواندوز آثرت انفاذه على استعجال وسرا ، يصحبه حرس صغير يعتمد عليه ، بدلا من ارساله صحبةموكب كبيـــر •

واخترت عريفا دركيا عربيا يدعى (يونس) ، وقد عرفته جيدا : (رجلا يصدق قوله بفعال) ، امينا وكالاسد شجاعة ، وتركت لـ (السيد علي) ان يختار ستة من الجنود الآخرين ، ليكونوا له صحبة • وفي أمسية يوم الـ ٣٠ تناهى الي نبأ وصوله الى كركوك سالما ، ولم ابق ، بعد ذلك ، بشأنه معنيا ، وارسلت الى اسماعيل بك في رواندوز عواقا المنتصر ، خبرا اطلب فيه ان تلصق اعلانات تبيّن للناس الحكم الذي صدر عليه والجرائم التي نال عليها جزاءً وفاقاً •

وفي ليلة الـ ٧ من تموز عدت من زيارة ابراهيم آغا من بخمور ، لاجد نبأ ينتظرني ، (مر المذاقة طعمه كالعلقم) ، لا سبيل الى تصديقه تقريبا ، واعني به ان (نوري) قد ولى ، بين كركوك ورأس السكة الحديد عند كنكربان ، فرارا • لم اضطرب ، ان كنت قد اضطربت حقا في يوم ما ، كاضطرابي عند هذا ، واخذت اذرع الغرفة ، جيئة وذهوبا ، غضبان آسفا ، وزرت كركوك في صباح اليوم التالي لاقف على ما حدث حقا ، وان اتخذ الاجراءات اللازمة لمعاودة القاء القبض على (السجين) ، ان استطعت الى ذلك سبيلا •

وصل نوري كركوك سالما ، وبعد مكوثه لمدة ثلاثة ايام فيها ارسل صحبة الاحراس انفسهم الى رأس السكة الحديد في كنكربان عليسافر منها بالسكة الحديد الى بغداد اخيرا • وكان العريف يونس وجنوده يقظين متيقظين طوال الرحلة ، من اربيل الى كركوك مددا ، ولعلهم تراخوا في تشديد قبضتهم نوعمّا في الموقع الاخير والايام التوالي التي امضيت على الطريق المار الى كنكربان وطوله ٧٠ ميلا • اذ النتيجة كانت أن نوريا او رجلا خارجيا تمكن من اعطاء رشوة الى دركيين ، ولعله اغراهما بشيء ، فساعداه على الفرار • وبعد ساعة من غروب الشمس يوم الـ ٦ من تموز ، وحين كانت الجماعة على مسافة اميال قليلة من رأس السكة الحديد ، اطلقت النار ، على حين غفلة ، على العريف من وراء ، وكان هو راكبا في المقدمة ، وكان مطلقها الدركيين اللذين كانا الى جانب السجين • وقتل حصان (العريف) واصيب هو بجرح في معدته •

وامسك المؤامران عند ذاك بالسجين وطاروا به الى التلال الخفيضة الكائنة شرقي الطريق . وطاردهم (يونس) حتى سقط وقد غلبه جرحه .على حين وقف الدركيون الباقون ، وهم اما ان يكونوا مشاركين في المكيدة او غير مشاركين،يتطلعون لأياً من الوقت ، ثم اخذوا يطلقون النار بوحشية في اتجاه الهاربين غير ساعين الى مطاردتهم ابدا . ونقل يونس الى المستشفى في كفري ، حيث بلّغ السلطات بالحادث ، وتم القاء القبض على الدرك . وهكذا استطاع نوري وصحبه الفرار ، وعلى الرغم من شائعات كثيرة دارت حولهم لم يسمع شيء محدد ثابت عنهم طوال اسابيع .

ووصلت البرقية التي تعلن فرارهم ابان وجودي في مخمور فقام النقيب ديكينسن بايداع (باويل آغا) السجن فورا .وعند عودتي تكلمت مع اسماعيل بك هاتفيا وأوعزت اليه بمراقبة أخوة نوري واحتجازهم في راوندوز بكفالة ان استطاع الى ذلك سبيلا . واتخذ هذا الامر عذرا في ارتكاب جريمة قتل . اذ في الـ ٩ من شهر تموز بلغت بأن الاخوة الاربعة حاولوا مغادرة البليدة ، ولما سار رجال اسماعيل بك في أعقابهم فتح الاخوة النار عليهم . فقابلهم الاخيرون بالمثل (ووازنوا الشر مثقالا بمثقال) ، فقتلوا اثنين منهم على حين استطاع الاثنان الآخران الفرار . واضطررت تحت وطأة الظروف الى تصديق هذه (القصة) على حين كانت رواية الناس تذهب الى ان رجال اسماعيل بك ، سواء بأمر صدر اليهم من سيدهم ، أو بأمر من ذوي قرباه ، وهو أمر محتمل أيضاً ، قد انقضّوا على الأخوة غير المسلحين وهم يعبرون النهر الذي يجيء بالماء الى البليدة وحاولوا قتلهم جميعاً.

وقبل هذا الحادث ، وعلى الرغم من أني كنت منزعجاً للغاية من فرار نوري ، لكنني لم أك مشفقاً من أية عواقب وخيمة . ذلك ان ليس للرجل اتباع كثار ، سواء أكانوا بين الأهلين ام بين العشائر ، وحسبت أنه سيفرّ الى اراضي تركية او فارس حتى تسنح الفرصة المؤاتية لعودته .

ومهما يكن من أمر ، لقد تبدلت الحال اليوم تماما . ذلـك أني لاعلم بأن نوريا لن يخلد الى الراحة ما لم يثأر لدم أخويه المسفوك . وشعرت ان عمـلاً راعبـا مرعبـا كهـذا لينزل نقمـة (نمسيس NEMISIS)[٢] على مسببيه . ينضاف الى ذلك ان الحادث أبعد شعور العطف الشعبي عن اسماعيل بك كثيرا ، وهو من كـان يتمتع بعون كبير يسديه له فيما مضى من في المدينة وابناء القبـائل المحيطة بها . ومما زاد في استياء الناس منه زعم شاع مفاده ان رجاله قتلوا ، بوحشية ، رضيعا لـ (نوري) حين كانوا يفتشون بيته . وفي الحق أن الطفل لم يمت الا من حمى . ومن هـذا الوقت فصاعـدا اطبقت سحب سود متجمعة على تلال كردستان ، وأقولها حقيقة لا مجازا .

ولم استطع زيارة (رواندوز) قبل مضي شهر ، وكـانت غايتي التوثق من حقيقة الوقائع المنسوبة الى القتلة ، وعندها اصبح الوضع في (بلاد ما بين النهرين) كلها حرجا بحيث تعذر علي اتخاذ اي اجراء سيء الى صديقنا الحقين في رواندوز واعني بهما : اسماعيل بك وجده .

وفي اليوم الـذي تلى يوم ورود نبأ القتول المـذكورة ، اطلقت سراح (باويل اغا) من السجن ، واعلمته بوفاة ولديه . وجنّ جنون الرجل العجوز واطبق عليه أسى واهتاج كثيرا وقال : أنـه رأى ذلك كله في حلم الليلة التي سبقت وقوعه . وأخذ ينهـال بالشتائم على اسماعيل بك ويرجوني الأخذ بثأره . ودأب على الطواف طوال أيـام عديدة في (البليدة) وهو كالمتخبط الحيران يستوقف الناس ويندب حظه العـاثر .

وفي الـ ١١ من تموز رحلت في زورة ثانيـة الى (كوي) . وفي الأمسـية التي سبقت يوم رحيلي اولم (حمه اغا) وليمة عشاء كبرى حضرها النقيب برادشو وأنا والوجهاء وكبـار الموظفين جميعـا . وكدست ثمـان كومـات عظيمات مـن الـرز وصـف ٥٠ او ٦٠ صحنا صغيرا في وسـط صـدر المجلس تحت ظل شجرة توت كبـيرة

....

(٢) آلهة النقمة في الاساطير الاغريقية . (المترجم)

قرب خزان ماء . كانت هـذه هي المرة الاخيرة التي اصيب فيهـا من سماحة العجوز المفرطة . لقد كان يعاني من المرض لامد ما . لكنـه تراءى الآن احسن حالاً . وبعد الطعام تبسّم لي مترفقاً ولسان حاله :

عامل الناس برأي رفيق   والق من تلقى بوجه طليق

كما كان يفيض حيوية حقاً ، ويشارك في الحديث دأباً .

وعند الصبح التالي ، قبل رحيلي ، اتخذت اليه سبيلي مودعاً . كان يجلس كعاته ، والجو الحار يكتنفه ، على صفّة عاليـة ، داخل طريق معقود يفضي الى مضافته .

وسألته : « اكل شيء في كوي على ما يرام ؟ وهل من شيء سيثير الصعاب والمشكلات ؟ » .

أجاب : « هناك بعض الامور ... » وأردف ذاك ببسمة كبسمة الطفل . وسألته : « ما هي ؟ » لكنه دأب على رفض الافصاح عنهـا والابتسامة لا تفارقه. ثم قال : « في المرة التالية ...في المرة التالية ». وأضطررت على الاقلاع عن تحرياتي ، وأن انطق بكلمة الوداع . وما كانت هناك بعد هذا من مرة تالية .

وصلتني برقية خاصة يوم الاول من آب من جميل آغا في كوي يرجو فيها ارسال طبيب ، على استعجال ، يجيء من بغـداد لمعالجـة حمه اغا ، ولكن ما ان حلّ اليوم التـالي الا تناهى نعي ذلك الرجل الهـرم :

(والموت غاية من مضى   منا وموعد من بقى)

أنها لخسارة عظمى ، ولو عاش لشـهرين آخرين لجنّبنا مـن القلاقل والقلق كثيرا . ذلك انه لم يكن له من خلف ، واثر موته تركت كوي ، على غرار رواندوز ، بأيدي طائفـة من الاغوات المؤامرين ، كان بينهم مهيمن مسيطر . أنها حالة تنذر بخطر عميم بالنسـبة الى (مساعد حاكم سياسي) ليس لديه قوة كافية لمناهضة جميع التجمّعات المحتملة . كـان حمه اغا طوال حياته رجل دم ، وان الذي كان يدور على الالسن هو أنهما ان يرحل عن هذه الدنيا الا يهلك معه خلق عظيم .

والمراد من ذلك ان موته لن يكون سليما • ومنـذ مجيء البريطانيين دأب على الوقوف بجانب النظام والقانون وان يكون عونا للحكومة لا تلين قناته ولا يتحلل ولا يريم • انه اول من انقذ وضع كوي ابان الايام السود التي مرت عليها حين ثار الشيخ محمود • كـان شيخـا اثيرا والى القلب محببا ، وعاهلا ودودا لطيفا ، وعندما كنت اراه افكر دوما بـ (الملك) في الاغنية المسماة (بباباسيس: PIPPA PASSES بالعينين الذابلتين البسمتين •••

حيث الازرق الغامق قد استحال بياضا [٣] •وتناهى ، في الوقت نفسه ، نبأ مفاده أن (ابراهيم اغا) على فراش الموت مزجى • وخيل الي انذاك ، ان من الافضل تركه الى ذوي قرباه وحريمه • وأتاه اليقين يوم الرابع من آب • لقد طال عليه المرض وأشرف على النهاية مرارا ، لذلك كانت وفاته راحة حقا ، وبموته ذهبت شخصية تاريخية: اذ هو مؤسس (مخمور)والزعيم الاصلي لقبيلة الـ (دەزيی) العظيمة ، طوال ٣٧ سنة • كان ديبلوماطيقيا بارعا ورجلا يحب اهله حقا ،لذلك بادله اهله حبا بحب • وفي اليوم الذي ارتقى فيه درجات سلم بيتـي في اربيل اول مرة وكنت على سطحه جالسا ، شعرت باحترام كبير له، وسرعان ما تحوّل هذا الاحترام فأصبح ولاءا شخصيا • ويخيل لي انه كان يبادل هذا العطف بعطف ، ومن المحتمل ان هذا الارتباط كان بنظره ، وبنظر أسرته ، أقوى من آلاف الحجج التي تدلى في صالح الحكومـة أو بأزائهـا •

ورحلت يوم الـ ٦ من آب ، صحبة احمد افندي ، لحضور مجلس (التعزية) المقام له • اذ عندما يرحل زعيم او رجل ذو خطر في كردستان يعمد خلفه وذوو قرباه الى (استقبال) المعزين ،ويستطيل ذلك اسابيع عديدة ، يقدم خلالها اصدقاء المتوفي وجيرانه للمؤاساة وقراءة (الفاتحة)

....

(٣) في الاصل :
" ... OLD SMILING EYES WHERE
THE VERY BLUE TURNED TO WHILE

(المترجم)

على روحه . وعندما بلغنا (مخمور) شهدت علما اسود مرفوعا في فناء بيت الزعيم الهالك . وعند بابه استقبلت من قبل (خورشيد اغا) وجمع من اقربائه الآخرين . واخذ بيدي الى (المضافة) حيث استقر المقام بنا جميعا ، وبقينا صامتين أمدا طويلا . وقرئت الفاتحة ثم شرعت ، واحمد افندي بالافصاح عن الاسى الذي يخامرنا ، وخورشيد اغا يقاطع ذلك قائلا ما معناه : (ان قدر الله كان مفعولا) او ما معناه :
« الا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق ! »

وعند الاكراد تعبير جميل يصطنعونه عندما يريدون تضمين معنى يفيد وفاة رجل ما ، واعني به : (انه منفذ لارادة الله ولا مرد لارادته). ثم أخذنا نثني على مناقب الراحل تفصيلا ، وأخيرا ،وعلى ما هو معتاد، شكرنا الله جلّ وعلا على انه خلّف ذرية صالحة (وما مات عبدالله ان خلّف صالحا) ، ورجونا ، انها ، ان استطاعت الى ذلك سبيلا ، ستبزّ الزعيم الراحل شرفا وفخرا ، ثم قدّم طعام يسير وما ان فرغت من تقديم احتراماتي الشخصية الا بقي لدي واجب رسمي كان عليّ أن اقضيه . ذلك ان من اللازم تعيين خلف لابراهيم اغا . وقد لمحّت الى ذوي قرباه بأن من يصطفونه سأقرّه . ومنذ وفاته أمضى هؤلاء أمدا طويلا في خلوة يبحثون في هذا الموضوع ، وأعلموني بواسطة احمد افندي ، بقرارهم القاضي بأن يكون خورشيد اغا الرئيس الرسمي للقبيلة ، ويقيم في مخمور ، على حين يضطلع (مشير اغا) ، وهو من كان في سن صغيرة لا تؤهله لمثل هذه الواجبات الخطيرة ، بشؤون ابيه البيتية ، وبقيادة القبيلة في ايام الوغى . ولقد لحظت انه يجلس بجانب خورشيد اغا ومجلسه يلي مجلسه رأسا ، على حين كان جميع اقربائه جالسين في الاسفل منه ، او كانوا واقفين ،فاستنتجت من ذلك

(★) تأمل ايها القاريء الكريم كيف يعقب (المترجم) على حادثة الوفاة في أكثر من مكان بآيات قرآنية وحكم وابيات من الشعر .. لعله كان يحس بدنو اجله هو الاخر . لهذا يهوّن من وقعه ويتقبله بنفس مؤمنة راضية . ما اعظم قدرتك وحكمتك يا رب .

(الناشر)

انه قد اختير وريثا لخورشيد اغا . وعلى ما قال حسيني ملا : انه لم يبلغ مبلغ الرجل بعد ، بحيث يستطيع ان يقوم بواجبات الزعيم . وكان ينعم النظر فيّ طوال الوقت الذى امضيته في المضافة ، وعيناه تفيضان بالاسى وتحفلان باسئلة ، ويخيّل لي انه كان يأمل بان انصبه في محل والده . وكنت انظر اليه ،فيما مضى ، باعتداده شابا طائشا نزقا ، لكنه غدا ، من الآن فصاعدا ، في عيني رجلا .

والقيت خطابا اقررت فيه رسميا بان يكون خورشيد اغا لاخيه خلفا ، على حين كان احمد افندي يضع على منكبيه (العباءة) او الخلعة الرسمية التي جئنا بها بهذه المناسبة .

لقد طمئنت الزعيم الجديد : بانه مادام على ولائه بالنسبة الي فاني ناظر اليه نظرة الاخلاص نفسها ، وسأعامله معاملة الايثار التي حظي بها سلفه .

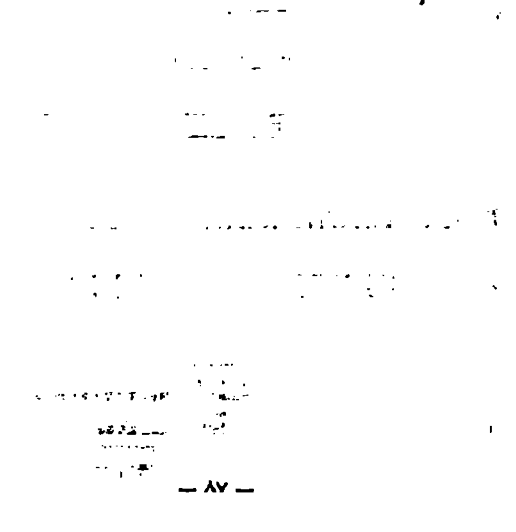
وبعد ان تمنيت له كل نجاح في مقبل الايام اثنيت الى (مشير) فأبديت له عطفي ومواساتي في مصابه والححت عليه ان يقتفي خطوات والده وأن يغدو رجلا من طرازه .ولما كان خورشيد اغا رجلا طاعنا في السن وصحته سيئة ، ويناهض الدعاية دوما ، فلقد اقترحت عليه ان يكون له بأية طريقة ممكنة عونا ،وان يذهب الى اربيل ويجيء عندما يتطلّب ذلك أي ظرف ، وباعتداده ممثلا له . واخيرا افصحت عن امل بان تدأب اسرة (بايز) كلها على الازدهار وتبقى ثابتة على ولائها الى الحكومة .

وما ان ختمت خطابي الا جاء جميع ذوي القربى كتلة واحدة ووقفوا أمامي صفا واحدا وحمل اليّ حسيني ملا ، الذي غدا من الآن فصاعدا القائد الاشد نشاطا والذي اخذ على نفسه أن يكون بأسم القوم متكلما ، شكران الاسرة كلها ، وذلك بسبب من الاسلوب الذي اصطنعته في الموافقة على رغباتها وتعيين خورشيد أغا في الوظائف التي كان يشغلها اخوه الراحل . ثم اشار الى العناية والاخلاص اللذين أبديتهما لابراهيم اغا دوما ، وإبان مرضه خصيصا ، ووعدني بأن

الاسرة كلها ستلهج بحمد ذلك وشكرانه سرمديا ، وبأنها ستقدم العون اللازم أن نجم خطرا أو حدثت مشكلة ما .

وبعد هذا تراءى أن مجمع القوم قد نسي لوقت ما الماضي الحزين وأخذ يتحدث عن المستقبل حديثا مفرحا ، كما قدم خورشيد اغا والابتسامة تعلو محيّاه وهو متألق الشكر على الفضل الذي اسبغته عليه .

وما كنت اعلم انذاك ، بل علمته من شفتي خورشيد بك نفسه ، بان ابراهيم اغا قبيل موته قد أودعني الى عهدة أخيه ، وطلب الى الاسرة كلها بلزوم القيام على خدمتي وحمايتي ، وكأني زعيمها القبلي، وذلك طوال المدة التي اكون خلالها في أربيل ثاويا .



الفصل السابع عشر

بدء الاضطراب

وجاء، يوم الرابع من آب (احمد بك زراري) ومعه رسائل من (سورجية عقرة) يرجون فيها السماح لهم بتقديم الطاعة . وما كان هؤلاء في لوائي (محافظتي) ، وما كنت قادرا على التعامل معهم من دون اذن الحاكم السياسي في الموصل العقيد نالدر . وكنت اتوق ، على وجه خاص ، الى السماح لهم بالمجيء ،وان لم اكُ مشفقا من قيامهم بهجمة مسلحة حقة . وما داموا ثائرين فأنهم الملجأ الامين للاجئين من منطقة رواندوز ،من امثال نوري وحماده شين ، ومركزا تحاك فيه المكائد وتبث منه الدعاية ، وهذه قد تثير سورجية (دشتي حرير) والمتمردين المتذمرين من امثال اخوة (يوسف بك). ينضاف الى ذلك ان ماء النهر ، اليوم ، خفيض ، ولقد قامت خلال الاسابيع القليلة الاخيرة جماعات الغوّارة من سورجية عقرة ، بالهجوم على القوافل بجوار (دوين) و (باباجيجيك) مرات عديدة ، وبذلك غدا الطريق الرئيس اليوم لا يسلك الا على الندرى . ان موقف هذه القبيلة صيّر (النقيب ليتلديل) وصيّرني على حال من اشفاق واضطراب دائبين ،لاسيما وأن البلاد تجتاحها القلاقل والاضطرابات. لذلك فانني كنت على استعداد لاجود بالكثير كي اراهم مسالمين .

وفي هذا الاوان كانت تصبّ جهود في سبيل مبادلة عدد كبير من اللاجئين النصارى ، عبر عقرة من ارمية [1] وديار

(١) مدينة على بحيرة في بلاد فارس الشمالية وطول البحيرة من الشمال الى الجنوب ٨٠ ميلا وزيادة وعرضها نحو ثلث ذلك . وارمية تقع على ساحل البحيرة الغربي ، وهي ، على ما يروى ، مدينة زرادشت . اطلق عليها (الاصطخري) اسم (بحيرة الشراة) ، =

التياري[٢] . وكان هؤلاء من الدهماء الذين لا يعرفون الضبط والربط ، كما كانوا مسلحين، وانهم اليوم مخيمين غير بعيد من ديار السورجي . وكان يعتقد أن القبيلة واقعة تحت رحمتنا ، وعلى كل حال لو منحناهم الشروط لما استطعنا ان نضمن سلامتهم من اجتياح اللاجئين . وكانت ثمة فكرة تنصب على أجلاء ال (سورجي) من ديارهم نهائيا ، واحلال النصارى فيها . لذلك رفض الاذن بالمفاوضة .

وفي اليوم الثامن من آب فصلت في رحلة الى رواندوز طال تأجيلها كثيرا ، وصحبني فيها الرائد مارشل الذي جاء لزيارة اربيل لمدة قصيرة ، للحصول على معلومات تتعلق بالاوضاع البلدية ، والملازم بوا الذي اوفده لقيادة رعيل المجندين الجاري تشكيله . وكنت مصمما على الا اصطحب اكثر من ستة من الدرك احراسا ، لكن (احمد افندي) قال لي في اليوم الماضي لرحيلي : « لِمْ لا تطلب من مصطفى اغا ان يصطحبك ؟ » فقلت له : « ولِمْ ذلك؟ اتظن أن ثمة

....

= والشراة فرقة من الخوارج . وفي (البحيرة) جزيرة سماها (ابن سرابيون) بجزيرة (كودان) . وجعل الطاغية المخرب المغولي هولاكو في امواله التي نهبها من بغداد واقاليم الخلافة العباسية قلعة فيها ، ثم صارت هذه القلعة مدفنا له وعرفت به (كور قلعة : قلعة القبر) .

(٢) كان هؤلاء يقطنون في تركية وفارس ، ولقد جاء بهم البريطانيون المحتلون للعراق في اواخر الحرب العالمية الاولى . واقاموا لهم معسكرا بجوار بعقوبا . واطلقوا عليهم اسم (الآثوريين) . كما انهم شكلوا منهم جيشا من الليفي واسكنوا بعضهم في شمال العراق ، ولقد تعرّض هؤلاء التياريون، وهم في معسكرهم المسمى جوجر — وجوجر من قرى ناحية العشائر السبعة في قضاء عقرة — الى هجمة شنتها عليهم السورجية في الـ ١٥ من ايلول سنة ١٩٢٠ والتحمت بهم حتى جاءت الطائرات الانكليزية لنجدة التيارية مما اضطر السورجية الى الانسحاب بعد ان تكبدت .؟ قتيلا ، كما بلغت خسائر التيارية مثل هذا العدد . وهكذا كان الاستعباد البريطاني ياخذ بسياسة (فرق تسد) بين طائفة واخرى لتكون له عليهما اليد العليا .

(المترجم)

خطرا سينجم على الطريق » أجاب : « كلا، ولكنك لا تعرف ما الذي سيحدث ومن الاسلم أن تصطحبه » . وعلى ذلك كتبت اليه، وبعد أن قدم لنا جريا على العادة طعاما تيسا،تحت شجرة التوت في كورة ، أنضمّ الينا وأربعة من الرجال ، وأعني بهم : كنابي القهواتي ،ومختار كرّاوي الرجل العجوز جوخه عبدالله ،وابن عم له شاب يدعى عبدالله ايضا ، وأحد اتباع اخيه واسمه : مجيد .وبلغنا اثر خبب جامح، عبر التل ، باطاس ، واليها يحيى بك قد نقل مقره من (ديره)قبل شهرين او ثلاثة.وكانت الريح السوداء(رشابة) تهب من الجبال طوال الليلة لذلك اضطررنا الى النوم داخلا .

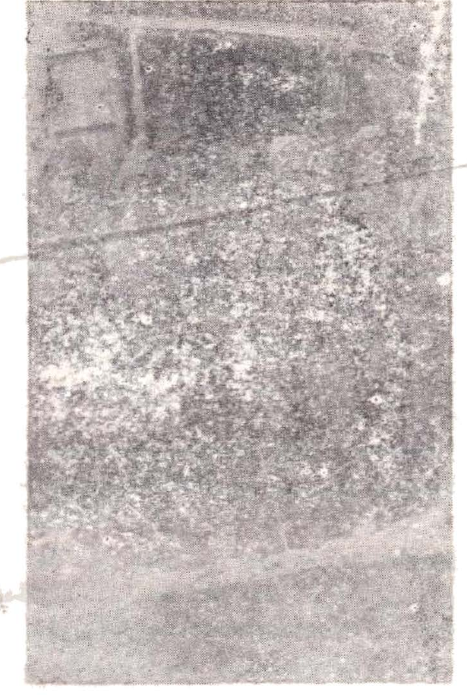
وفي اليوم التالي اتخذنا سبيلنا الى رواندوز سائرين بالمضيق ، وعند فمه استقبلنا ١٢ رجلا من رجال اسماعيل بك . وعلى الطنفه استقبلنا ، على العادة ، اسماعيل بك والشيخ محمد اغا .

وجدنا الجو مشحونا مطبقا ، والناس ابان مرورنا تطيل النظر فينا بغرابة قصدا ، كما كان الجميع يترقبون ويشفقون وكأن انفجارا كبيرا يوشك ان يقع .

وفي مرتين ، خلال الايام القليلة الاخيرة ، قام شخصان مجهولان باطلاق الرصاص ، تحت جنح الظلام ، على مخيّم المجندين . وهرع جميع الوجهاء الى النقيب ليتلديل مقدمين له العون ، لكن المعتدين مهما كانت هويتهم كانوا قلة ، وسرعان ما اختفوا في التلال . وابديت ملاحظات كثيرة تتصل بهوياتهم ،وقال بعضهم أنهم نوري او اخوته ، وقال آخرون انهم من الـ (سورجية)، لكن التفسيرات الاكثر شيوعا وذيولا كانت تذهب الى ان اسماعيل بك قد دبّر القضية كلها لمنعي من اجراء خفض في عدة الحامية ، ولكي يحفزني بأجراء اكثر شدة ، بـأزاء اسرة (باويل اغا) كلها .

وكان الجو ، في الوقت نفسه ، مشحونا بأشاعات تتصل بـ (نوري) ، وقد زُعم أنه عاد ادراجه . قيل انه زار اسرته في البليدة قبل ليلة او ليلتين ،وانه الآن مختبىء فيقرية قريبة. وفي يوم وصولي





صورة نوري باويل ملا عزيز آغا وعن يمينه سليمان آغـا مرتديـا (كلاو) اخذت سنة ١٩٢٥ .

قطعت الساقية التي تجهز البليدة بماء الشرب . وقالت الجماعة التى ذهبت لاصلاحها أن البثق كان من فعل خنزير وحشي ، لكن جـل الناس كانت ترى ، وترى حقا ، ان لنوري في ذلك يدا .

ومرت على السجين الهارب كثير من نوائب الدهر وصروفـه .

لقد اقسم (الاونباشي يونس) أنه جرحه ، وعلى كل حال لقـد عرّي ورفيقاه من ملابسهم وجردوا من سلاحهم على يد الهماوند ، حين مرّوا من ديارهم . واستطاعوا ، بعد اسابيع ، الوصول الى (يتوانا) مقر احمد بك زعيم (بجكاي) ، فرع قبيلة خوشناو ،والالتحاق بالآخرين الباقين .ومنها اتخذوا السبيل الى قرية الشيخ الهرم كاكا امين،ويظن انهم ، الآن ، مع شقيق الاخير : شيخ سيلاّن في وادي اكويان .

وعلى الرغم من ان قلقا عصبيا كان يملأ نفسي الا أنني لم اتصور ان الوضع بات خطرا . أن اكثر ما كان (نوري) قادرا على القيـام به هو جمع قلة من الرجال ورمي معسكر المجنّدين ، او مهاجمـة القوافل في (المضـيق) . وما كان اتباعه الشخصيون بكثيرين، وما كان لديه من المال او النفوذ الكافيين لاثارة القبائل المحيطة ، هي ، الآن ، عدت مسالمة قائمة بأعمالها السوية . وكان اخوه يوسف بك هادئـين طوال شهور عديدة . وعلى كل حال كان احمد اغا الشيروالي ،كما ان سيطرة الشيخ محمد اغا على (ديار بالك) هي اقوى من أي وقـت مضى . وكان يُخيّل لي ان (سورجية عقرة) سيمتلئون من اللاجئين رعبا فلا يحملون ، بعد ذلك ، بالتدخل في أمر جانب النهر التابع اليّ لذلك كنت اتطلع الى عهد من السلامة والسكينة . وكان نوري هو الشخص الوحيـد الـذي بقي في الميـدان ، ولكنـه كان صغير الشـأن واهنـه .

ومهما يكن الامر أمر آخر يثير فيّ من القلق شيئا . فاسماعيل بك غدا غير محبوب وغير جدير باشغال منصب الحاكم ، اكثر فأكثر ويوما فيوما . كان كابوس الاغتيال يراوده ، ولا يمكن حمله علـى مغادرة الدار الا على الندرى ، وفيما خلا محمد على اغا كان يرتاب من الناس ويحسبهم انهم يأتمرون به جميعا .وبعد أن رأى الذين كـان يشك فيهم مصير أخوه نوري حقّ لهم ان يشفقوا منه ويجتوه .

واحسب أن امه هي المسؤولة عن افعاله الى حـد كبير جدا ، ذلك أنه كان يظهر لي،من خلال أحاديثه معي،بأنه ذلك الصبي غـير

الفاسد ، الذي لا يعرف السفسطة ، على ما عرفته قبلا، والباشا العجوز وهو من كان مريضا ، قد شفي الآن تماما ، وعلى سبيل حصافته ودبلوماطيقيته قام بشيء ما في باب تصويب بعض خطل سياسة حفيده.

شكرا لجهود (النقيب نيلديل) و (النقيب هجيسن) المتواصلة ، وشكرانا : ها قد اصبح المجنّدون الـ (ليفي) قوة رشيقة يقظة ، وسار تدريبهم قدما . وراقبتهم ، ذات صباح ، ابان العرض ، فوجدتهم يشاركون ، بالاضافة الى التدريب المعتاد ، بالتمرينات الرياضية والملاكمة . وقد راقني تدريبهم المتحسّن وروحهم الطيبة. وكان جميع المجندين ، على التقريب ، شابابا وأخذت روح الجماعة تستشف فيهم.

وبحثنا كثيرا في كيفية ايواء المجنّدين خلال الشتاء . وكانت التصاميم قد وضعت لتشييد بناية تقوم في موقع الثكنة التركية القديمة الواقعة الى الشرق من البليدة السفلية وعلى ساحة منبسطة كائنة بين الطريق الفارسية وبين (جاي رواندوز) . وحدثت تأخيرات جمّة فأخذنا نفكر في نبذ المشروع . وهنا انبرى الحاج نورس يقدم داره لنا لقاء مبلغ معقول . وعلى الرغم من ان هذه الدار واقعة في وسط البلدة ولا تملك اسالة ماء فأنها تجود بمأوى ممتاز ، لذلك قبلنا عرضه توا ، آملين بأن سيكون في الامكان تشييد ثكنة صالحة في السنة القابلة ، وعندها يمكن اتخاذ المكان دوائر حكومية .

وحيّرتني ، على كل حال ، الدوافع التي حملت (الحاج نورس) على تقديم عرضه . انه على التحقيق ، ليس بحاجة الى مال ، وكنت اميل ، شطرا ، الى اعتداده كذلك الفأر الذي يعمد الى مغادرة السفينة عندما توشك على الغرق . لقد استطالت محادثاته معي وكان يشكو فيها كثيرا من الريب التي تساور اسماعيل بك ، والتي تجعله يشفق على نفسه وعلى سلامة أسرته ، مفصحا بانه ، مالم تتحسّن الامور ، فأنه سيرحل الى ديار بالك أو فارس . وكانت حاله طوال ذلك قلقة عصبية جدا .

وقد احرجني حين دعاني الى الغداء معه يوم الـ ١٢ ، ذلك أني

كنت عقدت العزم على مغادرة رواندوز صباح ذلك اليوم نفسه،لكنني كنت اروم كتمان رحيلي سرا لئلا يترصدني اعدائي على الطريق • واعطيته جوابا مترددا (ان البلاء موكل بالمنطق) وقلت له : ساعلمه بعدئذ على التحقيق أن كنت سأجيء اليه أم لا • لقد كان هذا جوابا وافيا بالنسبة الى المعلومات التي كان يطلبها •

وفي ليلة الـ ١١ من الشهر دُعي جميع الوجهاء والزعماء الموجودين في رواندوز الى مأدبة عشاء أقيمت على سطح بيت اسماعيل بك •

وبعد الفراغ من تناول الطعام النفيس المعتاد جلسنا جميعا على الارائك متحلقين وأخذنا بحديث • وقبل أنصراف المدعوين القيت خطابا ، علقت فيه على الهدوء والسكينة اللتين سادتا خلال الاشهر القليلة الاخيرة ، مؤكدا على الحاضرين بالا يأبهوا الى الاشاعات المبالغ فيها والتي تتناهى من (الجنوب) وتدور • ولقد طمأنتهم بأنه ، على الرغم من التقارير المناهضة ، ليست لدينا اقل نية في أخلاء رواندوز ، سواء اكان ذلك في هذا الاوان أم في أي وقت قريب مقبل •

ورحلنا في صباح اليوم التالي، وعقربا الساعة يشيران الى الرابعة والنصف ، وركب معنا كل من اسماعيل بك والشيخ محمد اغا ،وهما الشخصان الوحيدان اللذان أُعلما بنوايانا ، وحتى النشز الصخر ، لموادعتنا • وقبل أن يلفظ اسماعيل بك كلمة الوداع عرض علينا أمر أرسال ثلة من رجاله للاستكشاف خلال (المضيق)، لكنني رفضت ذلك كيلا اسبب له المتاعب ، كما أنني كنت احسب بالا يصادفنا أي مركب خشن صعب ما دمنا قد رحلنا مبكرين ، وسّراً •

وكنت راكبا في المقدمة ماضيا في(المضيق) نزُلاً ، ومعي مصطفى آغا ورجل ذو عقدة في عينه يسمّى علي افندي •وكان معنا كل من : كاناني وجوخه عبدالله ومجيد،واثنين أو ثلاثة من الدرك ، على حين كان (مارشل) و (الملازم بوا) وبقية الجماعة تسير وئيدا متمهلا، وسرعان ما عدت على فوت ميل وراءنا •وفي الطريق مررنا برجلين أو

ثلاثة من الرجال القادمين من الجهة المضادة ، وكان بضمنهم تاجر من اربيل يدعي السيد عبدالله افندي . لقد رمقنا الكل بنظرة فاحصة لكنهم لم ينبسوا ببنت شفة ، وساروا على دربهم دائبين .

وما أن نزلنا من الشطر الاعلى لـ (مضيق) ، حيث الطريق منفتح، وولجنا الديار القريبة التي تبدأ على مسافة ثلاثة او اربعة اميال من (فمه)، الا لحظت أن مصطفى آغا ارسل ثلاثة من رجاله يسيرون خببا، واخذ يتطلع بتوق عن الرابع باحثا ، وكان الرائد مارشل قد احتجزه.. ولما لم يجده اشار الى احد الدرك بأن يركب مع رجاله ايضا . ودأبنا على طريقنا نقطعه بالحديث لمدة ربع ساعة حتى بلغنافتحة صغيرة يخترق الطريق عندها قطعة من الجريش . وكان ثمة صبي كردي من ديار سرجية يكرخ ماء السواقي فيها . وعلى حين غرّة سمعنا دوي اطلاقتين متابعتين سريعتين ، وكان الدوي من قدّامنا متناهيا . ووقف مصطفى آغا وقفة الميّت وأرهف أذنيه ، وقلت « من المحتمل أن الرجال الذين هم في الامام يصطادون صيدا ؟ » قال مصطفى آغا : لا ، أنه لكمين . وقال لي بأن أتأخر على حين سار هوراكبا قدما وشرع يتحرّى.لكنني لم اكـ راغبا بأن أخلف ظهريا ، وحيدا في مصيدة موت ، فالححت على مصاحبته .وسرنا راكبين متمهّلين لمسافة ٢٠٠ او ٣٠٠ من الياردات والسكون يخيّم على الافاق ، وكأنه سكون الموتى في المقابر ، حتى بلغنا نقطة على الطريق حيث تقوم صخرة عظيمة تحجب المنظر الكائن الى قدّام . وتوقفنا لمدة دقيقة منتصتين وبينا اوشكنا على التطلّع بحذر في جميع الجهات رأينا الدركي الذي أُرسل راكبا يرجع ماشيا وقد أخذ منه الرعب كل مأخذ . وأندفع يصرخ قائلا بأن أحد رجال مصطفى آغا بات صريعا ، وأن الرجلين الاخرين أُخذا كما تؤخذ الاسارى وأنه لم ينج بنفسه الا بعد أن قفز من على صهوة مهره ورجع راكضا متخذا ستارا . ثم أردف ذلك قائلا : أن ما لا يقل عن سبعين رجلا يكمنون على قارعة الطريق ، وينتظروننا .

ولما كان ثلاثة أو اربعة من الدركيين قد ساروا راكبين قدما ، لذا

لم يبق معنا الا اربعة منهم وهم مسلحون ، على حين كان الزائد مارشل ، وهو على فوت بعيد خلفنا ، لا يملك الا مثل هذا العدد منهم تقريبا . وبمثل هذه الثلة القليلة كان من العبث محاولة اختراق هذا الممر الضيق ، والشجر يتكاثف فيه وتتكدس عنده حجارة كثيرة . أن خفنة من الرجال تستطيع ان تمسك ، عنده ، بخناق جيش . لذلك انفذت دركيا ليمضي الى وراءنا دراكا حتى يبلغ رواندوز ، ومعه رسالة الى النقيب ليتلديل ليعلم ماذا حدث . لقد رجوته بأن ينفذ قوة من المجندين لتكون لنا على الاجتياز عونا . ولعل مهري الصغير شم ريحة الخطر ، اذ ما كنت اعمد الى ان الوي رأسه الا كان يحاول العودة خبباً . على اني جعلته يمضي وئيدا ، مشفقا من جماعة اخرى على الطريق في مؤخرتنا . وسرعان ما لقينا الرائد مارشل ، والملازم بوا ، اللذن عادا ادراجهما معنا . وتراءى (المضيق) الان قبوا مظلما لاحد له ولا نهاية ، والاعداء تكمن في كل ركن من اركانه . أن صخوره الشواهق العظيمة غدت اسوار سجن لاسبيل الى تسلقها ، وهوته الفخمة تراءت خندقا مظلما يصطنع لاهلاك ذوي المصير المحتوم . وما أن جاوزنا الارض المجاورة وتسلقنا المرتقى المائل الا توقفنا ، وعقدنا مؤتمرا حربيا . وقررنا ان نعود ادراجنا راكبين حتى موقع الستر (OUT POST) الروسي الكائن على اعلى شطر من (المضيق) ، وننتظر عنده النجدات . هذا وأني لاحسب اني رأيت على الطريق شخصا راكعا على حدور كائن على الاخدود . وما أن مررنا الا سمعنا دوي اطلاقتين ففسرنا ذلك ، ولعله كان تفسيرا صحيحا ، باشارة اطلقت الى الجماعة الموجودة في الكمين ، تفيد بأن الصيد قد افلت من اليد .

وتلبثنا عند موقع الستر الروسي حينا من الوقت ، وبما ان اوار الشمس قد اشتد ونضب ما لدينا من الماء ، لذا قررنا أن نعود ادراجنا حتى ينبوع الماء في بيخال . وما ان بلغنا هذه البقعة الجميلة ، وروحنا عن انفسنا عندها ، الا مثل اسماعيل بك ومعه وجهاء رواندوز الاخرون

بأتباعهم ، وشذ الحاج نورس من بينهم بغيابه . وبعيد ذلك وصل الفتى ليتلديل وهو مدجج بسلاحه راكباً فرسه العجوز وهي على الارض الوعرة ضاربة . ثم جاءت بعده جماعات من المجندين تركض سراعاً والعرق يتصبب من جسومها ، لكنها ، على ما كان ظاهراً ، تواقة الى شيء هين يستخلصنه . وما ان وصل الـ ٧٠ دركياً الا اصطحب ليتلديل ٥٠ منهم ومضى في المضيق تاركاً ٢٠ منهم ليأتوا معنا بعد الفراغ من طعامنا ، وكان اسماعيل بك قد ارسل بعض رجاله للاتيان به الينا .

وأمضينا ساعتين او ثلاث ساعات في بيخال ونحن نسائل النفس من هم هؤلاء الذين كادوا ينقضون علينا . وكان جلنا يميل الى الشك بـ (نوري) ، لكنني كنت ارفض أن انوء بكلكل هذا البعبع ، ولما كنت متشككاً جداً من الاشاعات القائلة بأنه قد عاد ، لذلك كنت أميل الى أن قائد المشروع كله هو : (بيكوك) شقيق يوسف بك ، وهو من لم احظ بعفوه ابدا .

لقد قوى من هذا الاعتقاد أن والد زوجة نورس بك ، وهو الذي أخبر عن تاريخ وساعة رحيلنا من رواندوز .

ولم نحصل من كردي او كرديين جاءا ساعين منفردين في (المضيق) صعداً الا على نزر يسير يؤيد ماقاله لنا الدرك قبلا .

وبعد اصابتنا من طعام ما ، ودعنا اسماعيل بك والوجهاء الاخرون وشكرناهم على مجيئهم لمساعدتنا ، ثم انحدرنا في (المضيق) ركبانا . ولقينا على الطريق الضيق (والعهدة على المؤلف : المترجم) شوكت افندي الارديني وحسن اغا مختار باطاس وكانا راكبين آتيين لاستقبالنا . واعلمانا بأن القهواتي كانابي هو الذي قتل ، وأن الرجلين الاخرين ، بعد أن سلبا وضربا ، اطلق سراحهما وانهما الان في (كاني وتمان) . وكان ثمة خبر قد ارسل من رواندوز هاتفياً الى يحي بك في باطاس فتجمعت كل العشائر من (السرجية) و (دشتي حرير) عند فم (المضيق) لمساعدتنا أن مست الحاجة الى مثل هذا . ومررنا من قطعة

الجريش حيث سمعنا دوي الاطلاقة وسرعان ما بلغنا الصخرة التي كانت قبل ساعات قليلة تقف وحدها بيننا وبين (الموت) ! .

ووراء الطريق المنحدر الى حافة الساقية بنحو ٥٠ ياردة ، وحيث يوجد شاطيء صغير ، هناك بقعة أثيرة لأرواء الحيوانات . وعلى الجهة المقابلة من الساقية قطعة استنبت فيها شجر الصفصاف الطري ومالبث يمر الطريق بالشاطيء الا ينثني متياسرا ، ويحاذي نوعا من طريق كائن تحت صخرة ضخمة . هنا كان مكمن الذين ارادوا الانقضاض علينا ، وحيث الجدار العظيم يقطع كل امل بالهروب . وعلى الشاطيء الابيض الصغير كانت لطخة داكنة تؤشر المكان الذي لفظ عنده (كاتابي) أنفاسه الاخيرة .

ومن هنا ، فصاعدا ، وجدنا رزايا تتناثر على الطريق ، مؤلفة من المجندين ، وسرعان مابلغنا المضيق في خاتمة مطافنا . ليس في مكنتي أن أصف لا (القاريء) شعورنا عندما تنفسنا الهواء النقي الطري ، كرة أخرى ، ورأينا امامنا ذلك السهل الصغير الذي تغمره اشعة الشمس عند خليفان والتلال التي تطيف به . دخلنا (المضيق) بعد الساعة الخامسة صباحا ، والآن هي الساعة الخامسة مساء تقريبا . لقد جسنا فيه ، على ما يحبس الذباب في مصيدته ؛ واستمر ذلك لمدة ١٢ ساعة ، ولقد جسنا طوله ثلاث مرات تقريبا . وهذه كانت اخر رحلة أجتاز فيها المضيق ـ أو في الاقل لحين من الوقت ـ اذ لم يخامرني يأس ما في معاودة زيارة هذه الارضين .

ولقينا (ليتلديل) خارج المضيق تماما ، ذلك انه ، مع مجنديه ، كانوا قد نفذوا منه من دون ان يلقوا مجابهة ما . ورحبت بنا جماعة عدتها ٥٠ سرجيا وآحادها من دشتي حرير ايضا ، وقدمت لي التهاني على نجاتنا وعرضت مد يد المعونة الينا . وما ان رقينا الى (كاني وتمان) الا وجدنا (جوخه عبدالله)وهو يتراءى على نفسه آسفا آسيا ، يرتدي ملابس ريفية خشنة ؛ والصبي (مجيدا) لايلبس الا قميصه التحتاني وسروال ابيض ، على حين ذهبت سترته الموشاة بالحرير ، و (كتابي)

وقد لبذ في العراء ميتا . وسمعنا الان تفصيلات المواجهة : كان (كانابي) يركب في المقدمة وما ان وصل الى الشاطىء الابيض الصغير ـ حيث شهدنا اثر دمه ـ الا ترجل ليشرب من الماء شيئا فرأى بين شجر الصفصاف الذي كان امامه جماعة من الرجال المسلحين . ومن فورهم صرخوا فيه : « سر قدما ! أننا لانبغي بك شرا ، أننا ننتظر (الحاكم السياسي) حصرا . » وما أن أجابهم : أنني رجل (الحاكم) الا وتناول بندقيته واصلاهم نارا . ودوت أطلاقةمجيبة أردته صريعا مجندلا . وانطلق ، في الوقت نفسه ، بعضهم وامسكوا بـ (جوخه عبد الله) وبـ (مجيد) وسلبوهما اسلحتهما وملابسهما الخارجية ومهريهما أيضا . ثم أنهم أخذوا يستجوبون (الجوخه) العجوز قائلين : « اين الحاكم ياترى ؟ » أجاب : « لقد غادر راوندوز هذا اليوم ، مع محمد اغا ، لزيارة ديار باليك . » فكان ردهم على هذا : « ان هذا لكذب مبين ، ذلك أن قد بلغنا أنه غادر تلقاء أربيل متخذا هذا الطريق اليها . » قال الجوخه موءكدا : « اقول لكم أنه سافر في ذلك الاتجاه . » فما كان منهم بعد ذلك الا أن ينهالوا عليه ضربا ، واستطال ذلك لمدة نصف ساعة ، لكنه بقي ثابتا لاتلين له قناة . وبعد ان لبثت الجماعة متربصة لمدة ساعتين مددا عمدت الى الانسحاب واطلاق سراح اسيريها . واستطاع هذان الرجلان الحصول على العون ونقلا جثمان (كنابي)الى كاني وتمان .

وعندما استجوب الـ (جوخه عبدالله) عن عدة الذين أنقضوا عليهم قال : « انهم كانوا ٣٠ في الاقل ، وقد بلغ عددهم الستين . » ماكان في مقدور جوخه عبد الله أن يميز من بينهم أحدا وأن الوصف الذي أورده بخصوص قائد الجماعة لم يسفرعنه الاالمزيد من الحدس والتخمين. ولما كنت لاعرف كم يميل الكردي الى المبالغة في ايراد الاعداد ، لذلك قدرت عدة الجماعة بما يتراوح بـ الـ ١٥ والـ ٢٠ ، ولا زلت أتمسك بالفكرة القائلة بأن الذي اراد اغتيالي هو : بيكوك .

وأظهرت التحريات التالية أن المشارك الرئيس في الكمين لم يك الا

الرجل الذي رابني فيه شك ، وأنه الذي حاول قتلي ذات مرة من خلال نافذة غرفة نومي واعني به : خضر بن حماده شين • كان يصحبه نحـو ٣٠ رجلا ، على حين كان (نوري) ينتظر بمثل هذا العدد علـى الروابي الكائنة في الاعالي ، وعلى استعداد لان يكون لصاحبه عونا • واثـــر زيارته الليلية ل (رواندوز) أتخذ (نوري) سبيله الى « بيـــاو » حيث قام (حارس اغا) بتزويده السلاح ، ثم أنه عبـــر النهر والتجـــأ الى سورجية عقرة • وعاد بعد ذلك توا ومعه خضـــر واتباعهما الشخصيون وعدتهم نحو ٢٠ سورجيا • وبمرورهم من خلال سرجية جنـــدوا علـى الطريق قلة من الرجال وعبروا (رواندوز جاي) الــى (بيـــاو) ، حيث اطعمهم (حارس اغا) من جوع وزودهم بقوة صغيرة طارئة ، زادت من قوتهم عددا • وفي صباح اليوم الذي رحلت فيـــه الــــى (رواندوز) أتخذوا السبيل الى قرية (سرشمة) ، حيث استطاعوا ، عـــن مـــسار ضيق النزول الى المضيق ، عند جهته الشمالية ، على مـسافة ميل واحد من اوله • ان المسافرين او الثلاثة الذين قابلناهم في سفرتنا الاولى نزلا والصبي الذي كان يعمل عند بقعة الجريش كانوا قداحتجزوا جميعـــا وطلب اليهم ان يقسموا جاهدين ، تلقاء خطر فقدان حياتهم ، بالا يبوحوا بوجود الكمين ابدا • لم ينقذ حياتي الا تفكير مصطفى اغـــا المسبق ، وشجاعة رجاله واخلاصهم ، اذ كنت اجبه موتا حقا • ولو سرت راكبـــا الى مسافة خطوات ، مارا بالصخرة التي كانت تحجب المنظر عنا فمـــن المحتمل أن تبوء محاولاتهم بالخسران ، وتغدو عبثـــا •

وعلى الرغم من أن مصطفى اغا يبدو رجلا دينا تقيا ، فالمعروف عنـه جيدا أنه لايبرح الاخذ بالثأر أبدا[٣] • لقد استثارت هذه الحوادث

---

(٣) الاخذ بالثار عادة اصيلة متاصلة في الكردي يدلك على ذلك ما ورد في الامثال الشعبية الكردية ومنها ما ترجمته : (يبرد الثار ان مر عليه يوم) و (اذا ساند الاخ اخاه فلن يصيبهما ضـر الا اذا اذن الله وجاءت البلوى) و (لايموت المرء اكثر من مرة) وعادة الاخـذ بالثار من مظاهر التضامن القبلي والسبيل الوحيد للاقتصـاص عندما يكون المجتمع خال من حكومة تاخذ حـق المظلوم مـــن الظـــالم • (المترجم)

روحه العشائرية ، فرفض دفن الجثمان في البقعة التي وجد فيها ،وحصل على حيوان حمله عليه واعاده الى قريته ، مارا من ديار الـ (خوشناو). ليثير القبائل فيها ، فتطالب بالثأر جميعا . ذلك ان كاكابي ، او (علي بابا) على ماكنا ندعوه ،لم يك رجلا وضيعا ، ولعل من يبزه في روحه الباسلة ، في ديار خوشناو كلها ، كان معدوما . وعندماكان صغيرا سقط من شجرة جوز فتمزق جفنه الايمن ، فغدا هدبه مشوها . لازلت اعتصر من ذاكرتي صورة وجهه الكريم الممتلىء الريان وجرحه الغريب وهو يقدم لنا القهوة ، على ماعتاد ، تحت شجرة التوت في (كورة)

وعدنا الى (باطاس) وتوقفنا عند المقهى الكائنة على الطريق الى الاسفل من قرية (حماده شين) المسماة : كاليكن . لقد تجمع عندها يحي بك وكل رؤساء السورجية في دشتي حرير لاستقبالي وتهنئتي . وكانت تصحبهم جماعات كبيرة من الرجال المسلحين ، وهي ، على ماحسب ،قد عبئت منذ الفجر لمهاجمة رواندوز او باطاس أن قتلت ؛ ولتقديم العون أن كتب لي النجاة . وبلغنا غايتنا بعد ساعة من غروب الشمس :

وتوارت في افقها كتواري الخود من رقيب طروق

وسرنا الاخلاد الى فراشنا .

وعاد الرائد مارشل والملازم بوا ، في اليوم التالي الى اربيل ، على حين تلبثت في باطاس لادأب على أجراء التحريات ، وأقوم بحملة بأزاء من ارادوا أغتيالي . وتكلمت بالهاتف مع أربيل أطلب مجيء السيد علي وثلة من الدرك ، وجماعة من المجندين الخيالة ، وفي المساء رحلت الى شقلاوة راكبا ، ومعي مصطفى اغا ، بغية طلب العون من قادر بك . وخرجت جماعة كبيرة لاستقبالي وتهنئتي ، وتطوع قادر بك ، من دون أن يطلب منه ذلك ، الى استثارة قبيلة الـ (خوشناو) كلها لتثأر لي . ومهما يكن من أمر ، رجوته أن يزودني بقليل من الرجال الذين يعتمد عليهم ، أذ أني اروم القيام بهجمة على (حماده شين) و (نوري) ، ولا أريد القيام بهجوم عام على الشيوخ المعادين .

وفي اليوم الـ ١٣ من الشهر نفسه تناهت الى اول مرة انباء الثورات[٤]

العشائرية حول بعقوبا . فمنذ اوائل تموز كانت تصلنا على التقريب يوميا ، برقيات تحمل انباء الاضطرابات التي اندلعت في الفرات . وعلى الرغم من كونها بالغة الخطورة الا ان اصواتها كانت تتناهى من بعيد جدا ، ولم تثر في قلقا عظيما . اما الان فقد اصبح الاضطراب على الجهة الشرقية من دجلة ، وكان لزاما على ان اتدبر الوضع في اربيل بجد ، واربيل من دون عسكر منذ اليوم الاول من اب .

وعدت الى باطاس يوم الـ ١٤ من الشهر لمتابعة تحقيقاتي . وما أن وصل السيد علي الا أرسلته الى (سرجية) لجمع المعلومات والقيام بأي القاء قبض يعتده ضروريا . وعاد في المساء ومعه (مختار سرشمة) ، والصبي الذي كان عند بقمة الجريش وثلاثة من الرجال او أربعة اخرون وهم الذين كشفوا عن هوية الذين ارادوا الانقضاض عليّ . وعاد (نوري) و (خضر) ورجالهم عبر ديار السورجية يحملون الاسلاب وعبروا النهر فوق (باردين) . ويظن انهم الان مخيمون على قمة التل المطل على مضيق الزاب .

وعاد رجال (حارس اغا) أدراجهم الى (بياو) . واطلقت سراح الصبي ، وأرسلت الباقين الى اربيل نزلا ، باعتدادهم أسارى ، واوفدت السيد علي وجنوده لتطويق حارس اغا . وخلال النهار كلمني ليتلديل هاتفيا ، يفيد بان الحاج نورس قدولى من راوندوز فرارا ، والى ديار (باليك) متوجها . وبذلت جهود كثيرة لاعادته لكنه استجار بالشيخ محمد اغا في (والاش) فأجاره وسمح له بأن يبقى فيها ثاويا .

وعدت الى اربيل يوم الـ ١٥ من الشهر بسبيل (كوره) ، قاطعا المسافة وقدرها ٤٠ ميلا كلها . واستروحت ، أبان وديقة النهار ، في (كورة) حيث علمت بأن (جوخة عبدالله) قد نقل الى قريته ، وهو يكاد يقضي نحبه من الخجل ، ومما مني به من اضرار . وما أن وصلت الى اربيل الا اوفدت طبيبا عربيا ليعنى به . وتناهى من هذا الطبيب مايفيد

(٤) يريد بذلك امتداد ثورة العراق سنة ١٩٢٠ لواء ديالى . (المترجم)

بأن حالته ليست خطيرة ، لكنه يشكو قائلا : « كيف ابقى لك (الحاكم) مخلصا وأنا لا املك لابندقية ولا مهرا ؟ » وعلى ذلك ارسلت له بندقية حالا ، وأتخذت الاجراآت اللازمة لتعويضه عن فقدان دابته .

والشيء التالي الذي قمت به : غب عودتي ، هو التحري عن (اباويل آغا) ، فعلمت أنه ولى من المدينة في اليوم المنصرم فرارا .وعلى الرغم من أن نجاته أزعجتني ، فلقد سررت من أن الرجل الهرم التاعس يستطيع الآن ان يروّح عن قلبه ، والاسى يكاد يعصره ، أن رأى أسرته وحبيب قلبه : نوري !

ووجدت الوضع في اربيل أبعد ما يكون عن بعث الطمأنينة والرضى ، وكان الجو مشحونا بالاشاعات التي تذهب الى نجوم اضطرابات في كركوك ، والى أن ثورة عارمة ، على ما كان يزعم ، وشيكة الوقوع فيها . وكان المحرّضون السريون ناشطين في المقاهي ، يثيرون الناس ويحفزوهم على الثورة وتحدي الحكومة القائمة . وعيّن الحاج رشيد طائفة جديدة من الموظفين ليحلوا محل موظفيّ ، وجل من عينهم خبثاء (والعهدة على «المؤلف» بطبيعة الحال : المترجم) لن يتحملهم الجمهور مدة اسبوع واحد . واستمال السيد عبدالله اغا الى جانبه ، أذ قدم له منصب (الحاكم) . وما كان في مكنته القيام بشيء ما دون عون عشائري، لكن احمد باشا والحاج بير داود كانا من عملائه دوما ، وقد قام هذان ، الان ، بزيارة جميل اغا في (بحيركه) حيث دبرا مؤامرة ما .

وفي أجتهادي أنهم لم يضعوا خططا معينة حقا ، لكنهم اتفقوا على معارضة الحكومة حسب ، سرا في الوقت الحاضر ، وأن سنحت الفرصة المؤاتية فعلنا . ولما لم يحدث أمر ذو بال في كركوك والموصل كنت أشعر بطمأنينة تامة ورضى .

وكان هذا اليوم ، أعني الـ ١٥ من آب ، هو يوم الاحد ، وهو ، ويوم الجمعة ، يوما عطلة في مكتبي . وأرسل الحاج رشيد اغا في صباحه الى القاضي الهرم يسأله : «اتمل طوال هذا اليوم ، ياترى ؟»

أجابه : « كلا ، انه يوم الاحد ونحن نغادر عند الظهيرة • » فقـال له : « لِمَ تغادر عند الظهيرة يوم الاحد ، وليس الاحد يوم عطلة محمّدية؟ أنا الان (الحاكم) ، فاذهب وقل لجميع الموظفين بأن يدأبوا على اعمالهم طوال اليوم والا يغادروا الدائرة عند الظهيرة •» أجـابه القاضـي : « حسنا ، أن كانت هذه رغباتك ، فاذهب وقفه عند اعلى السلم وامنعهم من نزوله عند أنتهاء الوقت • ولن اتخذ اجراء ما •»

وتسلمت في ذلكم اليوم ، عبر الهاتف ، من السيد علي في باطاس الخبز السار القائل بأنه القى القبض على (حارس اغا) واستحوذ على بندقيات عديدة • لقد عبر (جاي رواندوز) بعشرين رجلا فقط ، ثـم طوق بيت الزعيم الـ (بياوي) • كان عندها نائما ، وعنـدما خـرج ليستطلع جلية الخبر القي القبض عليه وشد وثاقه مـع اثنين او ثلاثة من اتباعه وتم ترحيلهم على استعجال • قلت للسـيد علي بأن يرسـل السجناء الى اربيل ، كما وعزت اليه بالبقاء في باطاس وجمع ثلة مـن رجال قادر بك ومصطفى اغا وشن هجمة على نوري • وبناء على انتقال حمه اغا الى الرفيق الاعلى كانت زيارة (كوي) علي لزاما ، لذلك تركته ليتخذ مثل هذه الترتيبات أن استطاع اليها سبيلا •

وفي صباح الـ ١٦ ظهر في المدينة اعلان غفل من توقيع ينـادي المحمّديين (بالاحرى المسلمين المؤمنين : المترجم) الصالحين ويدعوهم الى الثورة بازاء حكومة الكفرة ، ويعلن في الوقت نفسه اقامة مولود (منقبة نبوية شريفة : المترجم) ، وهو ضرب من أجتماع ديني ــ سياسي، في جامع كركوك قريبا ، وسيحضره الاف من المؤمنين الذين يحملـون سلاحا • والان عقدت العزم على ان القيام بعملية القاء القبض تشمل بعضهم ، لكنني رغبت في أن اشرك وجهاء البلدة في الامر ، أن استطعت الى ذلك سبيلا • لذلك استدعيتهم الى مؤتمر ضمهم جميعا ، فيمـا خلا الحاج رشيد اغا • وبعد أن شكرتهم على تهنئتهم أياي بمناسبة نجاتي من (المضيق) اشرت الى اضطرابات الجنوب (يريد ثورة العـراق سنة ١٩٢٠ ــ المترجم) والاجتماعات السرية التي يجـري عقـدها في المدينة • ثم اني سألتهم ان كانوا لا يرون بـأن من صـالح المجتمـع ،

على العموم ، القاء أرباب الضجاج ، المشاغبين ، في غيابة السجن أو طردهم من المدينة • وعلى الرغم من أن الجواب المرتقب من جلهم كان : « أجل » ، أن جرى توجيهه في تخافت أو تحادث سري الا أنهم كانوا يشفقون من الافصاح جميعا، لا أستثني منهم الا (على باشا) ، وهو من اعطى جواب الموافقة على مضض، ولعل ذلك كان لاخفاء احاسيسه المناهضة للحكومة ، وهي جد قوية ، ذلك انه كان يقترح بأن انذارهم حسب أمر فيه الكفاية •

وانفض الاجتماع والقي القبض على أربعة من أسواء المشاغبين حالا • والقيت اثنان منهم في غيابة السجن ، واقتيد اثنان آخران الى خارج المدينة • وكان لهذا الاجراء تأثيره الممتاز • وانسحب الحاج رشيد اغا الى قريته الكائنة على الطريق الماد الى الكوير ، شاكيا من أن أربيل ، في مثل هذا الفصل من السنة ، غير صحية ، وانعدم الحديث الاستفزازي الثوري في المقاهي • وبالنظر الى اخبار المناقشات التي دارت في البرلمان (الانكليزي : المترجم) في الدرجة الاولى والتي بلغت البلاد ، ساد اعتقاد وشاع الى حد كبير بأننا نوشك على اخلائها • ان هذا المعتقد نفسه هو الذي شجع القبائل والمجتمعات المحلية التي كانت حتى الان موالية لنا على عقد الخناصر مع الثوار ، وكلما اشتدت هذه كلما غدت حياة الحكام السياسيين معرضة للخطر • لقد كنت حتى الان أصطحب حرسا مؤلفا من دركيين أو ثلاثة ، وهما كافيان ، ولم أكن أخرج مسلحا • أما الان فقد قال لي اصدقائي حذاريك من القتلة دوما • لقد كنت أعرف العديد من الناس الذين يمتازون بهدوء التفكير ، وكانت معرفتي به كبيرة جدا ، لكنهم كانوا على استعداد لاهتبال أية فرصة تسنح لهم للتخلص مني ، وعلى ذلك كان يصحبني حتى أبان انتقالي من بيتي الى دائرتي ، مالا يقل عن ٦ من الدرك ، كما كنت أحمل في جيبي مسدسا دائما • ينضاف الى ذلك أني ، بما لدي من الاسباب الرصينة التي تحمل على الشك في الدرك ، طلبت من خورشيد اغا ان يبعث الي بولده الذي شاع ذكره وذاع بأعتداده شقيا

مأجورا ، وأسمه : (سيموكالا) وخمسة من الرجال الاشداء ليكونوا حرسي الخاص الدائمين•وتسلمت مساء ال ١٦ من الشهر برقية بالشفرة، صادرة من (الحاكم الملكي العام : CIVIL COMMISSIONER)

كان فحواها شيئا من هذا: « **لقد حرق بيت الحاكم السياسي في خانقين، ومكتبه ، والموظف ان يهرب منها • ان الوضع على نهر ديالى بالغ الخطورة ، وأن المفرزات العسكرية مطوقة ، والجسور قد نقضت ، واصيبت السكة الحديد باضرار ، واكتسحت مدينة بعقوبا وهوجم معسكر اللاجئين • ليس من المحتمل معاودة تشغيل وسائل المواصلات الا بعد حين ، اذ ليس هناك من عسكر • لقد قتل العقيد لجمن ، ولواء الدليم الان على حال من هياج موار وتسوده الاضطرابات • ان جوبهت بصعاب فلسنا بقادرين على مساعدتك حتى بطائرة واحدة • اصطنع اية حجة ممكنة لاخلاء جميع الموظفين الذين تستطيع الاستغناء عنهم •** »

وعلى الرغم من هذا النبأ المروع العظيم لازلت مطمئنا الى عدم حدوث اي شيء ذي خطر في لواء (محافظة) اربيل • وكان (فرع بايز) من (قبيلة دزەیی) يسيطر على السهل ، وكنت واثقا منه • كما كان اعتقادي راسخا في أن اللاجئين قادرون على الحد من جماح الـ (سو رجي) ، لذلك ماكنت ارى ضرورة أخلاء رواندوز فأتلف ثمرة جهودي وعملي الذي أستطال لمدة ٨ شهور وتعرضت آبان القيام به الى أخطار جمة • وعلى آية حال ، بدأت أرسل الى الموصل وكركوك، علاة مهل ، فيض النقد الذي عندي ، والموظفين البريطانيين والهنود الذين لاحاجة ماسة لخدماتهم •

وكان احمد افندي ، رئيس البلدية ، على عادته ، مشاوري الرئيس في جميع ما يعن لي من مصاعب • وتغديت معه ، يوم الـ ١٧ من الشهر ، حين رتب مع والد زوجه • (الشيخ معروف) ما يضمن لي سلامة الوصول الى (كوي) • ذلك أني كنت بسبيل السفر الى هذا الموقع في اليوم التالي ، بغية الوقوف على تأثير وفاة حمه اغا ، في الوضع فيه ، وهو أمر جد ضروري بالنسبة الي • وقبل رحيلي كان لي حديث هاتفي طويل مع السيد علي ، نوقفت بسبيله على ان الخطط

التي اختطت للهجوم على نوري ا م‌تتقدم الا قليلا ، وهو ما اغضبني كثيرا . واكدت عليه كرّة اخرى ، بأني لا أبغي القيام بحركات عشائرية كبرى ، وأنذرته بأن يكون كل شيء ، قبل العيد الذي سيصادف يوم الـ ٢٥ من الشهر ، تاما ، حين يرفض العشائريون ، على التحقيق ، القيام بحملة ما .

وأمضيت ليلة الـ ١٨ في (علاجه) مع الشيخ معروف ، وهو مَنْ وجدته صديقا حميما ، وذا نية طيبة . أنه شيخ كثير الكلام ، ضاحك السن متفائل ، ورع متدين كثيرا . وصحبتني ثلة من اولاده ، وابناء عمومته ، في سفري الى (كوي) في اليوم التالي . وتوقفنا على الطريق لتناول الغداء مع (كريم اغا) في مقر منطقته المسماة : (كوماشن) . كان هذا في شغل شاغل يجبي الضرائب ، وأفاد ان القانون والنظام سائدان في كل مكان . أن الشخص الوحيدالذى كان يثير المتاعب له هو : الشيخ محمد اغا ، من قبيلة (كردي) والمعروف عادة باسم (الوغد) ــ والعهدة على المؤلف بطبيعة الحال (المترجم) ــ وذلك بسبب من مظهره ومخبره .

ووجدت (برادشو) سعيدا جدا ، وأن تناهت الاخبار توا بأن (كفري) هي الان في قبضة العشائريين وأن (مساعد الحاكم السياسي النقيب سامون) غدا فيها سجينا . أن المشكلة الوحيدة القائمة في الوقت الحاضر هي مشكلة ذوي قربى (حمه اغا) وذلك بقدر تعلق الامر بأملاكه . فأبن اخيه (رسول اغا) ، وهو شيخ بلغ العمرين ، ٨٠ سنة، ذو أنف أحمر ، وبدن يرتجف ، وقد طار له نبز (الشيطان) كل مطار ، جاء من منطقة رانية يسعى مصرا على أن يكون ، أبان سويعات الشيخ الهرم الاخيرة حاضرا . وبعد ان رقد هذا في لحده هادئا لم يقتصر ادعاؤه على رآسة أسرة عفوري فحسب ، وهي أسرة ذات صلة به ، بل ادعى بشطر كبير من ثروة حمه اغا ، وزعم انه حرم منها طوال سنين كثيرة ظلما وعدوانا . لقد ادعى ببعض الدكاكين ومضافة الشيخ الهرم نفسها وقال عنها : «ان من الواجب أنتقالها الى والده عندما

فارق جده الاعلى هذه الدنيا» . ولقد حدثت وفاة هذا الجد الإعلى قبل قرن ، او زد عليه ايضا .

والقيت السمع الى جانبي القضية فوجدت ان (المطران) وجميع الوجهاء متفقون على تخليص (كوي) من هذا الرجل المجتوى ، وبأسرع ما يستطاع اليه سبيلا . لقد استطاعوا طرده من مضافة حمه اغا ، لكنه اتخذ له مستقرا آخر وتحالف مع عدوه الوراثي : عبدالله اغا ، وهو الذي سمح له بالعودة من بغداد في أيار ، وكلما كان ناموس الحكومة يتدهور ، بسبب من الاخبار التى تتناهى ، كلما كانت مضافتا هذين الرجلين تحفل بالزائرين كثيرا .

وعلى الرغم من عدم وجود خطر محدق ،فمن الثابت المحقق ان لو اضطربت حال الديار المحيطة ، فأنهما من اقدر رجال (البليدة) طراء ولا يملك جميل اغا ، وهو رجل طيب مخلص موال للحكومة تلك الشخصية المعنوية التى تمكنه من ان يجبه الاعصار ويثبت بازائه . لقد عيّن ، اثر وفاة حمه اغا ، رأسا ، على البليدة حاكما ، لئلا يصبو اليه عبدالله اغا .هذا وان رسول اغا ، ومعه أغوات اسرة (غفوري) الاخرين، أخذوا يدعون بحق تعيينه مساعدا له ، وذلك لتنال عصبتهم في الحكومة تمثيلا ، ناسين أن حمه اغا ، وضعفه كانا يتطلبان مساعدا ، على حين كان جميل اغا قادرا على تصريف واجباته من دون عون ما . وعلى اية حال ، لقد شجعتهم بتأكيدات أنصبت على أن مطالبهم سينظر فيها عندما يوفقون الى حسم اختلافاتهم العائلية أياها .

ونجح كل من ابن أخ حمه اغا ، وأعني به (ملا أحمد اغا) ذا الوجه الذي يشبه وجه الخروف (كذا ! : المترجم) ، وابن أخيه الضعيف : (ملا حويز) في تثبيت مركزيهما فاصبحا رأسخين كالطود ، مستقرين في مضافة الرجل العجوز . وأستطاعا الامساك بأبنه السمين الصغير ، وعمره ثماني سنوات ، المسمى (محمد زياد) وأخذا يتعرضان به كل ميدان ، باعتداده للاسرة رأسا وللرجل العظيم خلفا حقا .

بهذه الضربة ابتطاعا ان يقهرا رسول اغا . ولو كان لاي منهما وجود ، او ذكاء ، لاصبحا سيدي الموقف ، ذلك أنهما كانا اكثر ثراء واعز نفيرا ، بالنسبة الى الوجهاء الاخرين جميعا . وعلى الرغم من أنهما كانا مخلوقين ساذجين فأنهما سلرا على نهج حمه اغا وبقيا ثابتين على الولاء الى الحكومة وذلك في اشد الايام حرجا .

وحضرت في اليوم التالي (التعزية) المقامة على روح حمه اغا . وكان جميع ذوي قرباه والوجهاء حاضرين ، باستثناء (عبدالله اغا). وجلسنا في الايوان الكائن في المضافة حيث جرت مقابلتي الاخيرة مع الرجل العجوز . وكان ابنه ، وهو طفل وسيم وأن كان على شيء من أنتفاخ ، يحتل كرسي الصدارة ويعامل بأعتداده أميرا صغيرا . وجريا على العادة المتبعة أفصحت عن تعاطفي مع عشيرته الاقربين في هـذا الخسار ، وأثنيت على مناقب الراحل الكريم . وتراءى أن الحاضرين لم يكونوا آبهين مقدرين لمثل هذا ، ولعل مرد ذلك الى أنهم ارهقوا بالتعازي والمؤاساة ، والاكثر أحتمالا انهم كانوا مسرورين من رحيل الرجل العجوز عن هذه الدنيا ، وسرعان مادار الحديث في الامـور السياسية . وبعد ان القيت خطابا تناول الوضع العام ودعتهم جميعا ، وفي الساعة الثانية من بعد الظهر أتخذت والنقيب برادشو السبيل الى باطاس ، ذلك انى كنت أشعر بان وجودي فيها كان امرا لازما معجلا .

وسلكنا سبيلا سبق لي وصفه فيما مضى . ومررنا بجـدول (جالي) وحاذينا الحدور الشرقي لجبل سفين ، ثم سرنا خلل (نازانين) الى ايران . وأني لاحسب أن هذا هو اجمل طريق قطعته في كردستان، اذ بعد (جالي) يسد المسار بين العليق والقصب والزهور دأبا ، وان النعناع البري في كل مكان يضمخ الهواء ارجا . ومررنا بقطع كثيرة مزروعة بالتبغ وحيث النسوة في شغل شاغل يلتقطن اوراقه ، وقـد شهدناها في القرى وقد وضعت على حدور وتجفف فوق السطوح . وبلغنا ايران والشمس قد توارت بالحجاب ، وتوهج الدم في افـق الغروب ، فاستظافنا على سطح منزله المختار على بك . وهذا ، على

الرغم من تقديمه طعاما هينا يسيرا لنا ـ والمسافرون يشكون من انعدام القرى في هذه القرية غالبا ـ وقد تراءى من وجودنا مسرورا ، الى أبعد مدى ، ولقينا منه ترحابا بالغا ، وعلمنا ها هنا ان قادر بك مشغول بجمع قوة كبيرة من العشائريين لمحاربة الـ (سورجي) ، ولعلنا سنجده في باطاس في اليوم التالي .

وعندما عاودنا رحيلنا كرة اخرى نبذنا طريق (شقلاوة) الرئيس متخذين السيل الذى يتخلل وادي (بركة) تلقاء دشتى حرير . وكانت الارضون موفقة جميلة جدا ، وموحشة جدا . واستضافنا في قرية بركة المختار (مام كاك) وهو شيخ مرح على الفطرة ، وهيىء لنا طعاما تناولناه قرب ينبوع تظلله اشجار الصفصاف . قال لنا المختار : ان جميع الرجال القادرين جسميا ، الموجودين في القرية قد اتخذوا سلاحهم وغادروها بأمر من قادر بك الى باطاس . وارانا الرجل كثيرا من الود المصفى ، ولم تلق عملية تجنيده قوة نيابة عني في اية قرية من القرى التي مررنا بها رفضا لها .

وما أن بلغنا باطاس الا عجبت من أن كلا من قادر بك والسيد علي كان غائبا . أذ ما كان الاول قد وصلها بعد ، على حين قام الثاني ، على ماقال يحي بك ، بجمع جميع آحاد قبيلة الـ (سورجي) في دشتى حرير وسار بهم عبر النهر لمهاجمة اخوانهم الموجودين على الضفة الاخرى ، تاركا لـ (قادر بك) خبرا مفاده ان يلحق به بأسرع ما يستطيع .

وكان قلقي من الحال الراهنة بالغا ، فهي (تترك الحشا في التهاب) . فاولا : تجلى أنه بدلا من القيام بهجمة ما أعددت العدة لحركات قبائلية بمقياس كبير ، وثانيا : أن من الثابت المحقق اطلاع كل من نوي و (سورجية) عقرة عن اخبار خططنا ، وذلك منذ أمد بعيد ، لذا اعدوا العدة لمقاومتنا ، وثالثا : ان (العيد) قد قرب ، وبقدر ما يتبين لي أن من المحتمل حيلولته دون القيام بأي شيء مطلقا،ورابعا: لو كان السيد علي قد قاد الـ (سورجي) ، عبر النهر ، حقا وبغية قيامهم بهجمة على اخوانهم فانه الان على حال غير ذات جدوى . كنت عند

هذه النقطة على أشد ما يكون توقا لذلك صممت على ان إسير الى (باردين)راكبا ، تلكم الليلة عينها : (وتنال اقصى الامر عن كثب) . وكان حرسي متعبا مرهقا جدا ، فلا يستطيعون المضي الى اكثر مما مضوا قبلا ، وما كانت لدي الاقوة طارئة قليلة جاء آحادها من (بركة) ومما جاورها من القرى ، كما كان معي عبيد بك الباشوري وأثنان او ثلاثة من أتباعه أيضا . والاخير هو ابن عم صالح بك الاملس ومن أقسم اخيرا ان يقتله ان احتل قرى معينة ، وقد تطوع ان يكون لي صاحبا . وأخذ رجال (بركة) عندما اقترحت عليهم أيجاد حرس لي يزمجرون ويتمرمرون . وأخيرا حملهم قائدهم ، وهو ابن (مام كاك) على المسير، لكن اتجاههم كان بشكل دفعني الى اعادتهم . وأسريت راكبا في الظلام لايصحبني أحد الا عبيد بك ، وهو ماجد لا يعتمد عليه الى أبعد مدى ، واثنان من الدرك . وما كانت هذه خبرة مستحبة ، ذلك اني كنت منهوك القوى ، وكان الطريق صخريا فما استطعنا السير عليه الا متمهلين . وتجنبا القرى حذرا ، ولم نصل غايتنا الا عند منتصف الليل . ولم نصادف في طريقنا الا رجلا واحدا ، وعندما اوقفناه أمتلأ رعبا ، وسألناه : ما خطبك يا صاح . فأجاب انه من رجال شوكت افندي وانه بسبيله الى رواندوز ليبتاع سكرا . وعندما وصلنا (باردين) قال «الاحدب الخبيث» أنه لم يرسل رجلا ما .

واستروحت كثيرا عندما وجدت أن السيد علي لم يعبر النهر . انه يعسكر الان بنحو ٥٠ ، من الدرك والمجندين ، و١٠٠ من آحاد قبيلة الـ (سورجي) ، سبق له جمعهم منها ، وكان ذلك بالوعيد بالدرجة الاولى . وكان زعمائهم موجودين جميعا وبضمنهم : على بك وتاج الدين اغا وعزيز اغا ، على حين كان شوكت افندي يقوم باستضافة زائريه « غير المرغوب بهم ! » ونمت تلكم الليلة بجنب السيد علي ، على حين جلس جميع زعماء الـ (سورجي) متحلقين هامسين ، على بعد ياردات قليلات .

لا معدى عن أن يكون السيد علي قد خضد من شوكتهم ،

واصطنع لذلك روحه الفذة ووجود الجندرمة ، لامعدى عن أن يعمد جل هؤلاء الى الهروب أن نجم اضطراب ما • ولعل وصولي قد فاجأهم أيضا ، ولم يتوافر لتفكيرهم البطيء الوقت لاتخاذ قرار قبل أنبلاج الصبح : أمن اليسير قتلي اولا ؟

وسررت من أن (علي افندي) قد أدرك ايضا ان هؤلاء السادة كانوا أقرب كثيرا الى ان يحاربوا بازائنا من ان يحاربوا معنا ، وقلت له بأنه يتلبث في (باردين) ويرقبهم بعين الصقر • وكانت الاخبار المتناهية من ضفة النهر الاخرى تفيد بأن (نوري) و (حمادة شين) قد التحقا بالشيخ عبيدالله في بجيل ، حيث توجد قوة كبيرة تهدف الى مقاومتنا • ورحلت فجرا الى (باردين) وعدت الى باطاس فلم اعثر على أي أثر لصالح بك فيها • ومهما يكن من أمر ففي نحو الساعة العاشرة صباحا ، وصلها ومعه مصطفى اغا وصالح بك ورشيد بك وعدد كبير من الزعماء الثانويين تتبعهم قوات طارئة من العشائريين دأبت على التدفق طوال النهار •

وجاء جميع الزعماء ، وعدتهم نحو ١٧ ، وجلسوا حولي في غرفة يحي بك • وتكلمنا حول الحركات المرجوة وكان الحديث غامضا ، وبعد دقائق قليلة قال : قادر بك والزعماء الثلاثة الكبار الاخرون أنهم يرومون عقد مؤتمر خاص معي • لذلك أختلفت وأياهم الى (المكتب) وجلست في صدره وأمامي منضدة صغيرة ، على حين انتظم صفهم على ارائك موضوعة على جانب الغرفة ، عن يميني •

وكانت عينا قادر بك تكادان تخرجان من رأسه ، وتراءى كل من (رشيد بك) و (صالح بك) خجلان ضجرا ، وما كانا يستطيعان النظر في وجهي ابدا ، على حين بدت على مصطفى اغا مسحة من قلق وكان يرقبني ، طوال الوقت ، والاضطراب النفسي أخذ منه كل مأخذ • ثم بدأ قادر بك بحديث طويل مضطرب ، قال في أثنائه ، انه وأخويه الزعيمين ، كانوا على أستعداد دوما لاطاعة أي أمر اصدره لهم مهما

كان يسيرا ، انهم جندوا قوة عدتها ٤٠٠ رجل، لكنهم لقوا في ذلك معارضة الملالي الذين نادوا بأن احتراب المحمديين مع المحمديين أمر غير مشروع ، ان كان بأمر من حكومة نصرانية ، وهذا أمر هو اشد خزيا ان وقع يوم (عيد الاضحى) ، وقدم دم المؤمنين ضحية لله بدلا من ان تقدم الضحايا المعينة • وزعم انه وأخويه قد ضربوا عديدا من الملالي وأودعوهم غيابة السجن ، وانهم على استعداد لاطاعة اوامري وأن كانت تخالف شريعتهم (كذا : المترجم) وما تفتي بهم سلطاتهم الروحانية • (كذا : المترجم) • وأنهم على استعداد لان يصبحوا كفرة في سبيلي (كذا : المترجم) • لكنهم لا يستطيعون تبيان ما في قلوب رجالهم • وأنهم على استعداد ، أن صدر امر مني ، لان أقودهم عبر النهر ، ولكن اسيحاربون على الجانب الاخر تحت وطأة تهديد نار كألسنة لظى يجبهونها ؟ أنهم مشفقون من كارثة تنزل بهم الخزي والعار ، شأنهم فيها كشأن أبناء عشائرهم ، عندها يسقطون من نظري الى الابد • وأعتصر قلبي من سماعي كلماته ، وما كان ذلك من خيبة الامل ـ ذلك اني كنت مسرورا من عدم أجراء حركات بالمقياس الذي أعد له (قادر بك العدة) ، وكنت أعتقد لايام ، ان العيد سيكون عقبة في سبيلها ـ لكنني كنت أشعر غريزيا بأن هناك مكيدة ناشطة • لقد نبأت عنها عيناه الجاحظتان وملامح الخجل التي ظهرت على وجوه رفقته• وسألته : ما السبيل الذي يرى أتنهاجه يا ترى ان أردنا أن نبقي على ماء وجوهنا ؟ وعندها اخذ على عاتقه أن يبين لابناء العشائر المتجمعين بأنه لايريدهم ان يكونوا بعيدين عن بيوتهم ، خلال أيام العيد الكبير ، وأنني قد أصدرت الاوامر بتفريق شمل القوة وتأجيل الحركات • وحذرني من موقف (سورجية) دشتي حرير المريب ، وخص بالذكر منهم (علي بك) و (شوكت افندي) وأقترح أن اطلب من زعمائها بالشخوص الى باطاس بغية توضيح نواياي لهم • ووعد بان يدعوهم جميعا بمناسبة العيد الى (شقلاوة) وتعهد بأن يكون مسؤولا عن تصرفهم أيضا • أن قوته وعدتها الان ٤٠٠ رجل ، لن تتشتت حتى اليوم

التالي ، وذلك لاعطائي الوقت اللازم لدعوة رؤساء الـ (سورجي) ، ولاتخاذ الاجراآت الكفيلة بعد نجوم ثورةفيها.وقبلت بماعرضه فغادرني ورفقته وأنا أتأمل في تضاعيف الوضع السيء الحرج . واستطاع مصطفى اغا ان يراني على أنفراد ، لكنه لم يزودني بأية معلومات ، بل أنذرني بأن أتخذ ، وأياه ، السبيل الى اربيل ، في وقت مبكر جدا من صباح اليوم التالي . كنت انوي القيام بزيارة سريعة الى راوندوز لاطمئن نفسي عن الوضع هناك ، لكنه لم يك على استعداد لسماع أي شيء عن هذه الفكرة ، آخذا بنظر الاعتبار أن لو وقع لي حادث ما فأن اللواء (المحافظة) كله يصبح على حال من اضطراب وفوضى . لذلك رأيت ان من الافضل أن أعود الى مقري . وأرسلت الى السيدعلي خبرا يفيدبأن عليه ان يقدم عليّ فيباطاس حالا وأن يأتي بجميع من يستطيع جمعه من آغوات الـ (سورجي) .

والان اخذت افكر في أخلاء راوندوز ،أو على أية حال ، في سحب القسم الاعظم من (المجندين) الى باطاس . وأستغرب النقيب ليتلديل كثيرا من مقترحي الذي أفضيت به اليه هاتفيا ، وكان متأكدا جدا من أن (سورجية عقرة) لاتستطيع القيام بهجمة تشنها قوة ما ، واصر على انه ، مهما حدث او سيحدث ، **يجب الا يقال ان الخوف من (نوري) حمل البريطانيين على الرحيل معجلين عن رواندوز ومن دون نضال** ، لذلك صممت على الوقوف بثبات . وسالنيليتلديل ان كان في مكنته المجيء الى أربيل ، وكان عليه ان يزورها شهريا ، ليتفقد شؤون مستودع المجندين والسرب[٥] الجديد . وغب تردد كبير منحته الاذن بذلك وأنا أظن بأن ، في خلال ايام العيد ، والايام القليلة التي تليها

(٥) ورد مفرد سرب : SQUADRON في الاصل مطلقة هي تفيد بالمصطلح العسكري اما (سرب طائرات) او (سرب خيالة) ونحن نسترجح الاخير لعدم ورود ما يفيد وجود طائرات في اربيل .
(المترجم)

ليس من المحتمل ان تجري حركات عدائية ، وأن في مقدوره العـودة قبل ان يتطور الوضع •

وتغديت مع (يحي بك) ، وبينما كنت ، أثر ذلك أخلد الى راحة في غرفتي سمعت جلبة كبيرة في الاسفل منها • وفتحت الباب وشهدت البيت كله يكاد يكون غارقا في دخان ، والظاهر أن بعض التبن فـي غرفة سفلية قد مسته نار ، ونزلت ، على استعجال ، فوجـدت الدار مطوقة بجمهور من ابناء القبائل ، وهم يتصايحون • ولحسن الحظ ظهر قادر بك من بينهم ، واستطعنا ، انا وهو ، السيطرة على الجمع • وسرعان ما أطفيء الحريق ، لحسن الحظ ، فعدت الى غرفتي • وأعلمني مصطفى اغا ، باخرة ، بأن التبن قد احرق عمدا ، وذلك بأمل أهـلاكي في الدار محترقا ، فان لم يحدث هذا كانت هناك فرصة أخرى وأعني بها التخلص مني في المعمعة التي تجيء في اعقابه حتما •

وبعيد هذه الحادثة ، وصل حرسي المؤلف مـن أبنـاء قبيلة الـ (دزەيي) ، يقودهم (سيمو كالا) فاستروحت لمقدمه كثيرا • وقائدهم هذا مخلوق فضولي صغير الجرم ، وسرعان ما أخذ يتكلم بصوت هامس أجش ، معجلاوقائلا : « أعلمني (علو) أنـك طلبتني شخصيا فطبيعي أن أترك عملي وآتيك ساعيا • حتى ولو خسرت مئات الباونات فأنـي آتيك أن أصدرت الي أمرا • كان عليك أن ترى ما احدثه مرورنا مـن اربيل ، ذلك ان كلامنعلىباشا والحاج رشيد اغا أخذايرتعدان فرقا ، هذا ما استطيع قوله صدقا • سنلقنهم شيئا ما • لكن ماذا انت فاعل ها هنا ؟ لاتثق بالقبائل ابدا • أتخذ السبيل الى اربيل راجعا وبالسرعة التي تستطيعها • لا تثق بالقبائل ، هذا ما اقوله لك ، لاتثق بهـــم ابـدا • » وتركته يتكلم ، وطمأنته بأني عازم على مغادرة بـاطاس ، بمجرد ان أستطيع الى ذلك سبيلا •

- وامضيت جانبا من الوقت افكر فيموقف قادربك • لقد كان يخيل لي انه متورط في احدى الملمات التى تنتابه غالبا • كان رشيد بكوصالح

بك وكاتبه احمد مدحت يسطرونه بقصص النوازل التي يمنى بهـا البريطانيون في الجنوب ، واستطاعوا اخيرا حمله على الايقان بأنـه يلعب على حصان خاسر . كانت عروض مساعداته لدى زيارتـي شقلاوة ، خالصة مخلصة ، لكن القصص التي أنهالت على سمعه ، منذ ذلك الحين ، جعلته يؤخر أستعداداته حتى ايام العيد ، لكـي يدلي بعذر في عدم الايفاء بوعده . ومهما يكن من أمر ، لا يزال الرجل متأثرا الى حد ما بالصلة القائمة بيني وبينه ، وبأرتباطه بالحكومة التـي رفعته الى مقامه السني الحالي ، على حين كان اخوه الحاسـد ، وصديقه القديم ، على ارتباط بالخبيث السام احمد مدحت افنـدي (والعهدة على المؤلف بطبيعة الحال : المترجم) ، وهم يبذلون أفضل ما في وسعهم لافساده وحجتهم في ذلك هي : أما أن الحكومة التي هو مدين لها بمركزه ستهوي ،او، ان تراءى أنها ستبقى ، فهم انذاك ، قادرون على ان ينالوا لانفسهم عندها الحظوة ، بخذلانه . لقد كتبت رسائل بقلم احمد افندي الى (شيوخ سورجي) في بجيل ، وبأسـم قادر بك ، يعدهم فيها بمهاجمتي من وراء بمجرد عبوري النهر . بهذه الطريقة غدا قادر بك آخذا بسياسة تناهض الحكومة ، وكان مصطفى اغا هو الشخص الوحيد الذي يحذره من خطله هذا .

ووصل السيد علي في نحو الساعةالتاسعة صباحا ، ومعه أثنان او ثلاثة من زعماء الـ (سورجي) ، ليس من بينهم علي بك أو شوكـت افندي ، اذ كانا قدقدمالتخلفهما عذرا . وأثر وصولهم توا تلقيـت رسالة هاتفية من النقيب ليتلديل تفيد بأن نوري يقف على جانـب النهر الذي نحن عليه . لقد سلب ساعي البريد في المضيق ذلك الصباح ثم اختفى في قرية تقع خارج البليدة تماما ، وحيث وافته فيها نسوتـه ونسوة ابيه ايضا .

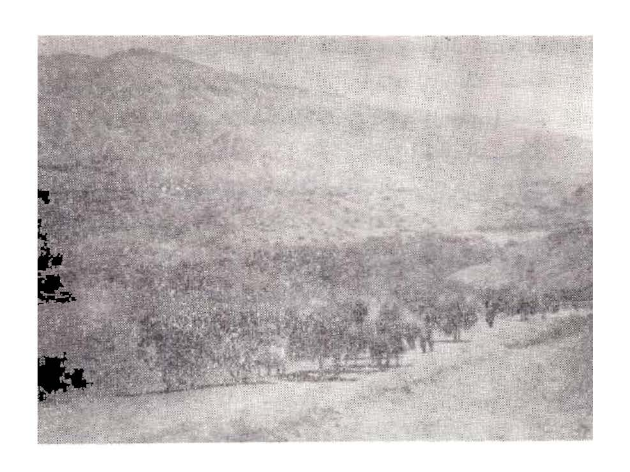
والمفروض كونه الان ، على طريق العودة الماد فوق جبل كريك ، صحبة قافلة طويلة . وما ان سمع السيد علي النبأ الا طار عائدا الـى

باردين ليجمع ثلة من الدرك ويحاول مشاغلته • وأرتفع الامل في نفسي عاليا ، لكن فرصة النجح كانت يسيره حقا • ذلك ان الريف كله قد يقف بجانب رجل يخاطر بحياته في سبيل حريمه •

ولم أقل لزعماء الـ (سورجي) في تلكم الامسية الا قليلا ، ونمت على السطح ، ومعي احراسي متحلقين حولي وزعماء الخوشناو على فوت قليل مني • وتجمعت خلال الليل سحب ثقال وحجبت كواكبه وكأنها الجمرات وقد انطفأت ! وهبت ريح عاوية فهددت باكتساح سررنا واطارتها من فوق السطح • ثم اعقبت ذلك بروق ورعود وأرسل الله السماء مدرارا ، وكل ذلك ، في مثل هذا الوقت من السنة كان امرا عجبا • واضطررنا الى النزول ، معجلين ، جميعا ، ورتبنا سررنا في غرفة سفلية كان حرها كوهج النار •

وانصدع فجر اليوم التالي عبوسا قمطريرا وعلت حرير داغ سحب عظيمة سوداء • أن كل شيء ينذر بيوم كان شره مستطيرا • وفي ساعة مبكرة استدعيت اغوات الـ (سورجي) وقلت لهم بانني قررت ، احتراما لعيدهم واكراما له ايقاف الحركات والححت عليهم بأن يصدعوا بنصيحة قادر بك الذي قبل بتحمل تبعة الحفاظ على القانون والنظام في دشتي حرير كلها • ثم اني رحلت عبر السهل ومعي احراسي ومصطفى اغا • وما كنت بقادر على مناهضة شعور خامرني اوانئذ محصله اني مودع باطاس وداعا اخيرا ، وأن ثمة خطرا كان بي محدقا • وقام أحد

رجال مصطفى اغا بمهمة (الدليل) وقادنا على مسار غريب يتلوى ، جنبا بذلك المرور من قرية عبيد بك • ثم عبرنا سلسلة بابا جيجيك تلقاء الشمال وعن الطريق المعتاد مبتعدين • وانحدرنا الى (بليتكا) وهي قرية تقع على بعد اميال من (ماراوان) ، في وادى نهر شقلاوة نزلا • ودأب مصطفى اغا على القول لـ (دليله) : « لِمَ تأخذ بنا على هذا الطريق ؟ أنه اكثر طولا واشد وعورة • »لكننا كنا دائبين على السير طوال الوقت ، وهذا امرغريب بالنسبة لمثل هذه الرحلة • وفي



منظر (قافلة) على الطريق العام بين حرير - كلي علي بك

(بلينكا) استرحنا في شرفة كوخ حيث جلبت لنا سلة من عنب ارجواني، قطفته أمرأة من كرمة دانية • ولبثنا وقتنا يسيرا ثم سرنا بعدها معجلين باكثر مما مضى ، ولم نذق طعم راحة ما حتى بلغنا (كورة) • لقد ادركت الان ان تحـذيرات مصطفـى اغـا التى أنهالـت على (أدلائـه) لم تك الا امرا مفتعلا ، ذلك انه كان يريد الاسراع بى علي طريـق غير مطروق تفاديا لاخطار كانت ، انذاك ، كامنة في كل خبايا تلكـم التلال وزواياها •

ومكثت في (كورة) بضع ساعات ، استريح في الرواق الكائـن على اعلى التل قرب المضافة • وقدم لنا طعام نفيس رائع ومعه الشنين تطفو عليه قطع من ثلج • وكان (جوخه عبدالله) هنا وقد قدم للترحيب بي ، وذلك بعد ان ابل مما اصابـه • كما جيء الي بشـفيق كانـابى

فحلف امامي بوكيد الايمان بأنه سيثأر لفقيده • وبعدان شــكرت مصطفى اغا على جميع مظاهر الاخلاص التى ابداها لي رحلت صحبه حرس كبير ، وكان طريقى يمد فوق التلال الى (باستوراجاي) حيث كانت سيارتى بانتظارى • كانت هذه آخر رحلاتى ، خلل التــلال الكردية الاثيرة على قلبي ، التلال الرائعة المونقة ، والتى يكمن فيها القتل والموت المفاجىء غالبا •

•

الفصل الثامن عشر

... وانفجر الاعصار

وبقي كل شيء في اربيل هادئا ساكنا وحل (العيد) فكان من أبهج الاعياد التي عرفها الناس ، واشدها جذلا ومرحا . ولم يسبق للمدينة ان ظهرت على مثل هذه الحال المتألقة الزاهرة المزدهرة . كانت الشوارع تعج بالاطفال ، فتتعالى ضحكاتهم وجلبتهم ، ومما لا ريب فيه ان الناس كانوا يشعرون بالسعادة والاطمئنان عموما . وسعى في اليوم الاول منه ، الـ ٢٥ من آب ، جميع الوجهاء والموظفين الى مكتبي ، على العادة المتبعة ، فأعدت لهم الزيارة في اليوم التالي ، واهملت أمر الحاج رشيد آغا قصدا . وبنتيجة ما فعلت قوطع الرجل، كما قوطعت مضافته لايام عديدة ، فلحقت به من جراء ذلك مهانة فاسترحم مقابلتي . لقد احتج بولائه فقلت له : لعلك ستحظى بفرصة لاثباتها ، وان فعالك هي التي ستجعلني احكم لك او عليك..

وفي عصر اليوم الثاني من العيد اديت زيارة طويلة الى الشيخ الروحاني مصطفى افندي فسألني كثيرا عن الدين المسيحي . ورجاني ان كان في مكنتي تزويده بنسخة من الكتاب المقدس محررا باية لغة يستطيع قراءتها ، وفي اليوم اليوم التالي أرسلت له نسخة عربية منه ، كنت املكها .

وتناهت الي ، في الوقت نفسه ، انباء من السيد علي مفادها انه بلغ (خليفان) وانه وجد ان (نوريا) قد مر بها . فما كان منه الا ان يسير على آثاره قصصا متخللا ديار السورجية ، لكنه لم يصب في مسعاه نجحا . والظاهر ان القافلة كانت عبرت (الزاب) عند اسفل مقرن (جاي رواندوز) ، قرب ساوير ، على حين كانت جماعة كبيرة من الـ (سورجية) تهدد بالقيام بهجمة على مركز (باردين) لتمنع ارسال الدوريات في ذلكم الاتجاه . وأمرت السيد علي بان يقفل الى

اربيل راجعا ، تاركا قوة مـن الـ (جندرمة) والـ (شبانة : ليفى) لتراقب المعبر عند (باردين) . ووصل النقيب ليتلديل يوم الـ ٢٥ من الشهر . لقد سار في اثر نوري ، عبر (كريك داغ) ، فلم يدركه ومـا كان الوقت اللازم لذلك الا سويعات .

وابلغني فياليوم السابع والعشرين (مأمور البرق) ان الاتصال بباطاس مقطوع . وحسبت ان جماعة من الغزاة عمدت الى قطع الخط ، لذلك ارسلت قلة من الدرك ، ومعهم رجل ، لاصلاحه . وعلمت فيأمسية اليوم الـ ٢٨ مـن الشهر من (مخمور) لاعلم ان أن الـ (سورجي) ومعهم (نوري) و (حماده شين) قد عبروا النهر وان عدتهم جميعاً : ١٠٠ ولقد لحق بهم جميع ابناء عشائرهم في دشتي حرير[1] وذلك عند صبح اليوم المنصرم .

لقد بدأ الاضطراب بما قام به علي بك ، ذلك انه في مطلع اليوم الـ ٢٧ من الشهر احاط بمركز الدرك في باباجيجيك وجرد مـن فيه مـن سلاحهم وخرب خط البرق الى حد كبير . ثم انه ارسل نبأ الى الـ (سورجي) ـ وكانوا على استعداد ، وينتظرون على ضفـة النهر الاخرى ـ وما ان عبروه الا عمدوا الى محاصرة مركز باردين . وقتل عدد من الدرك واسر كثيرون ، على حين استطاع اثنان او ثلاثة منهم الفرار يحملون النبأ الى يحيي بك في باطاس . لقد استطاع هذا ابلاغ ذلك الى النقيب هجنسن في رواندوز ، وكان ذلك قبل انقطاع الخط بين المكانين . ثم انه اخذ مال الحكومة كله وفر صحبة قلة من الدرك الى (سيساوه) ، احدى قرى الـ (خوشناو) واستطاع ان يصلها سالما . واحتل الثوار باطاس ونهبوا دوائر الحكومة وبيت (الباشا)، ولم يتخذ قادربك اجراءا ما .

وجرى ، بيني وبين النقيب ليتلديل ، حديث طويل ، واتفق علـى ان يقوم بجمع كل مـن يمكـن جمعهم مـن الرجال الميسورين ،ويغادر

---

(١) اوديرة حرير ، ناحيـة تابعة الى شـقلاوة ومن قراها باطـاس وهي على فوت من رواندوز مقداره ٣٠ كيلو مترا . (المترجم)

والسيد علي باسرع وقت مستطاع الى شقلاوة ، حيث عليه ان يحصل على العون من قادربك . فان غدا قويا ، على الوجه الكافي ، وجبعليه ان يهجم على باطاس ويحاول ان يشق طريقه محاربا حتى بلوغ راوندوز . ورحل قبيل انصداع عمود الفجر من يوم الـ ٢٩ ومعه رأس عرفاء السرية : كينارد ، والسيد علي وضابطان صغيران هما : (حميد أفندي) و (درويش افندي) ونحو ١٠٠ جندي ، كان اربعون منهم من الخيالة ، والكل من المستجدين تقريبا . كان أملا يائسا ، لكنني ، وأنا اعلم ما يتسم به النقيب ليتلديل من شجاعة وخلق ، لم يخامرني شيء من شعور باخفاقه في ادراك النجح المرتجى .

لقد مرت علي الايام الثلاثة ، من الـ ٢٩ حتى الـ ٣١ من الشهر وأنا على حال من قلق عظيم ، وكان كل شيء في اربيل هادئا ، كما كان الحاج رشيد آغا وزعماء الـ (دزه يي) المعارضون وجميل آغا لا يزالون ناشطين في عقد المؤتمر وحوك المؤامرات والدسائس . واشفاقا من انقلاب يقع ارسلت رسالة الى خورشيد آغا ارجو فيها القدوم الى اربيل ، ومعه اتباعه ، ليكون لي عونا .

وكان نصارى (عينكاوه) ، طوال هذا الوقت ، يحيون حياة ملئت رعبا ، كما انهم كانوا يرجون مني ان أزودهم ببندقيات ، ولعلهم لو زودوا بها لباعوها الى ابناء العشائر عند اول فرصة سانحة . وكان (المطران كركون اسطفان) متلبثا في عينكاوه ، وفي اليوم الـ ٢٩ من الشهر دعاني الى مأدبة عشاء فيها . واتخذت سبيلي اليها ، والملازم بوا ، راكبين ، كما كان معي أحراسي من الـ (دزه يي) أيضا . وخرج الرجل العجوز بملابسه الارجوانية يستقبلني ، وتناولنا العشاء على سطح غرفته ، وهي لصق الكنيسة . ان هؤلاء القوم ليستحقون الشفقة حقا ، ودأب احمد افندي على القول بان قلبه يتلظى ، وكأنه على مقلاة ، بسببهم ، ولو نجحت ثورة عشائرية لمنوا بهجمة ضارية تشن على قريتهم من دون ريب .

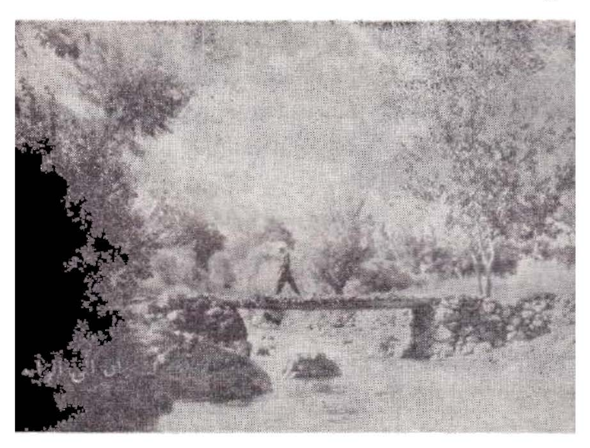
وعند ورود الانباء ، عن انقضاض الـ (سورجي) وهجمتهم ،

الى اربيل ، دأبت على ارسال البرقيات ارجو فيها ارسال الطائـرات واتخاذ اجراء ما ، سواء على يد العسكريين ام على يد اللاجئين في ديار الـ (سورجي) ، شمالي الزاب لكي يضطر من عبروا النهر على العودة من حيث جاؤوا . وما كانت هنـاك من طائرات ميسورات ، كمـا كـان الوضع في الموصل على حال يتعذر فيها الاستغناء عن جنـدي واحد ، اما القيام بحركة مـن قبل اللاجئين فأمر تقف في سبيله عقبات، لذلك لم يجر شيء ما . لقد استطاع زعماء الـ (سورجي) في منطقة عقرة ان يرصدوا جميع قواهم خلال اسبوعين وعبئوا جهودهم التـي لا انفصام لها في سبيل تدمير سلطة الحكـومة في لـواء (محافظـة) اربيـل .

وفي اليوم الـ ٣١ ، وبينما كنا نتناول العشاء على السطح ، سمعنا اصوات سنابك مطية فارس يندفع نحونا بضراوة ، وفي غضون دقيقـة رأيت النقيب ليتلديل متلوثا متشعثا كثيرا وهو يصعد درجات السلم مندفعا . وكانت اولى كلماته ان الـ (خوشناو) قد هبـوا بازائنـا جميعا ، وانه وحفنة مـن رجاله قد استطاعوا ، بشق الانفس ، ان ينجو فرارا . ان تفصيلات الكارثة هي عـلى ما يلي :

بلغ النقيب ليتلديل شقلاوة في اليوم الـ ٢٩ من الشهر ليجـد قادر بك على حال من الاهتياج كبيرة ، وعيناه جاحظتان وباكثر من اي وقت مضى . لقد وعد النقيب ليتديل بان يكون في طرد الـ (سورجي) من باطاس عـونا ، لكنه طلب لجمع الرجال وقتا ، قائلا انه سـيكون عند الصبح من اليوم التالي مستعدا . وجاء قادربك في اليوم التالي يطلب تأجيل القيام بالحركات حتى المساء . وانتقل الجمع كله ، في هذا الاوان ، الى (سيـاوه) الكائنة عند النهاية الجنوبية لـ (دشـتي حرير) وعلى فوت يبلغ ٨ اميال من باطاس تقريبا . هنـا تجمـع كـل رؤساء الـ (خوشناو) ، ومعهم مصطفى آغا وهو من كوره وعقـدوا مؤتمرا استمر طوال اليوم تقريبا ، واستعر فيه النقاش كثيرا ... ومـا ان اطبقت فحمة المساء على الدنيا كلها الا رجا قادر بك تأجيلا آخـر

وعند ذلك تبين الـ (النقيب ليتنديل) من موقف قادر بك وموقف الرؤساء اخوته ، انهم يبيتون كيدا . لذلك قرر ان الشيء الوحيد لذي يستطاع القيام به هو الهجوم حالا ، خاصة ، على ما افاد ، بانه لم يك هناك غير (باويل اغا) ونحو ٤٠ شخصا ، اما بقية الثوار فقد انتقلوا الى رواندوز صعدا .



منظر جسر قديم في منطقة ناوبروان

وعلى ذلك اصدر الامر الى رجاله بان يكونوا على استعداد للسير . وهنا امسك قادر آغا بتلابيبه ورجاه بالا يقوم بالهجوم قبل حلول اليوم التالي ، اذ يكون ، عنده ، على استعداد لتقديم العون اليه بـ ٤٠٠ من الرجال . وبينا هو بسبيل الرحيل اندفع نحوه (صالح بك) وقبله من وجنتيه مسترحما منه بذلك التخلي عن نواياه. ان هذا التصرف أمر لم استطع الى القطع به سبيلا ، هل هو ضرب من الندم او نوعا من الخداع الصرف . ومهما تكن الحال ، عقد النقيب

ليتلديل العزم وبقي على عزمه ثابتا . ذلك انه رحل ، ومعه ابن شقيق رشيد بك المسمى عبد الرحمن بك ، وفي اعقابهما نفر قليل من الاتباع . وما ان انتصفوا الطريق الماد الى باطاس الا صادفهم مختار (ماواران) قادما من قرية (آزو) . ولما لم يستطع هذا الى تعليل سر ما يقوم به هاهنا الا قليلا لذا عمد السيد علي الى تهديده وحمله على مصاحبة الجماعة . وكانت عدة القوة نحو ٤٠ من الخيالة و٦٠ من الراجلة . وعلى بعد ميل من « غايتها » طلب الى الخيالة ان يترجلوا وتركت المهور مع قلة من الجند بأمرة رأس عرفاء السرية كينارد . ولوحظ في هذا الاوان ان قد اوقد مشعل على قمة (حرير داغ) ، وهذا، على الوجه الجلي ، لا يعدو ان يكون ارهاصا الى الشيخ مازو ونوري والثوار الآخرين ممن كان يفترض وجودهم قرب (كاني وتمان) . وألفت جماعتان : أحداهما للهجوم على باطاس من فوق ، والاخرى من تحت . وصحب النقيب ليتلديل الجماعة الاولى ، وقد جبهت ، على بعد قصير من القرية ، وعلى حين غرة ، بنار حامية موصدة . ذلك ان الشيخ عبيدالله كان قد وصلها شخصيا ، ومعه ١٠٠ من رجاله لتعزيز باويل آغا . ولاذ المجندون المستجدون بالفرار قبل ان يرتد طرفهم ، وافئدتهم هواء ، وبقي السيد علي افندي وثلاثة او اربعة من الجند المدربين مع النقيب ليتلديل فقط . وعلى الرغم من ان اعدادا تفوق عدتهم كثيرا ، قد انقضت عليهم الا انهم استطاعوا الثبات في مكانهم وتغطية انسحاب رجالهم الى النقطة التي كان يمسك عندها بالمهور . والى هنا انسحبت الجماعة الثانية ايضا فلمت القوة كلها شعثها، واستعاد الجند روعهم . وكاد النقيب ليتلديل يقوم بهجمة اخرى وبقوته كلها ، لو لم يجد نفسه مهاجما بعنف من المؤخرة ، ومن قبل الـ (خوشناو) على ما حسب شخصيا . لم يبق من امر يقوم به الا الرجوع عبر التلال الى اربيل . وهكذا عمد الى تنظيم صفوف جنده فانسحب ، عبر السهل ، على حين كان الارضون كلها تدوي بازيز اطلاقات البندقيات ، وصير تنوير الاشارات المنطلقة من كل رابية الارجاء

وكأنها (في ليلة مثل الصباح مسفرة) وانهالت الصليات على القــــوة المندحرة منطلقة مــن كل قرية تقع على طريقها ، وعندما دخلت منطقــة التلال تراءى كل ركن مــن اركانها بالرجال المسـلحين عــاجا ضاجا . وحمتهم العنايــة الربانيــة ، او حمــــاهم الظــلام المطبــق ، ومــا ان اسفر الصبــاح الا كــانوا يتقربــون من (كــورة) . وتلقاهــم مجيد آغا شقيق مصطفى آغا على الطريق ورجاهــــم ان يستريحوا ويصيبوا من المرطبات شيئا ، لكنهم كانوا يعتدونه عدوا لذا انطلقوا باسرع من سيرهم فيما مضى ، ولم يصيبوا من راحة ما الا بعد ان عبروا (باستوراجاى) وانحدروا الى السهول نزلا .

ومن بين الــ ١٠٠ الذيــن ساروا قبلا ، لم يعد الا ٦٠ او ٧٠ ، من بينهم ٣٦ خيالا . ولم يفقد من المهور الا اربعة فقط . ومن البقية الباقية من الجند احتجز قادر بك بعضهم ، كما سلب البعض منهم الثوار واطلقوا سراحهم . وقتل منهم قليل . والتجأ اربعة من الجند الى (آزو) الماوراني . لقد قدم لهم الشاي ثم انقض عليهم فجأة وقتل منهم ثـلاثة، على حين استطاع رابعهم الهروب جريحا ليقص القصة . وجرح احــد الضباط ، اعني حميد افندي ، وذلك ابان الهجمة التي شنت على باطاس فوقع في قبضة الشيخ عبيدالله ، وقتل هناك . وقيل ان قتله جــــرى بالقائه من حالق سطح بيت الى صخور في اسفله . لقد طلب الثأر بهذا اقرباء أمرأة مـسها بسوء عندما كان يشغل آمرية الدرك في القرية فيــما مضى .

« وعند الله مايكيد به عباده وكلاً يوفيه الجزاء بمثقــال ! »

ومنح النقيب ليتلديل وسام (ام . سي : M . C) كما منــح السيد علي افندي « النوط العسكري » جزاءا على ما ابداه من بسالة في تلكم الليلة ، والى شجاعتهما وصبرهما ، تحت وطأة صعاب ثقال استطاعت جزء كبير مــن القوة ان تعود سالمة . وكان ثبــــات (رأس العرفاء كينارد) ذا فائدة عظيمة بالنسبة للنقيب ليتلديل ، على حــين أبدى درويش افندي ـــ وهو احد الضباط اللذيــن وجـــدا ، تحت

مقعد ، مختبئين عندما قتل (العريف ميثوين) — هدوءا غير مرتقب ، وحضور ذهن محبب ، وكان على انشط ما يكون في تشجيع الجنـود على التراص واجتناب الخور والرعب •

وما ان طرق مسمعي هذا الامر الا ادركت ان ازمة خطيرة موشكة على الوقوع •

ان قادر بك حمله ذوو قرباه ، من دون رضاه ، على اتخاذ سياسة مناهضة للحكومة ، وعلى ذلك غدت الـ (خوشناو) كلها ثائرة • ولقيت (رواندوز) في هذا الاوان مصيرها المحتوم ، ذلك انها سقطت حقـا •

وكان كل املي ان يتسنى الحفاظ على حيوانـات النقيب هجنسن والضابطين الآخرين فيها بوجه ما • اما (كوي) فلا سبيل الى حمايتها من دون (حمه آغا) ، كما كانت ثمة اشاعات تدور بان الـ (سورجي) وثوار رواندوز قد عقدوا العزم على الانقضاض على اربيل •

وفي اليوم التالي ، الاول مـن ايلول ، وجـوابا على رجاءاتي المتلاحقة الدائرة حول المعونة العسكرية ، تسلمت وعدا بان الطائرات ستزور رواندوز ، والصبح يتبدى من حجابه ! وتكلمت بالهاتف مـع النقيب برادشو في (كوي) وانذرته بان يكون على استعداد لاخـلاء فوري ، وذلك على الرغم من ان الحاكم السياسي في السليمانية كـان يحتج بان سلامة لوائه ستتعرض للخطر ، فان (الحاكم الملكي العام) أمرني باتخاذ هذا الاجراء عندما يتردى الوضع ، اذ ليس بذي جدوى ان تعرض حياة بريطاني الى خطر ما في بقعة قصية كهذه ، وحال البلاد العامة على ما هي عليها في هذا الاوان • وشرعنا ، في هذا الوقت عينه ، جادين باكثر مما مضى في ترحيل الموظفين واملاك الحكومة والمتـاع الشخصي الى الموصل ، ذلك اننا اعلمنا كرة اخرى بان ليس هناك مـن عسكر يمكن الاستغناء عنه لنا ، وان علينا اخلاء اربيل ان كان ذلـك ممكنا • وكنت قد عقدت العزم على البقاء الى اطول مدة ممكنة ، ذلك اني كنت اعلم ما سيحل بها ، اثر رحيلي ، من شقاء وحال فوضى •

فالقبائل ستنهب المدينة وسينزل الشقاء ويحل البلاء بفقرائها . كما ان على اصدقائي ، واحمد افندي ، الهروب وترك ممتلكاتهم لتدمر تدميرا تاما في اي حال من الاحوال .

وستماني عنكاوه ، على التحقيق ، من يوم كان شره مستطيرا ، وثمة احتمال بان يذبح النصارى ذبح النعاج فيها . ان جميع الاتصالات مع بغداد كانت منقطعة في هذا الاوان ، فيما خلا الاتصال اللاسلكي مع الموصل ، وكانت اربيل الوسيلة الوحيدة للاتصال بين ذلكم الموقع وكركوك . وتناهت الانباء ، قبيل العشاء ، تفيد بان الـ (خوشناو) يجمعون رجالهم لمهاجمة اربيل وكوي معا ، وحسبت انه مالم تصل القطعات العسكرية فان اسبوعا واحدا هو الحد الاقصى لاحتمالي .

وفي اليوم الثاني من ايلول جرت لي احاديث طوال مع النقيب برادشو في كوي . ذلك ان وجهة الامور فيها قد اخذت تتبدل الى ما هو اسوأ سراعا . ولو كان جميل اغا رجلا لاستطاع ان يجعل من نفسه سيد الموقف ، لكنه انكمش من الوضع وعقد عن ضعفه حلفا سبق ان دخله عبدالله آغا ورسول آغا وملا حمه اغاى مام سليمان[٢] ، وهم اناس ينتمون الى فرع اصغر من فروع اسرة غفوري . لقد جعل هؤلاء الاربعة من انفسهم عصبة تسيطر على الوضع ، وكان غريماهم الوحيدان : ملا احمد آغا (الاخر) وملا حويز ، وهما من بقيا على ولائهما للحكومة ، وابقيا النقيب برادشو على اطلاع بالتطورات ، ثم عمدوا الى اكثر من ذلك ، اذ شرعوا بجمع رجالهم لمقاومة هجمة الـ (خوشناو) التي يشاع عنها .

كان النقيب برادشو يقيم في الثكنة الكائنة على الرابية ، والمطلة على المدينة . وكانت تعلو المجاز المفضي الى فناء منفتح وسيع . واستطاعت ليلة الـ ٢ من ايلول ، جماعة ، عن سبيل ما ، الولوج الى هذا

---

(٢) في الاسماء الكردية قد يذكر اسم الاب والجد فيتصل كل منهما باسم الشخص بـ (اى) مثل (كريمي فتاح) او (عزيزي شريفي جليل) ونقول استطرادا ان بعض الاسماء تقصر تحببا مثل (رشا : رشيد) (قاله : قادر) (المترجم)

الفناء وصلي مقر (مساعد الحاكم السياسي) باطلاقات بندقيات • ومن حسن الحظ لم يصب احدا بأذى ، لكن النار التي اطلقها الدرك بالمثل قتلت من الامهار واحدا • وهرع اثر الحادث جميع وجهاء (كوي) الى العون فورا ، وكان معهم اتباعهم ، وجرى تظاهر انصب على كشف الارضين بعد هذا • وفي يقيني ان هذا الامر كله مدبر من قبل جماعة عبدالله آغا • حقا ان احد ابناء أخيه مثل في اليوم التالي بعين واحدة، وكأنها مسمولة باطلاقة — لم تكن النية ان يصاب النقيب برادشو بضر ، وانما كانت النية حمله على الرحيل معجلا من البليدة •

ومهما يكن من امر ، فقد نصحه جميل آغا ، عند الصبح من اليوم التالي بالسفر ، ورتب ايداع اموال الحكومة وممتلكاتها الى (اللجنة) التي عينت نفسها بنفسها وتألفت من اربعة ، وان ينجو بنفسه تلكم الليلة مع حويز آغا واحراس كثار • وزعم ان الـ (خوشناو) أرسلت رسالة تفيد بانها ، على التحقيق ، ستهجم على المدينة ان لم يطرد (مساعد الحاكم السياسي) منها ، فوعد (الاربعة) بانهم سيضطلعون بمصالح الحكومة الى ان يسمح الوضع بعودته اليها • وما كان من شيء يستطاع القيام به الا قبول واقع الحال • لقد دبرت المؤامرة ، بعناية ، من دون شبهة ، من قبل عبدالله آغا • انها قطعة نمطية تجلو المكر الكردي الذي يصطنع عموما عندما ينجم اضطراب من هذا القبيل ، اذ الفكرة تنصب على امتلاك اقصى مقدار مستطاع من املاك الحكومة بنية الحفاظ عليها عندما تهوى ، فان بقيت ، اعيدت اليها بأمل الحصول على مكافأة سخية عن ذلك الحفاظ ، جزاءا وفاقا •

وعند أمسية اليوم الثالث من ايلول ، سلم (النقيب برادشو) المال، ومقداره نحو : ٣٠٠٠ من الروبيات الى جميل آغا ليوزع ، على اقسام متساوية ، بين (الاربعة) بغية الحفاظ عليه وباعتداده وديعة • وبعد ان قام بتوزيع جميع الوجهاء وتعشى عند محمد زياد اليافع ، في دار حمه آغا ، اتخذ سبيله صحبة (ملا حويز) راحلا • لقد حذره هذا من ان

محاولات قد تجري في سبيل مشاغلته ، لذلك قاده الى طــــريق مظلم يتخلل اسوأ جزء من التلال الرمل ، حتى بلغا بيت الشيخ معــروف في (الآجه) ، عند صبح اليوم التالي بسلام •

وفي صباح اليوم الرابع من الشهر تلقيت رسالة هاتفية من (كوي)، وشد ما عجبت من ان احد المحاسبين (مستر محمد صادق باط) الذي لا يزال موجودا فيها • لقد قص علي هذا حديث الوقائع التي جرت اثر مغادرته النقيب براشو • اذ ما ان رحل الا جاءها صالح بك ــ وهــو شاب طائش نزق ينتمي الى عصبة حمه آغا ، وهو ينهب الارض بجواده نهبا ومعه اتباع كثار ، واستحوذ بالقوة على نصف المال الذي كان لدى (الاربعة) ، وأبصارهم اليه شاخصة • ثم شاعت اثر ذلك الحال الفوضى المضطربة ونهب بيت (مساعد الحاكم السياسي) فيها ، واجبـــر على العودة الى (كوي) حيث وجد في بيت حمه آغا ملتجئا •

وأستمر الرمي طوال الليلة ، ووقعت عدة حوادث من حــــوادث العنف ، ولم يسد السلام رواقه عليها الا عندما غازل مشرق الشمـــس الدنيا • لقد ملئت (لجنة الاربعة) رعبا على يد شياطين الحال الفوضى، وما اسفرت فعالهم في خضمها • وتكلم معي جميل آغا هاتفيا مبينا اسفه من رحيل (مساعد الحاكم السياسي) راجيا ان يعود ، مــع بعـــض العساكر ، مبكرا • واقترح السماح للمستر باط بان يبقى في البلدة ليظهر انه يعمل ورفاقه مستمدين من سلطان الحكومة عونا • ووافقت علــى هذا وعينت مستر باط ممثلا للحكومة في (كوي) لحين عودة مساعــد الحاكم السياسي اليها واستقر في مقره ، وقام جميل آغا بتزويده بحارس، فأخذ يصرف واجباته الثقال •

اما « المطران » ، او ملا محمد افندي ، وهو الذي برز خــــلال السنتين الاخيرتين بروزا عظيما ، لكــن تعاليه ونهجه المستبد صيرا صغير أثير عند الناس • لقد قرر هذا ، لدى رحيل (مساعد الحاكم السياسي)، الانسحاب الى قريته والابتعاد عــن السياسة لوقت ما • ولنترك (كوي) وهي على حال معقول من النظام تقوم على استتبابه (لجنة الاربعة) ،

لنعود الى ما جرى في رواندوز من حادثات .

كنت ، طوال يومين من يوم عودة النقيب ليتلديل من باطاس ، على حال من قلق بالغ بشأن مصير النقيب هجسن ورفاقه . وأخيرا سُرّي عني كثيرا عندما تلقيت رسالة هاتفية من النقيب كوك في (دربند) يفيد فيها بانه تسلم خطابا من الشيخ محمد آغا يقول فيه : ان النقيب هجسن ، ومستر ترتر ، ورأس العرفاء شيبرد ، واسماعيل بك كلهم عنده في (والاش) وبأمن وسلام ، وانه يعتزم ارسالهم ، عبر الجبال ، الى رانية .

واستطعت غب ثلاثة ايام التكلم مع النقيب هجسن هاتفيا والتأكد من تفصيلات ما وقع . وعندما تناهت الي انباء هجمة الـ (سورجي) على باطاس من يحي بك ، يوم الـ ٢٧ من الشهر ، قبيل انقطاع الخط ، عمد اسماعيل بك ، من دون استشارة النقيب هجسن ، الى ارسال الرجلين اللذين يدعيان (سليمان آغا) ، وهما من بالكيان ، ومير محمد امين بك ، وهو من (دركله) وذوي قرباه الذين هم في وادي آكويان ، لتعبئة رجالهم للدفاع عن رواندوز . فأخذوا يتدفقون عند المساء واليوم التالي واصبحت المدينة ضاجة عاجة مليئة بابناء القبائل الملحفين بطلب السلاح والعتاد[٣] .

كان النقيب هجسن ، في الوقت نفسه في ورطة مريعة ، ذلك انه كان حتى هذا الحين ، قليل الاطلاع على الوضع البلدي وشخصياته . وانتظر التعليمات تأتيه من اربيل ، ولكن من دون جدوى .

وأخيرا أنفذ رسالة وصلت النقيب ليتلديل في (سيماوه) ، فبعث

---

(٣) ما ان يبلغ شاب في كردستان سن الرشد الا تجده يحمل بندقية يكلف بها كلفا شديدا ، وتدوي الاطلاقات في الاعراس وفي مواكب تشييد الراحلين وفي الاعياد واستقبال الشخصيات . (المترجم)

جواب عنها ، لكنه لم يصل ابدا . وتناهت الانباء يوم الـ ٢٩ من الشهر تفيد ان (نوريا) والـ (السورجي) يحلّون في (كاني وتمان) ويستعدون للسير الى روالدوز . واعد لذلك نظام دفاعي ووضعت ربايا من المجندين في المواضع المسيطرة فيما حول المدينة . وطلب الى العشائريين تزويد الرجال المقاتلين المطلوبين للقيام بهذه المهمة ، لكن الذين استجابوا منهم كانوا قلة . وبقيت الاكثرية منهم في المدينة يحيطون بثكنة المجندين ، اذ كان هؤلاء قد انتقلوا من المعسكر الكائن على التل الى بيت الحاج نورس الخالي ، وهي تطلب العتاد الحافا . وازداد الوضع حرجا وأخذ ينفر بيوم كان شره مستطيرا ، وسرعان ما تبين ان فكرتهم الوحيدة كانت تدور حول الحصول على اقصى ما يستطاع الحصول عليه ، قبل ان تصل الـ (سورجي) المدينة . ان القبائل الكردية من اخطر الاصدقاء في ساعة يحتاج اليها ، مالم تك هناك وسائل يمكن اصطناعها في السيطرة عليها .

وافلت زمام الهيمنة على القبائل المتجمعة ، يوم الـ ٣٠ من الشهر ، وأصبح امرها فرطا ! لكن الحظ السعيد جاء بالشيخ محمد يسعى . واسقط في يد حزب الحكومة حين وجدوه وليس معه الا ٥٠ من الرجال فقط ، وانه غير مستعد لمقاومة ما . واثر دخوله المدينة استدعي الوجهاء جميعا الى عقد مجلس حرب اسفر عنه اعلامه (النقيب هجسن) بان ليس هناك عن اخلائها من بديل ، وان عليه الرحيل الى (والاش) حالا ، فأعدت الخطط بموجب هذا .

كانت عدة المجندين ، في هذا الاوان : ١٥٠ ، لم يفر منهم الا ٧ فقط وكانوا من أهلها ، منذ نجوم الاضطراب . ومن البقية الباقية سمح لمن كانت اسرهم في المدينة البقاء فيها تمهيدا لاعداد العدة لنقلها او اسباغ الحماية عليها .

وكانت الجماعة التي غادرت صحبة النقيب هجسن مؤلفة من

نحو ١٠٠ ، كما صحبه كل من الشيخ محمدآغا وعبدالله باشاواسماعيل بك ومعهم اتباعهم العشائريون ايضا . وما ان يتلبث احد من المجندين على الطريق الا كان يجرد من بندقيته وعتاده على يد العشائريين سريعا .

ترك (النقيب هجسن) الجند في درگله بأمرة نقيبهم (يوزباشيهم) صبري افندي ، وهو من اهل كوي ، لكي يتخذوا بعدها سبيلهم مستقلين الى رانية ، وسار هو صحبة رفاقه البريطانيين واسماعيل بك، وفي اعقابهم الشيخ محمد آغا الى (والاش) . لقد عوملوا فيها معاملة طيبة ، وما ان وقفوا على الانباء التي تناهت اليهم من النقيب كوك ومفادها ان في مكنتهم المضي الى دربند بسلام ، الا رحلوا اليها ومعهم حرس قبلي . وبعد ان مكثوا فيها مدة يومين ، اتخذوا السبيل الى كركوك عبر السليمانية ، فيما خلا اسماعيل بك الذي خلفه في دربند ثاويا .

واستضيف الدرك في (درگله) من قبل (مير محمد امين بك) ، وبينما كان آحاده جالسين يطعمون لحما ، جرد الغالب منهم من بندقياتهم ، فجأة . ومما لا ريب فيه ان لو قدر للحكومة استعادة سلطانها في هذه المنطقة لعمد (مير محمد امين آغا) الى اخراجها قائلا : « هذه بعض البندقيات التي استخلصت من ايدي ابناء القبائل ، وارجو التفضل بتعييني على هذه المنطقة رئيسا ، واعطائي معاشا ، جزاء على بعد نظري وفاقا . » لقد تم الاستحواذ على خمسين بندقية ، وبذلك لم يترك من الجنود بسلاحهم الا ٢٠ تقريبا . ثم ان الجماعة اتخذت سبيلها من هناك الى اربيل ، من دون ان تلقى صعابا كثارا . والى اربيل كانت رجعى من تخلف في رواندوز شأنهم كشأن من بقي فيها . لم يفقد احد من الجند حياته ، او حتى اي فرد من النصارى ، وهو امر كان ملحوظا .

اما (الباشا الهرم) ، فلقد اقام ، في هذا الاوان ، مع مير محمــد امين بك في دركله .

وفي غضون ساعة اوساعتين من رحيل الدرك دخل (الشيخ مازو) على رأس الـ (سورجى) ، كما دخلها (نوري) واتباعه مـــن دون مقاومة . قيل ان (نوريا) بدت عليه لائحة اسى ونفث حسرة مـــن الاعماق حرى لان اسماعيل بك أفلت من براثنه فنجا . وشهدت (البليدة) يوما عصوفا عارما جارفا وعيث فيها سلبا ونهبا ، ولم تسلم من ذلك الا اموال الحاج نورس وولى بقية الوجهاء ، من امثال محمد علي آغـا ، وكريم بك وملا سويد افندي ، عنها فرارا . وقمين بي ان اذكر ان الذي ذكر اسمه اخيرا كان الشخص الوحيد في رواندوز الذى اسدى حـين نجمت الازمة الى النقيب هجسن عونا . وانه هو الذي اخفى من الدرك عددا كبيرا وحماهم ، وبقوامع اسرهم ثم مكنهم من ان يخلصوا الـى اربيل نجيا . وهبط على البليدة احمد اغا الشيرواني ليكون للحكومة عونا ، لكنه ما ان وصل دشتي حرير وسمع برحيل النقيب هجسن الا استدار متخذا السبيل الى (ديرته) راجعا .

وسيطر الشيخ مازو والـ (سورجي) على مقدرات رواندوز اياما، وشاع انهم بعثوا يستقدمون اسرهم ، وقد عقدوا العزم على الاستقرار فيها . ومهما يكـن مـن امر ، فان وجود جماعة غريبة بين ظهـــراني القبائل المحيطة بها بعث استنكارا كبيرا فنجـم شـقاق فانسحب الـ (سورجى) الى باطاس ، ولم يبق في البليدة الا باويل آغا ونوري وهما اللذان ارسلا يستدعيان الشيخ الفاني : كاكه امين لينصب عليها حاكما، كما أخذا يستوفيان الاتاوة من القوافل المارة وصبا جهودا في سبيـل جباية ضريبة الارض ، كما اشاعا بان قوة تركية كبيرة هي في سبيلهـا الى البليدة قادمة من (وان) لتكون لهم عونا . لقد تسلما الاوامر بجمع الحنطة لتكون جاهزة عند مقدمها .

ولنترك رواندوز على هذا . ونظرا لاخر المعلومات التي وصلتني

في نهاية السنة ، والتي تفيد بانه لم يبق مع نوري وباويل آغا الا ٣٠ من الاتباع ، وانهما أخذا يبيعان البندقيات والعتاد لشراء الطعام . لقد هرب جميع السكان الباقين ، لذلك فان البقية الباقية ، القليلة من المدينة التي نجت مــن الروس والاتراك غدت الآن مهجورة وخرابا . هذه هي اذن ثمرة جهودي وآمالي كلها .

الفصل التاسع عشر

خورشيد آغا ... يبرّ بوعده

وصل (خورشيد آغا) اربيل في اليوم الثاني من ايلول ، ومعه اتباع تبلغ عدتهم : ٨٠ رجلا وغدا ، خلال الايام الـ ١٢ التالية ، على البلدة حاكما حقا .

ووردت مصطفى آغا ، في هذا الاوان ، رسائل توضح ما جرى، ومحصلها انه غبّ الاخفاق الذي مني به الهجوم على باطاس ، واصبح قادر بك عاجزا عن السيطرة على ذوي قرباه ، فأضطر الى الالتحاق بالثوار مكرها . انه يتوق الآن الى مصافاة الحكومة ، لكنه يشفق من العقاب الذي يحتمل ان يوقع به ، وبقبيلته ، بسبب من خياناتهم . وكانت قوات الـ (سورجي) ، في هذا الاوان ، تتركز حول باطاس ، على حين كانت هناك تجمعات من الـ (خوشناو) صغيرة ، نمي انها جاءت من نقاط شتى كائنة في ديارها .

وفي اليو مالرابع من الشهر تناهت الينا انباء ، ثبت فيما بعد بطلانها ، ومفادها ان (قادر بك) بوشك على تقديم الطاعة ، وان الشيخ عبيدالله والـ (سورجي) قد عادوا الى جانبهم من النهر . لقد أنعشت هذه الانباء روحنا المعنوية المتهاوية[1] باعتدادها بارقة أمل في أفق مدلهم .

---

(1) يتبين من ذلك ، ومما سيرده (المؤلف) فيما بعد ، اثر ثورة المواطنين الاكراد الكرام في الاحتلال البريطاني البغيض ، وكيف صبروا رجاله (على مثل جمر الغضا في الضرم !) وزعزعوا كيان جيشه ، على ما يشهد به المؤلف نفسه عيانا . لذلك كان هذا (الكتاب) كتابا سيتلوه الاعقاب على توالي الاحقاب . ترى المؤلف يذهب النفس حسرات على نفوذه ويشفق على ما لديه من مال كله من فضة كان يصطنعه في شراء ذمم الذين كانوا يمشون في ركابه وما درى ان ستأتي ساعة لا يفيد ذلك كله ابدا . (المترجم)

وفيما بعد الظهر وصل الرائد لونكريك من كركوك بصحبة الملازم بيكنول (ضابط المبايعات المحلية) وقد جاء بقافلة كبيرة من (شاحنات فورد) لينقل اكبر قدر مستطاع من (لكي : LAKHS)[٢] الروبيات التي لا تزال في (خزانتي) • لقد كان هذا المال ، وهو من فضة كله مصدر قلق كبير بالنسبة الي ، كما كان مبعث اغراء كبير بالنسبة الى الوجهاء والزعماء البلديين • لقد ادى نقله الى انهيار آخر في هيبة الحكومة في البليدة ، واخذ الناس يذهبون الى اني موشك على ان افر منها لواذا . **ومن هذا الحين فصاعدا ، اصبحت سلطتي ، باعتدادي حاكما سياسيا ، معدومة تقريبا ، وبالوساطة الحميدة التي كان يضطلع بها خورشيد آغا واحمد افندي حسب ، مكنت ان امارس نفوذا ما •**

كانت نعمة كبرى وبركة ، على اية حال ، ان ينقل المال في الايام القابلات • ذلك ان وجود لا معدي عن ان يسيل لعاب رجال من امثال السيد عبدالله باشا واحمد باشا (كذا : المترجم) ويجعلهم يتلمظون نهما اليه وجشعا • كان الرجلان يكتفيان بالبقاء على الحياد حتى تنجلي الحال وتكشف عن نفسها •

ووصل النقيب برادشو سالما ، والشمس الى خدرها • واقمنا مأدبة عشاء على اقداح الـ (شامبانيا) يلم الشمل ابتهاجا • ولم تمض علي أمسية ممتعة كمثلها الا على الندرى • كنا نشعر ، الى حد ما ، ان السحاب الثقال التي تطبق على الافق ستطبق علينا ايضا ، قبل ان تمر سويعات ، فتلفنا بشملها • لذلك كانت وليمتنا مغمورة بروح القول السائر :

« لنأكل ، ولنشرب ولنبتهج مذ دمنا سنموت غدا »
« ما فات فات ، والمقدر غيب ولك الساعة التي انت فيها ! »

---

(٢) الـ (لك) كلمة فارسية الاصل ، وهو يساوي ١٠٠ الف من الروبيات • **(المترجم)**

ينضاف الى ذلك كله ان قدرا كبيرا من قلقي قد تلاشى بقـــدوم النقيب برادشو سالما ، ذلك ان جميع الضباط البريطانيين والجنودالذين كانوا في المركزين النائيين : رواندوز وكوي ، وحيث لم اكن قادرا على اتخاذ خطوات تحميهم ، غدوا اليوم آمنين سالمين •

وفي اليوم الخامس من الشهر تلبدت السماء بسحب سود • فلقد تناهت الانباء تفيد ان (الـ سورجى) والـ (خوشناو) والـ (كردى) من منطقة كوي ، قد جمعت قواتها واخذت تزحف لمهاجمة البلــدة • فعقد الوجهاء والرؤساء مؤتمرا عاجلا ، وطلب علي باشا ، بأمـل خلق وضع يرعبني فأولي عنها فرارا ، من خورشيد آغا بان يأتي بابنــاء عشيرته الى البلدة جميعا •ورحل الرائد لونكريك والملازم ينكــول ومعهما الجانب الاكبر من المال • على ان ثمة مبلغا ، قدره ٣٠٠٠٠ روبية منه مازال باقيا ، لذلك اتخذت الترتيبات اللازمة لارسال سيارات اكثر من كركوك لنقله ، ان كان الوضع لمثل ذلك مؤاتيا •

وغادرنا النقيب برادشو والملازم بوا الى الموصل ، على حين اخلي بعض الموظفين والهنود ومعهم السجلات السرية الى رأس سكة الحديد الكائــن عند الشرقاط •

ودأب النقيب ديكينسن مــن هذا الوقت فصاعدا ، على القيام بسياقة سيارتنا على الطريق الماد الى الكوير[٣] صعدا ونزلا ـ ذلك ان السائق المناط به ذلك كان في بغداد ، يتمتع باجازته ، وعنا غائبا • وكان يقطع الرحلة ، في الاحيان ، ثلاثة مرات في اليوم ، جيئة وذهوبا ، لينزل الموظفين والامتعة في (الكوير) ومنها يتخذون الى الموصــل سبيلا بالسيارات •

كان يتنكب في اثناء ذلك متن خطر كبير ، اذ لم يكــن معه اكثر من دركي واحد • لقد صادفته ، في مرات عديدة ، جماعات مسلحة كانت

---

(٣) تقع على الزاب الاعلى والطريق الذي يصلها باربيل غير معبد وطوله ٥٣ كم والى الجنوب منها بقليـل يلتقي الزاب الاعلى بدجلة عنـد المخلط • (المترجم)

تقطع الطريق ، ومن حسن الطالع لم تحـــاول اية منها ان تتدخـــل في امره أبدا .

كان يمضي ليلته في الكور عادة ، وهذه كانت تحرس من قبل مفرزة من الدرك تابعة الى الموصل . لقد قامت تلكم السيارة القديمـــة بالاعاجيب ، وكانت الاحمال الثقال من الصناديق ترهـــق كاهلها ، فيسمع لماكنتها قرقعة وجعجعة لكن قناتها لم تلن أبدا .

ولمحت ، في هذا الاوان ، متاعي الشخصي واثاث بيتنا . كـــان أجراءا يغمره الاسى ، أعني تعزيل ذلكم البيت العتيق ، والطــواف على غرفه الخالية من السجاجيد . ومما كان يبعث أسى على أسى أن تذهب الجهود التي صبيتها بيسر واسماح خلال الاشهر القليلـــة الاخيرة وقصدت من ورائها احلال السلام واشاعة الرغد في البليدة ، وأن من المحتمل أن يأتي في أعقابها خــراب قصورها وفناء أهلها : أذ (من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر !)

وعند المساء أخذت ال (دزه يي) تتجمع ، وغدت المدينة بالرجـــال المسلحين عاجة ضاجة . وكان حرسي يغاديني ويراوحنى ويلازمنـــى جيئة وذهوبا ، وفي الاماكن المألوفة لدي ، حيث كنت اطوف فيمـــا مضى بحرية ، من دون أحراس يكمنالموت الان ، علـــى مايتراءى . وأرسلت النظر الى تلالي الاثيرة التي كنتاستحلي الركـــوب فيهـــا متنشيا ، وقد ملئت وجدا وحنينا وعطفا كبيرا ، وحيث كنت القيفيها الاستظافة والقرى فتراءت الان ، وباللغرابة ، موطن اعداء (لقد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر) ، ولـــو ولجتهـــا فالغالب أنني لن أعود منها سالما أبـــدا .

وكانت الليلة اخر ليلة قضيناها ، لحين من الوقت ، في بيتنا هذا ، والبيت هذا يقع في حقول منبسطة كائنة على فوت نصف ميل مـــن (البليدة) وهو لايستطاب لانه مفتوح جداالهجمة فاجئة . لذلـــك عقدنا العزم على الانتقال الى (ثكنة الدرك) ، في اليوم التالي .

أنها أحدى مرتين عانيت خلالهما ، من هجمة نزلت على أعصابـــي

طوال أيام العسرة • لقد غدا البيت مكمن رعب وأرعاب ، وتـراءت الاخطار الخفية تخطر في ظلامه دائرة • وكانت الساعات تمر من دون نوم ، وكنت القي السمع الى اطلاقات قد تكون ارهاصا ببدء الهجوم علينا • كانت حراستنا جيدة ، وثمة نقاط اربع قوية كائنة عندالاركان الاربعة على السطح ، كما كان هناك رشاش مـن طـراز (لويس) أستطاع النقيب ليتلديل أنتزاعه من طائرة زارتنـا •

وأنتقلنا في صباح اليوم التالي الى (الثكنة) ، وهي بنية مربعـة الشكل ذات فناء منبسط وسيع ، كائنة على الحافة الغربيـة مـن (البليدة) ، تحت القلعة مباشرة • لقد أعددنا العدة ، هاهنا ، للثبات الى أطول أمد مستطاع ، على أني كنت أنوي الانسحاب الى الموصل بدلا من معاناة الحصار ، أن هجمت القبائل • أن من بقي معي هـم : (النقيب ليتلديل) و (رأس العرفاء كينـارد) و (مستر روبنز) المكلف بشؤون شرطة البليدة • وكان (النقيب ديكنسن) على ما ذكر قبلا ، يقطع طريق الكوير جيئة وذهوبا ، وبه كان مشغولا • وكـان جميع الموظفين البريطانيين الاخرين قد جرى أخلاؤهم • وبقي معـي في أربيل مـن الموظفين الهنود أمين الخزانـة (مستر دلي جاند) و (مستر بلوج) الذي كان مكلفا بشؤون دائرة البريـد والبرق ، وذلك خلا اليومين الحالكين اذ أرسلتهما فيهما الـى (الكوير) نزلا • وبقي عمال البرق البلديون في مقراتهم ، وجرى الحفاظ علـى الاتصال بكركوك والموصل ، خلال أيام العسرة كلها •

ومن أراد الانفكاك من الدرك والمجندين سمح لـه بذلك • فـأن تردت الحال من أسوءا الى ماهو أشد سوءا وأضطررنا الـى الهروب أو القتال للنجاة ، فأننا كنا نفضل أن تكون معنا قلـة مـن الرجـال الذين [illegible] ، ولا تكون معنا كثرة من احاد قوة تتقاذف ولاءهم لنـا الريب • وبقي معنا نحو ٥٠ من المجندين ، و ٢٠ من الدرك ، ينضاف اليهم شرطة البليدة وعدتها نحو ٣٥ فردا ، والاخيرون لم يفارقنا منهم أحد ابدا • لقد كانوا موالين للمستر روبنز ، وأفضل مـن الباقـين

تدريبا ، ولعلهم كانوا يشفقون من سوء سمعتهم لدى أهل البليدة في ساعة العسرة . وعلى الرغم من أن الرجال الذين بقوا معنا كانوا يتعرضون للاهانة من قبل أبناء القبائل ، عند خروجهم الى الشوارع، وعلى الرغم من أن قضيتنا تراءت في أغلب الاحيان خاسرة ، لكنهم سلكوا مسلكا شجاعا ثابتا (ولانكران لجميل) . لقد كانوا يقظين حذرين دواما ، ولم تبدر منهم بادرة تنم عن خيانة ، اذ كنت أشفق منها بأكثر من أشفاقي من ضراوة أبناء القبائل .

وكانت البليدة ، في هذا الاوان ، بالرجال المسلحين ، ضاجة عاجة . وكان خورشيد اغا قد أرسل (صيحة الاحتراب : هاوار) الى جميع أعوانه في المنطقة ، وبضمنهم (عشائر طي) ، وعندها أنهالوا على البليدة ، وبلغت عدتهم ٣٠٠٠ . وكان يسرني تمادي مثل هذا ، ذلك أني كنت أشفق من الضراوة الكردية وتوقها للغنيمة ، وكانت شرارة صغيرة كافية لألهاب الوضع ؛ بحيث لن يستطيع زعماء ، من أمثال خورشيد اغا ، وأن توافرت فيهم النية الحسنة في الدنيا كلها ، الى أطفاء ناره سبيلا . وأن الامل بالحصول على الغنائم هو الذي جاء بأولئك الرجال على استعجال وأثر حتى في جل (الاغوات) أيضا . لقد كانت تحدوهم خدمة خورشيد اغا وخدمتي بولاء . كما كانت تروادهم رغبة في أرعابي لكي تصبح السوق المليئة بالبضاعة والموءن وممتلكات أهل البليدة تحت رحمتهم .

وفي ذلكم اليوم عينه ، عند الظهر ، وبينما كنت خارجا لتوي من دائرة البرق ، الكائنة عند النهاية الشرقية للسوق ،سمعت الا (هورووش) التي أستفزتني في رواندوز ، فجعلتني أعمد الى أرخاء الستائر ، وسد الابواب ، وسمعت وقع اقدام يسير أربابها معجلين . وأخذ الرجال والنساء والاطفال يندفعون من السوق خارجين وكأنهم السيل ينهمر ، وكانوا يمرون بي وهم يصرخون : « لقد جاءت القبائل ، أنها قادمة ! » وحاول أحراسي الاسراع بي الى الثكنات ، ولكنني قد عقدت العزم على الا يرو عني مثل ذلكم الفزع

العظيم ، وأخذت أدراجي متمهلا . ومررت في الطريق : (حسيني ملا)
وهو يسعى مضطربا ، ووجهه أشد حمرة من أي وقت مضى وبيده
هراوة كبيرة . وفي الثكنات وجدت ليتلديل وقد أمر بأن ينفخ في
بوق الانذار ، كما كان مستعدا للرمي برشاشة لويس الموجودة لديه .
ومهما تكن الحال ، لقد عاد كل شيء في غضون بضع دقائق هادئا
ساكنا ، وجاءني (احمد افندي) وقص علي ما حدث تفصيلا .
والظاهر أن أحد أبناء القبائل ، وقد سأم مساومة أحد أرباب
الدكاكين في السوق ، وهو يهودي ، عمد الى رمي نقوده بغلاظة
أرضا ، وأستحوذ على المادة التي يروم الحصول عليها . وعندها أخذ
اليهودي بالصراخ مدعيا بأنه سرق وأن القبائل تنهب السوق نهبا .
وشاع الذعر وعم الفزع في اعقاب ذلك ، ولم يكن من غير الطبيعي
أن يفترض أبناء القبائل الفرصة ليستحوذوا على مالذ وطاب ! وعندها
ظهر (حسيني ملا) بهراوته الغليظة ؛ وعن سبيل السباب واللطم
واللكم والوكز والضرب بالعصا أستطاع أن يعيد النظام تماما .
وألقي القبض على اليهودي الذي رفع عقيرته فأثار الفزع والقي في
غيابة السجن ، كما أعيدت الاموال المستحوذ عليها الى أصحابها .
كان الحادث نموذجا لما كان يخامر أهل البليدة من أشفاق ،
ولاستعداد أبناء القبائل لأحتبال كل فرصة سانحة ليعيثوا فيها
سلبا ونهبا .

وأضطلع (حسيني ملا) ، خلال الايام الثمانية التي تلت ، بواجب
الشرطة في البليدة . حمدا لشجاعته وسيطرته أذ استطاع بهما الهيمنة
على الاف موءلفة من أبناء القبائل الجشعين المسلحين تسليحا حسنا .
كانت سيطرته تامة بحيث حالت دون وقوع أية جريمة ، فيما خلا
حادثة قتل واحدة نجمت عن ثأر قديم بين شخصين من أهل البليدة .
وفيها أيضا القي القبض على القاتل سريعا وأودع السجن . ينضاف
الى ذلك كله انه ، بعون من ابن خورشيد اغا الاكبر المسمى رحمن
اغا ،أضطلع بتوزيع الجرايات على الرجال الذين استدعو لمساعدة

الحكومة ، فوجب ، لذلك ، القيام بأطعامهم على حسابها . وعلى الرغم من أننا ، وبالحسن الطالع ، نملك قدرا من الحنطة الخزين كافيا ، وأننا قادرون على شراء الضرورات الاخرى ، لكن رجال القبائل ضيقوا الخناق على الموزعين وضربوا طوال اليوم حولهم حصارا ودأبوا على الشكوى من الطعام ، نوعا وكما .

وغدا اليوم عدوي القديم (ساوار اغا البيرالي) مصدر خطر بالنسبة لي من دون جريرة ما ، وكان خطره عظيما . وعلى ماقصصنا خبره قبلا ، كان النقيب باركر قد القى القبض عليه في خريف سنة ١٩١٩ ونبث ببغداد سجينا ثم اوكل أمره ، بعد ذلك ، الي في أربيل حيث سمحت له بحرية الاقامة ، وبضمان من رئيس الـ (دزه يي) الحاج پير داود . وأشفاقا من أنه قد يعمد الى الهروب لدى نجوم أضطراب مافي البليدة ويتخذ الى رانية سبيلا فينزل على (مساعد الحاكم السياسي النقيب كوك) نزلة الطاعون فيها ، لذلك ارسلته الى الموصل مخفورا ، وذلك أثر القائي القبض عليه قبل يومين او ثلاثة أيام . ومثلت زوجه أمام خورشيد أغا والقت بنفسها على قدميه راجية أن يشفع لزوجها . أن ظهور زوجة زعيم ما ، وهي في الغالب حبس بيتها أمام زعيم اخر ، غريب عن أسرتها ، لشيء يعتد بين الاكراد تخاذلا وخضوعا الى أبعد مدى . لذلك أضطر خورشيد اغا ، على الرغم من أرادته ، وخضوعا الى متواضعات القبائل الى أجابة طلبها . وجاءني عارضا الامر ، وما كان عندي الا الجواب الفذ وأعني به أنه تحت وطأة الظروف الراهنة ليس هنالك من شيء يحملني على السماح لـ (ساوار اغا) بالعودة . أن خورشيد اغا لشيخ عنيد ، أذما ان تعرض له فكرة ما ، وتراود ذهنه الغليظ نوعما الا تعلق بها فلن تفارقه ابدا . وعلى ذلك ، دأب طوال ثلاثة أيام متتاليات ، على تصديعي بهذه القضية لكن قناتي لم تلن أبدا .

وتناهت من التلال ، في هذا الاوان ، أشاعات راعبة مرعبة ، وما بقي من شك في أن القوات المتظافرة المؤلفة من الـ (سورجي)

وال (خوشناو) تزحف لمهاجمة البليدة . ومن المحتمل أن عدتهما لاتزيد عن ١٠٠٠ من حملة البندقيات ، وعلى التحقيق فأنها لو ولجت المنطقة لأنضم اليها كل من : عبدالله باشا والحاج بير داود وهو من ال (دزه يي) وجميل اغا وهو من قبيلة (كردى ــ كهردى) ، وهم جميعا ممن رفضت أستدعائهم لمديد المعونة ، وقد تطوعوا لتقديمها مكرا وتضليلا . وكانت في البليدة حاشية (الحاج رشيد اغا) و (علي باشا) المعادية ، كما أني كنت متيقنا من أن جموع العشائرين الذين جاءوا وبأمر من خورشيد اغا سيرفضون قتال بني جلدتهم الاكراد وبخاصة وهيبة الحكومة على ماهي عليه ، في الحضيض الأوهد . أذ ما أن تقرب القوة المعادية الا تجدهم سباقين الى جانب المدينة فالانسحاب منها . ولا يمكن الاعتماد الا على الاتباع الخصوصين لكل من خورشيد اغا ومشير واحمد افندي وذلك بقدر تعلق الامر بالقتال لصالحي . وصببت جهودي على عزل (قادر بك) من العدو ، ذلك أن الرجل روع كثيرا من زيارات قامت بها الطائرات ا (شقلاوة) و (سيساوه) وقيل أنه على أستعداد لتقديم (دخالته) أن أستطاع الحصول على شروط سمحة يسيرة .

وبعد الظهر من اليوم السادس من الشهر جرى لي حديث طويل هاتفيا مع بعض وجهاء كوي . وكان كريم اغا يحل ، في هذا الأوان ، المدينة ، وهو الرجل الوحيد الذي تصرف ، خلال الازمة كلها ، بولاء صادر عن ذهنية متسمة بالصفاء . لقد اعلمني أن عبد الرحمن بك ، ومعه قوة عدتها ٢٠٠ من رجال ال (خوشناو) ، موجوده في (نازنين) وهي على مسافة تقطع بأربع ساعات من البليدة ، وأنه أرسل مكتوبا معنونا الى الوجهاء كافة يرجو فيه دعوته ودعوة رجاله باعتدادهم ضيوفا يحلون في بيوتهم . وأعلمت كريم اغا بأنني طلبت عونا من الطائرات وأني لاأستطيع معاونته بأكثر من هذا ، ونصحته بأن يتريث . وبعد دقائق قليلة قطع خط البرق الماد الى كوي .

وفي الامسية وردت برقية من بغداد مفادها أن (الحاكم الملكي

العام : سرارنلد ولسن) سيزورني يوم ال ٨ ، ومعه ثلاث طائـــرات •
وعلى الرغم من أني كنت مشفقا فزعا على سلامته لكنني أعلنت النبأ
في البليدة ، فكان له أثر مطمئن • وأجبت على البرقية ببرقية بينت فيها
أني قد اضطر على المغادرة في أية دقيقة ، فأن لم يكن هناك ـــ لـــدى
وصول الطائرات ـــ علم على (السراي) فمعنى ذلـــك أني غادرت
مكاني وأن من الخطر نزولهـــا •

هذه ليلة أشد ماتكون توقا وشوقا من بين الليالي التي مرت علي •
فلقد جاء احمد افندي لحديثما وهو لايرتدي الملابس الاوربيـــة
كالمعتاد ، أذ كان عليه رداء أزرق طويل كـــان يطلق عليـــه النقيب
ليتلديل بدلة « الاسطى البناء » ، وقال : أن الوضع ينذر بالخطـــر ،
ولكنه ليس بيائس • وزودته بالبندقيات والعتاد اللازمين لجماعة من
الموالين جمع احادها من البليدة ومن نصارى (عينكاوه) التاعـــين
وهم من كانوا يلاحقونني ملحفين طوال أيـــام •

ومن نكد الطالع أن يكون لدينا ١٠٠٠٠٠ من الاطلاقات اللازمـــة
للعتاد التركي ، يضاف اليها قدر كبير من البندقيات جمعت مـــــن
الجنود المسرحين • وزارني فريق مـــن اغوات ال (دزه يي) ؛ وليس
بينهم خورشيد اغا ، وأخذوا يطالبون بالعتاد وبكثير من اللجاجة •
وأقتحم كثيرمن أتباعهم الثكنات وغدا الوضع ينذربشرمستطير الى حد
اضطررت على الموافقة على طلباتهم • وكان رحمن اغا وهو رحـــــل
يوءثر الدعة لحوحا بوجه خاص • فأمرت بان يعطي ١٥٠٠٠ اطـلاقة ،
وقلت أنني لاأستطيع أن أزوده بأكثر منها ، شريطة أن يطرد مـــــن
الثكنات جميع أبناء العشائر التي دخلوها • لقد فعل هذا ، لكـــــن
كثيرا منهم استطاعوا أن يشقوا طريقهم عائدين ، كرة أخرى ، مارين
بالمجندين ، ولما كان هوءلاء منهاري الاعصاب لذا لم يستطيعوا الـــى
جعلهم في خارج الثكنات سبيلا • وقبل أن أقف علـــى ما كـــان جاريا
دخل الى (المخزن) شخصيا ، ونقل منه ٥٠٠٠٠ اطلاقـــة تقريبا • أن
سلواي الوحيدة في مثل هذه الحال هي أن العتاد وقع في أيدي جماعة

خورشيد اغا بدلا من أن يقع في يد من كان لي عدوا . لقد تراءووا راضين مطمئنين الى ماحصلوا عليه من غنيمة باردة ، ولم ازعج بمثل هذا الامر كرة أخرى .

وأمضينا ليلة ليلاء ونحن نرتدي ملابسنا كلها ، وقد أسرجت جيادنا استعدادا . وكان معي (احمد افندي) واثنان من اغوات الـ (دزه يي) او ثلاثة . وكنا على استعداد للرحيل في أية لحظة ، لكننا لم نسمع الا قلة من الاطلاقات تأز في البليدة ، وهذه حملت النقيب ليتلدل ورجاله على أن يطيروا الى مواضعهم خفافا ، وما حدث أمر ذو بال حقا . وما أن انفجر عمود الصبح من اليوم التالي ، كشأن عدد من الاصباح التالية له ، الا تجمع كثير من اهل البليدة حول الثكنات كي يقفوا على أني لازلت فيها ، ومعهم ثاويا . لقد كان سلوكهم وديا والى أبعد مدى ، وجاءوا بالارزاق الى المجندين ، أذ لم يكن دخول السوق ، بالنسبة الى هوءلاء أمرا سالما .

وبلغت قضية (ساوار اغا) ، في هذا الاوان ، القمة وأوفت على الذروة ، وهذا ماوصلت اليه حقا : أما أن أعود به او اغادر انا اربيل راحلا . لقد غدا لأطلاق سراحه لمعونة خورشيد اغا ثمنا . وما قال الرجل العجوز مثل هذا بكلمات كثار ، وكان لوصية أخيه الراحل القاضية بضمان سلامتي الشخصية ملتزما ، لكنني كنت أعلم بأنني أن لم اصدع بما طلب الي فأنه سيغادر البليدة ويصطحبني . لذلك وافقت مكرها ، واي كره ، ورتب أمر اقامة (ساوار اغا) في مخمور ، كما وعد خورشيد اغا بالا يغادرها الا أذا أخليت كردستان كلها . وأرسل (ساوار اغا) في سيارة من الموصل عند الاصباح من اليوم التالي فاستقبلته جماعة من الـ (دزهيي) كبيرة ، عند (الكوير) ، وقادته منتصرا الى مستقر زعيمها فبقى فيه حتى أنجلت الغمرات كلها .

وما أن وافقت الا غدا الوضع أيسر حالا واجتمع الزعماء في « خلوة » وأقسموا يمينا بـ « الطلاق » بأنهم سيحمون أربيل بأزاء جميع من يقدم عليها لمدة عشرة ايام ، وأذا أنقضت هذه المدة ولم

يتحسن الوضع ولم تصل القطعات العسكرية ، فأنهم سيساعدوننا على الانسحاب من البليدة بسلامة . وشارك كل من خورشيد اغا وحسيني ملا وجميع قادة فرع (بايز) في القسم المذكور ، شأنهم كشأن رسول اغا وسليمان اغا ، وهو ابن عم الحاج بير داود والشيخ محمد اغا من قبيلة « كردى » في كويسنجق . لقد داخلني عجب وأي عجب ، من سلوك (سليمان اغا) في مثل هذا الظرف ، ذلك أنه كان في البليدة ، طوال عدة أيام ، واظهر خلالها الولاء والاستقامة . لقد أخذت أذهب الى الاطمئنان منه ، لكنني اكتشفت اخيرا أنه كان يقضي جل وقته في محاولة تغيير ولاء الأغوات الشبان من فرع بايز وفي تحرير الرسائل الى اﻟ (خوشناو) يلح عليهم فيها بالانقضاض على البليدة . لقد جاء الشيخ محمد اغا للتوسط في قضية ساوار اغا ، شطرا ، باعتداده ، عن طريق الزواج ، قريبا له ، وشطرا بسبب الاشفاق من أبن عمه (عاريب اغا) وهو من أنضم اﻟ (خوشناو) بأزاء الحكومة .

وكنت أزور السراي كل يوم الا يوم واحدا اكون فيه في الثكنات ومن الطبيعي انه لم يكن ثمة شغل يصرف الا القليل . كنت اجلس في مكتبي عادة لمدة نحو ساعة ثم أعود الى مستقري اقضي فيه وقتا هادئا أقرأ خلاله القصص . لقد استمتعت بالحياة على وجوه كثيرة ، وذلك على الرغم من القلق البادىء ، وكانت هذه هي المرة الاولى ، طوال شهور عديدة ، أستطعت أن أخلد خلالها للراحة ، وأتناول الامور بيسر ودعة .

وفي اليوم السابع من الشهر وصلت قافلة من كركوك ونقلت جميع ما لدي من مال ، فيما خلا المبلغ القليل الذي احتفظت به للطوارىء . لقد اطلق الرصاص عليها من وراء سياج ، على فوت أميال قليلة خارج البليدة .

وأعددنا المطار عند اليوم التالي لمقدم (الحاكم الملكي العام) ، وقد داخلني فزع ، خلال اتخاذنا الترتيبات هذه ، وكان مبعثه أشاعة سرت ، وثبت بطلانها فيما بعد ، محصلها : أن جماعة دخلت اﻟ (سراي)وانزلت

العلم المرفوع عليه . ووصلت الطائرات في الساعة ٧:٤٥ صباحا ، وكان ثمة حرس شديد على استعداد في المطار ، وحمدا لجهود كل من احمد افندي وخورشيد اغا وشكرا فلقد بقي أهل البليدة في داخلها . وما أن رأيت (الحاكم الملكي العام) وضباط القوة الجوية الملكية الذين صحبوه وهم يدخلون السيارات بسلام الا جريت بجوادي مسرعا الى البيت حيث أعد لهم الفطور . لكنهم لم يظهروا فيه ، وأنما اتخذوا سبيلهم الى البليدة . لذلك سرت في اعقابهم راكبا فوجدتهم يسوقون سياراتهم خلل الشوارع المحتشدة بالناس ، تحف بهم خيالة كثيرة من فرسان خورشيد اغاء ثم عدنا جميعا الى البيت ، وبعد الفطور شرحت الأحوال مصرا على انقاذ قوة صغيرة من الجند الى البليدة لان ذلك يعيد الوضع الى حاله المرتجى تماما . أن جذر الاضطراب هو اعتقاد عام بأن الحكومة موشكة على أخلاء البلاد ، وأن خطوة كهذه كافية وحدها لتبديد مخاوف اصدقائنا ، ولقطع متن الرجاء في اعدائنا . ومضينا بعد ذلك الى السراي حيث استقبل الحاكم الملكي العام الوجهاء اولا فالزعماء الاكراد المجتمعين ، وقد دخلني عجب من أن أرى بينهم احمد باشا والحاج بير داود وجميل اغا . والقى خطابا يناسب المقام وجهه الى كل جمع ، فأجاب عنه ملا افندي وخورشيد اغا على التتابع ، وقد رجا كل منهما أرسال العسكر الى اربيل حالا . وبعد ذلك اختلى بكل من احمد افندي وخورشيد اغا على انفراد وشكرهما على ماسدياه الى الحكومة من خدمات ، ثم عدنا الى البيت لتناول الغداء ، وكان معدا مهيئا .

لقد اخترنا البيت هذا لانه يحقق أستضافة (الحاكم الملكي العام) بسبب من قربه المطار . وكان الطعام المعد نفيسا ، وبضمنه (روست) قوامه ديك رومي كنا نحتفظ به الى يوم عيد الميلاد . واتابتني هجمة سيئة من اهتياج عصبي ، وكانت هذه للمرة الثانية . لقد شعرت ، كرة أخرى ، بأن البيت مكشوف ، وخيل لي بأن جحافل من الفرسان العشائريين تنقض علينا . وكان قلقي يتركز في (الحاكم الملكي العام)

بالدرجة الاولى ، ذلك أن تبعة سلامته تقع على عاتقي شخصيا • وكان (مستر روبنز) ومدفعه الرشاش وثلة كبيرة من المجندين والدرك فوقنا على السطح يتربصون • وفي منتصف وقت تناول الغداء جيء الى (النقيب ليتلديل) بمذكرة فامتقع لونه واندفع خارجا في عجلة • ولم استطع أن اتمالك النفس فسرت في اعقابه • وتبين أن المذكرة أرسلت من قبل (مستر روبنز) وقد كتب فيها : « أنهم لقادمون على الربوة ياسيدي ! » وتسلقنا السلم على استعجال وفحصنا الافق بتوق فوجدنا أن « القادمين » ليسوا الا قطيع ضأن ، فزال القلق عنا • وغادر (الحاكم الملكي العام) والضباط الاخرون بطياراتهم في الساعة الثانية من بعد الظهر • وجاء خورشيد اغا واحمد افندي لموادعتهم وأعلماني بأن حسيني ملا قد عاد من زورة الى اا (خوشناو) ، وكان قد أرسل اليهم للمفاوضة ، فعاد برسالة من قادر بك تفيد بأن لو عفي عن جميع الفعال المرتكبة ، ولم تفرض عليه غرامة‌ما ، فأنه وجميع اقربائه سيقدمون الطاعة الى الحكومة • واقترحا أن اهتبل الفرصة فأرجو (الحاكم الملكي العام) قبول هذه المقترحات • وقلت لاحمد افندي بأن يخاطب (سر ارنلد ويلسون) في ذلك ، ففعل بعد أن أتخذ الاخير مقعده في الطائرة • وأعطي القبول وأزت الطائرات وأنطلقت فأثارت سحابة من غبار لفتنا بشملتها جميعا • وعندما استطعنا أن نراهم كرة أخرى وجدناهم محلقين في الهواء بعيدا ، وعندها شعرت بأن حملا من التبعة قد أزيل عن منكبي ، وكان حملا ثقيلا • واتخذت سبيلي الى دائرة (رئيس البلدية) رأسا كي اقف على السبب الذي حمل (احمد باشا) ورفاقه على الحضور فيها • وياعجبا ، أنهم دعوا من قبل (ملا افندي) الذي كان يرى أن من الواجب على المنطقة كلها أن تقف بأزاء المهاجمين ، صفا واحدا ، وأن من الايسر ضمان ولاء هوءلاء الزعماء ، وهم ممن لم يبدوا فيما مضى عداءا سافرا ، أذ أن وجودهم في البليدة تحت المراقبة أفضل مما لو بقوا في قراهم متلبثين • وجرى لي معهم حديث طويل ، وطبيعي أن يوءكدوا اخلاصهم للحكومة ،

وتأييدهم لي، لكنني كنت اعلم علم اليقين بأنهم، لولا وجود خورشيد اغا ورجاله، لما طال الكشف عن حقيقتهم . وعلى أية حال، كنت ادرك أنهم مهما كادوا أو مكروا فأنهم سيكونون لي عونا جهارا، مادامت تتراءى امكانية فوز حزب الحكـومة .

وكانت ال (سورجي) تتجمع، في هذا الاوان، حول (ديره)، على طول (باستورا جاي)، على بعد ١٢ ميلا من أربيل فقط، وعلى رأسهم الشيخ عبيد الله . وكان (نوري) معهم ايضا، كما كانت تصحبهـم قوات طارئة عديدة جاءت من قبائل رواندوز . وكـان جمـع ال (خوشناو) على الجانب القريب من (باستورا جاي)، على فـوت ٩ أميال من أربيل تقريبا، حول القرية المسماة بـ (ملا عمر) . لذا كان من اليسير الهين أن يسير جمع الثوار كله زاحفا على اربيل بين العتمة ومطالـع الفجـر .

وزارني خورشيد اغا ومشير بعد العشاء . وعلم أن نجل خـورشيد اغا المسمى (علو) وشقيقه محمد أمين اغا قالا لممثـل ال (سـورجي) أنهما، في حالة الهجوم على اربيل سيسحبان قواتهما من دون مقاومة . لقد طمأنني خورشيد اغا بأن هذا لا يعدو كلام طفل، وقيل لي أنـه وبخ القتصر بشدة . قال أنه أرسل دوريات لتسير على طول السبل المؤدية الى (باستورا جاي)، وحالما تتناهى الانباء بأن الثـوار موشكون على التقدم فأن مشير سيخرج لصدهم بقوته كلها . سـواء أكانوا محمديين أم لم يكونوا فأن الدم سيراق بمجـرد عبـور ال (سورجي) مجرى الماء . أنه لن يطيق مغادرتنا البليدة، أذ أنـه ممسك بزمام الامور وأنه سيمضي على هذا قدما، على الرغم مـن الثرثرات الطفلية التي يتفوه بها بعض الاغوات الاحداث . أن موقفـه الثابت، ثبات ذي النية الوضاء الصارمة، طمئنني كثيرا، وعلى الرغم من أن العدو كان قريبا، امضينا ليلة هادئة . وأوفد خورشيد اغـا عند الصبح من اليوم التالي الشيخ معروف، وهو ممن أستفاض صيته باعتداده ماجدا مبجلا، لمقابلة الشيخ عبيدالله، محـذرا أياه من عبور

(باستورا جاي) اذ أن عقبى ذلك أراقة دم محمدي كثير جداً .

وأنقضى اليوم هادئا مطمئنا حتى أشار عقربا الساعة الى الثالثة من بعد الظهر حين شوهد حشد كبير يقترب من المدينة . كان الجمع من ديار الـ (خوشناو) منطلقا . وأنتشر لساعته فزع مروع ، وغدا القلب في جناحي طائر ووقف المجندون على أستعداد ، وأندفع النقيب ليتلديل الى مدفعه الرشاش وعبأ مشير رجاله للقتال ، وغطى بهم التكنات . وعاد (علو) واخرون ينهبون الارض بخيولهم الى البليدة وكانوا قد غادروها صحبة عدد كبير من أبناء القبائل الذين وجدوا في لطامهم أعارا . ومهما تكن الحال وقف الجميع المتقرب من (بلداوه) ، وسرعان ماعلمنا بأن جميع رؤساء الـ (خوشناو) قد وصلوا وأنهم يحلون في بيت ملا افندي . وذهب احمد افندي لمقابلتهم راكبا ، وما أن عاد من ذلك الا بيّن أنهم مهتاجون جدا،وانهم يدعونه بالخائن الكافر للدور الذي لعبه بجانبنا . وتراءى أن مصطفى اغا وخضر بك البلباني ، وهما الشخصان اللذان كنت أزدريهما كثيرا (كذا : المترجم) كانا ، طوال أيام الهزاهز والاضطرابات يشيران على قادر بك بالوقوف ثابتا على ولائه ، على حين كان الزعماء الباقون بقيادة صالح بك ورشيد بك وهما اللذان كانا يتوقان الى تحطيمه ، كانوا يلحون عليه في الوقوف مع الطرف الاخر . كان الرجل مذبذبا ، لاالى هؤلاء ولا الى اولئك ، ولم يكن قد أعمل فكره بعد ، لكنه ، وقد مضى الى هذا الحد ، فمن المحتمل أن يجنح الى السلم ، سيما وأن (ملا افندي) يصب فيض فصاحته ليعيده الى السداد .

وفي تلكم الامسية نفسها أتخذنا قافلة كبيرة من البغال والحمير محملة بجميع المتاع وهيئة الموظفين الذين بقوا ووجب أخلاؤهم . وأمضينا ليلة قلقة ليلاء ، وكنا على استعداد للهروب في أية لحظة . لقد كان من المحتمل جدا أن الـ (خوشناو) ينطوون على كيد وخيانة ، وما كان لدى (النقيب ليتلديل) مايحمله على الوثوق بقادر بك الا القليل . ورو عتنا اطلاقات ، ولم يحدث اكثر من هذا حتى أنفجر الصبح فعاودنا شيء من

أطمئنان نسبي .

ومر صبح اليوم العاشر هادئا ساكنا . وفي نحو الساعة الحاديةعشرة صباحا جاء أحمد افندي لمقابلتي . وقبل يدي مكرا وخداعا وأكد ولاءه السرمدي الى ذاتي . وأشرت الى ماكان بيننا من صداقة شخصية في الماضي وأنبته على موقفه الحالي ، على حين أحتج بأن الـ (خوشناو) لم يصلوا جماعة النقيب ليتلديل نارا ، وانهم لم يعمدوا الى التعبئة أخيرا الا لكونهم كانوا يعلمون أن الريب تكتنفهم ، وأنهم أشفقوا من أجراء تأديبي تتخذه الحكومة . ورتب أن يقابلني قادر بك وجميع رؤساء الـ (خوشناو) الاخرين في السراي عصر ذلك اليوم .

وعلى ذلك اتخذت سبيلي الى مكتبي في الساعة الثانية من بعد الظهر ، واخذت أراقب من نافذته زعماء الـ (خوشناو) وهم يتوافدون. وكان ثمة حشد كبير من الناس يقف على حفاف الشوارع ، وأخذ الـ (دزه يي) يسخرون من فروسية الرجال القادمين من التلال حتى كاد أن ينجم شغب وتعالى جلبة . ودخل قادر بك اولا ثم أعقبه خورشيد اغا وجاء بعده : صالح بك ورشيد بك ومصطفى اغا وخضر بك وعريب الكردي . وكان يبدو على كل من صالح بك ورشيد بك الوجوم . كان وضعا غريبا عجبا : ذلك أني أعتدت ، طوال سنتين ، على أصدار الاوامر الى هوءلاء الزعماء ، فأذا بالوضع الان ينقلب على عقبيه فهم الذين يفرضون علي شروطا . وعلى الرغم من أن موقفهم لم يكن مشوبا بالخضوع والخنوع الا أنه لم يكن ، بأي وجه من الوجوه ، عدائيا . وقام قادر بك بدور الناطق بأسم القوم ، وكان صالح بك يقاطعه بملاحظات شتى بين الفينة والفينة . لقد وافقوا على تسريح قواتهم ، والعودة الى ديارهم ، وأعادة جميع ممتلكات الحكومة الموجودة في حوزتهم ، شريطة أن أدع مامضى يمضي والى غير رجعة ، وأن أدأب على دفع مشاهراتهم بأعدادهم من الزعماء الرسميين ، وأعاملهم بنفس المعاملة الشريفة الاثيرة التي كنت أعاملهم بها قبل نجوم الاضطراب هذا . حقا لقد كنت مكرها على قبول مثل هذه المقترحات

وأن كنت مسرورا منها كثيرا . ولكي يبقوا على ماء الحياء في وجوههم أضافوا الى ذلك شرطا بذلك أنهم أقسموا يمينا غليظا أمام عبيد اللـه اغا بأن يدأبوا على مقاتلة الحكومة حتى النهاية المرة . وسألوني بقلب كـبير أن أعقد مع السـورجي هدنة وفق شروط معقولة ، لكني لم أعد الا بكـل ماأستطيع .

وما أن ختمت المفاوضات على هذا الوجـه المرضي الا وارفـض الاجتمـــاع .

وقبل أن اغادر المكتب عاد الشيخ معروف وجاء لمقابلتي . لقد كانت قصته عجبا : أذما أن بلغ الـ (سورجي) الا أستقبله الشيخ عبيد اللـه بأهانات بالغة حين قال له : « لم وأنت (سـيد) تنحدر من صلب النبي (صلعم : المترجم) تتعامل مع هؤلاء الكفرة ؟ التحق بنا وكن لنا عونا على طرد هذا الشعب الملعون من ديارنا المقدسة . » وبعد أن دأب على مثل هذا لدقائق ختم (زعيم الثوار) كـلامه قائلا : « طبيعي لو نصبتني الحكومة رئيسا على قبيلتي ودفعت لي معاشا وقامت بما يتطلبه تشكيل قوة من الدرك العشائري ، فأني سأعمد الى جباية الضرائب الـواجب دفعها اليها وأقوم بتسديدها وأخدمها بأقصـى ماأستطيع مـن ولاء وأخلاص ! » وفي أثناء الحوار هذا ورد مكتوب من علي باشا يكشفه عن هوية ذلكم الماجد ، وهو من تصرف بأعظم ولاء ، مظهرا ومخبرا . قيل أن الـ (دزهيي) أضطروا بسبب هجمة شنتها العرب على العودة الى ديارهم ، وأن أربيل اصبحت اليوم من دون حماية ، وأنه يلح علـى الشيخ عبيد الله بأن يهجم فورا . وأنكر الشيخ معروف زخرف القول هذا بشدة ، وأعلمني لدى عودته ، أنه يتراءى أن ليس من المحتمـل قيام الـ (سورجي) بعبور (باستورا جاي) مادام خورشيد اغـا في أربيل ثاويـا .

واثر مداولات عدة غادر زعماء الـ (خوشناو) البليدة وأمضوا ليلة في (بانسيلاوه) على فوت نحو ٦ أميال منها . وعند المساء شـاع في نفوسنا جذل عظيم أذ وردت برقية تفيد أن (المقر العام) وافق علـى

انفاذ الجنود ، وأن رتلين منهم سيغادران الموصل وكركوك عندالصبح من اليوم التالي فيصلان أربيل يوم ال ١٤ من الشهر • وعلى ذلك فأن أستطعنا الثبات لاربع ليال أخر فأن في ذلك كل الخير •

ومضت تلكم الليلة واليوم الذي تلاها بهدوء وسكينة • وزرت السراي ، وعند العصر مضيت على صهوة جوادي لانتخب للجنود مخيما • واصطفيت قطعة كائنة عند مخلج[4] كهريز بين المطار وبيننا • وكانت الليلة التالية اسوءا ليلة مرت علينا • ذلك أن احمد افندي دخل في نحو الساعة التاسعة مساء فزعا ، ثم ارتدى رداء طويلا وسروال ركوب وبحذائه أحتذى — وهو ماكان يطلق عليه النقيب ليتلديل أسم (بزة النلاح) — وقال : أن الساعة العصيبة قد حلت ، لاريب فيها • ونصح بأن نفر الى قرية كائنة على بعد اميال قليلة على الطريق الماد الى الكوير حالا • وأضاف الى ذلك أن زعماء اا (خوشناو) لايزالون في (بانسيلاوه) ومعهم قوة كبيرة وأن قد تناهت اليه معلومات تفيد بأنهم وال (سورجي) ينوون الهجوم في تلك الليلة عينها • وتمنطقنا بأنطقتنا وبمسد ساتنا واسرجنا مهورنا وجعلنا جميع جنودنا على أستعداد للمضي ، وحين ولج خورشيد اغا وانثنى الى احمد افندي قائلا وهو يصرخ صراخا مدويا « لست أنا هنا ؟ دع كردستان تهجم كلها ، فأنني سأصدها ! لم اطارت مجرد أشاعة تقوسكم شعاعا ؟ لقد استطعتم بواسطتي البقاء هاهنا طوال الايام الشداد ولن اسمح لكم اليوم بالرحيل أبدا • » ثم أنه جلس يتمتم ويرفع عقيرته مرددا (آي ••• آي) بنفس طويل ويبدي أشمئزازا وتقززا •

ثم خاطبني قائلا : أن دورياته قد خرجت وليس هناك من سبب يحمل على أن يشيع الروع فينا ، وأن رجاله متجمعون ومستعدون لصدأية هجمة تشن ، وأن (مشير) ومعه ثلة كبيرة من الفرسان موجودون في (خاذ) قريب لمديد العون الي أن مست الضرورة اليه • وعند هذا

---

(٤) المخلج هو الصدر • ويقال ايضا مخلج النهر اي صدره .

(المترجم)

صرفت من ذهني فكرة الهروب ، كما أصر خورشيد اغا العجوز على قضاء الليلة معنا في الثكنات •

وطار نومنا (٥) خلالها ، ثم عاودنا اطمئناننا • صحيح ان الـ (خوشناو) تلبثوا في (بانسيلاوه) في اليوم المنصرم ، والظاهر أنهم كانوا يبحثون الوضع في (كوي) ، واليها أوفدوا الهرم على بك ، وهو من اعمام قادر بك وقوة صغيرة للسيطرة على الامور بما يحقق مصلحتهم • وتناهت المعلومات الان بأنهم غادروا الى ديارهم والفجر يتنفس •

ووصل النقيب ديكينسن عند وقت الغداء يحمل نبأ أبدينا اهتماما بأذاعته على الناس ومحصله أن الرتل القادم من الموصل يخيم الان في الكوير • وغادرنا بعد الطعام مباشرة وبدأ بالقيام بواجب أعادة بعض الموظفين والمتاع مما سبق له اخلاوءهم واخلاوءه • وأرسلت اهالي اربيل عيونها للتأكد من الخبر القائل بتقدم العسكر • وكان الناس يجنحون ، في بادىء الامر ، الى الارتياب بصدقه ، لكنهم شرعوا يبدلون موقفهم عند المساء •

وبعد الظهر مضيت على صهوة جوادي الى زيارة (ملا افندي) في داره الكائنة في (باداوه) • لقد تراءى لي أنه غير متأثر بما شاع من فزع وذاع • واستقبلني كالعادة بما أعهده فيه من امارات العطف والاحترام ، ودار بيننا حديث مسر كما حباني بنصح نصوح • أنه هو الذي بعث الهمة ، وألهم جميع الذين يمدون يد المعونة لنا ، وقادالرأي العام ، وأنه هو الذي يملي على (احمد افندي) كل أجراء يتخذه ، وأنه هو الذي روض غرائز خورشيد اغا الضارية ، وأنه هو الذي حادث زعماء الـ (خوشناو) لاتخاذ موقف سديد • ومع ذلك كله لم أقابل رجلا متواضعا مثله الا نادرا• انه لايصغي الى ما أفصح عنه من حمد

---

(٥) هي عندنا من العامي الفصيح • وكم في العامية من كلمات لصاح • (المترجم)

وشكران ، وأنما كان يقول بأنه يجاهد ، كما جاهد دوما ، في سبيل مصلحة بلاده وأهلها .

الا أن كل شيء لم ينته بعد ، أذ كان لدينا مانشق منه ونرتعب أكثر . فبعد تناول طعام العشاء دخل خورشيد اغا الى الثكنات ، على غير العادة، مهتاجا . ونصحنا بأن نستعد للهروب ، مطمئنا أيانا بأنه مصمم في الوقت نفسه على القيام بكل مافي وسعه لمنع حلول مثل هذه المفاجئة . أن حال خورشيد اغا هذه حملتنا على أن نذهب الى أن الموقف جد خطير حقا . لكن (احمد افندي) ، في هذه المرة ، هو الذي أعاد الاطمئنان الى قلوبنا . والظاهر أن الموءامر الخطير صالح بك كان قد ركب وسار بعد أرخاء الليل سجوفه على الدنيا ، فولج البليدة وذهب الى حيث كان جمع زعماء الـ (دزه يي) ملثما ثم هتف : « الفرار، الفرار ، لقد أنقض السورجي عليكم ! » وتعالت في أعقاب ذلك جلبة فاوفدت الدوريات الى جميع الجهات . وسرعان ماعادت هذه تفيد بأن ليست هناك أية أمارة تدل على وجود قوات معادية . وهنا أدرك زعماء الـ (دزه يي) الحيلة التي دبرت لهم ، فتاق الاغوات الفتيان الى الامساك بالخائن وتسليمه الي" ومهما تكن الحال ، ما أن سمع خورشيد اغا بهذا الا وعارض فيه وقال : « أن ذا لك يناهض العرف العشائري ويخالف شرعة الضيافة . وعلى ذلك أوعز الى (صالح بك) بمغادرة البليدة ، فخرج منها مذموما مدحورا ، وبهذا قضي أمره وانتهى . وعلى الرغم من أننا كنا نجهل ذلك فأن الـ (سورجي) كانوا قد نبذوا مشروعهم كليا وأنهم كانوا يستعدون الى خوض النهر عند (كرد ماميك) تلقاء هدف اخر .

وما أن أنفجر نهار الـ ١٣ من الشهر ، الا وانتهت حالة الحصار التي كنا نعايشها . والظاهر أن الاحوال كلها قد تغيرت ، وأن السحب الثقال التي كانت تجعل السماء حالكة ، لمدة طويلة ، قد ولت هاربة .

وأمتطيت سيارتي ، ومعي فيها رحمان اغا ، وذهبنا لمقابلة الرتل القادم من كركوك ، كان ذلك لكي اثبت له ، أن احتاج الامر الى

اثبات ، بأن العسكر قادمون حقا • وكان مايملاء النفس جذلا وحبورا أن أسافر ، كرة أخرى ، قاطعا السهل الوسيع المتموج ، وأستنشقهواء الخريف العليل البليل • ووجدنا الرتـل مخيما عند (قوش تبه) ، فسررنا من روءية احاده حقا ، لكنهم كانـوا يشفقون أيضا من أن مجيئهم قد يكون متأخرا جدا ، لذلك رحبوا بنا ترحيبا حارا • وكانت القوة موءلفةمن سرية مشاة بريطانية واحدة ، ورعيلي خيالة هنـود • وعدنا . والقلب مترع جذلاع ، الى اربيل ومعنا نائب عـريف مريض أنزلناه في الثكنات •

وناه معنا ، تلكم الليلة ، زعماء الا (دزه يي) الاربعة اعني: خورشيد اغا واحمد باشا والحاج بير داود ورسول اغا ، شأنهم كشأن جميل اغا من الا (كهردي) وكان ذلك من دون أتباع ارهاصا بولائهم المتحد • وكنا لانزال نشفق من « انقلاب » محتمل يقوم به الحاج رشيد اغـا او غيره من حزبه ، وبقينا نراقب ذلك بعين الديدبان ، لكن الليلة مرت بهدوء واطمئنـان •

ونهضنا يوم الا ١٤ من الشهر مبكرين وركبنا مع جماعة من المجندين الخيالة ، يصحبنا مشير اغا ، لاستقبال رتل كركوك المتوقع وصولـه اولا • ودخلنا البلدة معه في نحو الساعة التاسعة والنصف صباحـا ، على حين اصطف جميع أبناء العشائر وأهلها وهم فرحون ، علـى حفاف الشوارع ،وتعالت من بعض النسوة الزغاريد الغريبـة ترحب بنا • أنها « هلاهل » تصطنع عادة عند الزفاف وعند المآتم ايضـا • ووصل رتل الموصل ، المكون من سرية خيالة هنود وفصيلي مشاةهنود ومدفعين ظهرا ، وخيمت القوة كلها على البقعة التي اخترتها لهـا • وانطلق الناس لرؤيتها زرافات ووحـدانا ، وجلب الباعة الجائلون الفاكهة والا (بسكت) والدخينات اليها ، على حين أخذت يدخورشيد اغا واحمد افندي للقيام بجولة تفتيشية في المعسكر • وعدنا في هـذا الاوان الى بيتنا ، واستئنفنا حياتنا على نهجها الذي مضى ، وأن اطبق علينا الماضي ، بعيشته الكدراء المنغصة ، اطباق شبح مخيف ، من

الدهر حينـــــا .

سيبقى الاسبوعان الاولان من ايلول سنة ١٩٢٠ مبعث وحي والهام دوما ، أن رعبهما قد زال الان ومضى ، ولم يبق في عقلي الا الاهتياج العنيف الذي رافقهما ، شأنه كشأن اللالاء الضاري الـــذي يصحب المغامرة ، واخلاص اصدقائي وولائهم . ومن بين هؤلاء ، ذكرت من كان يمسك بالزمام اعني : (ملا افندي) ، لكن الاثنين اللذين عانـــا من شدة الايام ووقعهما هما : احمد افندي وخورشيد اغا . ومـــا ذاق الاول طعم النوم أياما . لقد دأب على السعي ، جيئة وذهوبا ، بجمـــع المعلومات ويتشمم اخر المكائد والمؤامرات ، ويشـــجع الاصـــدقاء المذبذبين لاالى اولئك ولا الى هؤلاء ، ويتحدى من لاشك في عدائهم ولا ريب أبدا . كان في تلكـم الايام الشـــداد وحـــين كادت قضية ساوار اغا تغـــدو معـــولا هداما . ما انفـــك عقلـــه النشـــيط عـــن اختطاط المهارب و «الحلول الوسط » ، وعلى حين كان يدعـــو زعماء (دزه يي) تارة ويدعوني تارة اخرى الى أن تلين في مقاصدنا . وعلى الرغم من اخلاصه لي وولائه للحكومة فأن قلقه الحق كان يتركـــز في اربيل الحبيبة الاثيرة عليه واهلها ومن في (عينكاوه) مـــــن فقـــراء النصارى . وفي خلا لالسنتين اللتين اشغل فيهمـــا منصب (رئيس البلدية) كرس حياته كلها وعبأ روحه في سبيل رعاية البلدية وحمايـــة الطبقات الفقيرة فيها من ظلم الاغوات وجورهم . لقـــد رأى الان ، بعينيه ، الاهلين الذين كان يؤثرهم أعني : الصناع وأرباب الدكاكين واليتامى والارامل يتهددهم الرعب الراعب والدمار . وعلى حين كانت تصون (ملا افندي) حرمته ، وكان الوجهاء الاخرون يحمون أنفسهم بأظهار الصداقة الى الطرفين ، فأن احمد افندي ، باخلاصه الصـــــم (قصده) ، كان يخاطر بماله وأسرته وحياته .

وكان خورشيد اغا من معيار يختلف اختلافا تاما . وما عرفت حتى هذا الوقت أنه وأسرته كانوا ، بقدر تعلق الامر بحمايتي ، ينفـــذون وصية الراحل ابراهيم اغا . هذا وأني لعلى يقين مـــن أن (الزعيم)

نفسه ، لو كان حيا ، لما خدمني على مثل هذا الوجه الدائب المطـــرد ووحدة القصد أبدا . كانت عقليته السامية تلمس حلا وسطا ينقذني ، ومن دون أن يمس مشاعر جيرانه الزعماء الاكراد أيضا . ومهما تكن الحال ، ما أن تبين لـ (خورشيد اغا) الرأي القائل بأن من واجبه الوقوف بجانبي،لذلك ،ما استطاع شيء ان يبدل القصد الذي كان يسعى اليه ويكيّفه.وعلى حين كانت قرابته تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال،وكان الوجهاء والزعماء الآخرون يصطنعون كل اغراء يحمله على خذلاني ، وعلى الرغم من انه سيق الى الاعتقاد بان الحكومة تلفظ انفاســـها الاخيرة ، فلقد رفض ان يحيد عن موقفه قيد « بوصة » . واستطـــاع (ابو اغا) ان يعثر عليه ، ذات مرة ، في الجامع وحيدا فقدم له فيـــه ١٠٠٠ باون ذهب ، وكل ذلك للضغط عليّ حسب ، كي اطلق سراح أخيه الحاج سويد آغا المسجون بسبب قتله العريف ميثوين ، لكنه رفض تلكم الرشوة بشدة . كان هو العمود الفقري في مقاومتنا عناصر الشغب والاضطراب ، وقد رفض التساهل حتى عندما كنا ، احمد افندي وأنا ، على استعداد لمثل هذا . كان نفوذه وثباته السبب في خلاص البليدة من هجمة ، اذ لو لم يكن معنا لاضطررنا على الهروب عندما تناهي اول نبأ يتصل بالنوايا السيئة التي ينطوي عليها الشيخ عبيد اغا . لم أجد في اي كردي مثل هذا التصميم العازم ووحدة القصد الخالصة من شائبة الانانية ، ان لخورشيد آغا في هذا الباب المثل الاعلى . لقد تجلّى ذلك في الايام الحالكة التي كانت اربيل معرضـة الى خطـــر العشـائر ، خلالهـــا .

الفصل العشرون

مغادرة البناء

وقبل المضي قدما الى خاتمة (قصتنا) خليق بنا ان نتأمل، مليا، في الأسباب التي بعثت الاضطرابات التي تناولها الفصلان السابقان.. لن اتردد الا قليلا حين أقرر لن جمهرة الناس في اربيل وكوي وديار الـ (خوشناو) كانت تقف الى جانب (الحكومة). انهم رس دائب على العمل، راغب في دفع الضرائب تماما، لقاء السلامة والحماية من شر الاغوات الجشعين، وهما أمران تضمنهما لهم ادارة مخلصة. لم تحدث حادثة سلب أو نهب، خلال نجوم الاضطراب في (لواء محافظة) أربيل، ولم يحاول احد الايقاع بالموظفين في مراكز النواحي، أو قطع خطوط البرق الرئيسة الممتدة الى كركوك والموصل ولولا ان أتى اليقين (حمه آغا) في كوي لكان كل شيء فيها يجري حسنا وبرخاء. ان موقف زعماء الـ (خوشناو) وحفنة من اغوات البليدة هو الذي جعل الموقع عن الزمام نادا. وطوفت في ديار الـ (خوشناو) وجولت وكان ذلك قبل ثلاثة ايام أو أربعة من نجوم الاضطرابات، فقوبلت من الناس حتى في القرى القاصية، كما يقابل من كان وليا حميما. وهنا، أيضا، كانت بلادة قادر بك (كذا: المترجم والعهدة على «المؤلف») وطمع أقربائه وحسدهم هو الذي ادى الى قيام مظاهرات معادية. ولما وجد الاغوات ان رجالهم لا يطيعونهم، لذلك ندموا على حماقتهم.

وعلى أية حال، كان الامر في رواندوز مختلفا. فالناس هناك أفظاظا غلاظ جهلة، واغلب قراهم يشق الوصول اليها، وتربة اراضيهم ليست بخصبة غنية، لذلك يجعل الخسار الذي يمنى بها المزارع، ان كانت الحال فوضى، قليلا. لقد دأبت الـ (سورجي)، في اقليم (عقرة)، على تحدي الحكومة أمدا طويلا، وجرى ذلك بأفلات من

القصاص نسبيا ، فأوحى هذا الى أخوانهم في (دشتي حرير) بالسير في نهجهم ، سيما وان الاضطرابات التي نجمت شمالي النهر تطلبت وجود آحاد كبيرة من قوة الدرك بين ظهرانيهم • ان طغيان هؤلاء ، وأغتصابهم ، جعلا الصبر منهم نافذا ، وعلى الرغم من انهم لم يشكوا من تدخل الحكومة في شؤونهم الا لماما • ذلك أنه لم يطلب منهم الا ان يدفعوا ضرائب نزرة للغاية • كما كانوا يرحبون بقليل من الاثارة واحتمال فرصة السلب والنهب •

وعند الجذور العميقة يكمن روح القلق ، وقد سرى الروح هذا صعدا من الجنوب فشجع كل من كان يتذمر ويتمرمر على أثارة الاضطراب ، على حين كانت الحكومة في شغل شاغل في أماكن اخرى ، وما كان هناك عسكر في اربيل ابدا • انها لامارة دالة على حسن النية عدوما ، حين بقي أهم اقليم في المنطقة ، اعني اربيل ، متماسكا ثابتا على الرغم من ذلكم الوضع اليائس ، وفي غضون ايام قليلة وجد في الامكان اعادة النظام الى نصابه من دون اتخاذ اي اجراء تأديبي في طول اللواء (المحافظة) وعرضه ، ولا يستثني منه الا (دشتي حرير) و (رواندوز) •

من الممتنع منه الا ان تأمل ان الدور الذي لعبه (نوري) في هذه الحوادث • هل كانت سورجية عقرة ، من دون تحريضه ، تعمد الى عبور النهر واشاعة الاضطراب في المنطقة كلها ، ياترى ؟ عسير ان يجاب عن مثل هذا السؤال • وعلى الرغم من اني كنت اعتقد ، بقوة ، ان وجود (اللاجئين) سيحول دون قيامهم بمثل هذا ، الا ان مما لا ريب فيه ان الـ (سورجي) قد سعت طويلا الى الانقضاض على دشتي حرير صببا[1] ومن المحتمل انهم في حالة حرجة، تجد الحكومة نفسها متخبطة فيها ، يتبلون الفرصة السانحة سواء اوجد (نوري) أم لم يوجد • لكن الذي يحسن بنا ان نقوله هو ان

(١) صببا : ! نزلا وانحطاطا • (المترجم)

(نوريا) هو الذي جاد بالوقيد ، فألهب النيـــران ، فتصاعـــدت ألسنتها المدمرة .

ويجب أن لا يغرب عن بالنا كيف قتل أخوة نوري حتف ألوفهم .. لقد أثار هذا المقتل أحاسيس الاكراد البلديين وعطفهم ، وتراءت وكأنها ستنزل انتقام الله والناس على بيت (اسماعيل بك) .

ان العناية الالهية هي التي أنقذت اربيل، وأذهلت الـ (سورجي)، فغدا آحادها خبالى . لذلك تركوا الفريسة اليسيرة التي كانت تنتظرهم وساروا في أعقاب أخرى ، فما جنوا بعدها الا خرابا . وأعلم (الشيـخ عبدالله) الشيخ معروفا ، يوم العاشر من ايلول ، ان حركاته ترتكـن الى قادر بك ، فان قال له هذا (الزعيم) لا تهاجم اربيل ، فعل . هـذا وأني أجهل ان كان مرد ذلك الى فعل قادر بك ورغبته ، لكـن الذي اعلمه ان قوة الـ (سورجي) نبذوا مشروعهم على غرة في اليوم الـ١٢ من ايلول ، وتحركوا تلقاء (المخاضة) الكائنة عند (كردماميك) في الزاب الاكبر . وعبروه في اليوم التالي ، وفي اليوم الـ ١٤ أنقضوا على الطريق الماد بين الموصل وعقرة . لقد صد هجومهم بضــراوة فولوا الادبار هاربين ،بعد ان تكبدوا في الارواح خسارا عظيما . وسـار اللاجئون على اثارهم قصصا ، وأنقضوا عليهم وهم يعاودون عبــور النهر كرة أخرى فكان خسارهم كبيرا ايضا ، وقيل ان كثيرا منهم فيعداد الغرقى . لقد جرى ذلك في آعالي النهر مقابل جبل قنديل[٢] ، وقــد أدت هذه الحوادث الى انهيار روحهم المعنوية وتهاوي ناموســـهم بين القبائل المجاورة كثيرا .

ولم يبق من (القصة) ، ليروي الا قليلا . وكان قد جرى ترتيب بان اتخذ السبيل الى الهند ، في نهاية السنة ، لاضطلع بواجبات جدده وعندما زارنا (السر أرنلد ويلسون) في اليوم الثامن من ايلول رجوته

---

(٢) هو من الجبال الراسيات الشامخات يبلغ سمكه (والسمك هو الارتفاع لا الثخانة على ما هو شائع غلطا = ١١٤٠٤ من الاقدام) . (المترجم)

منحي اجازة أقضيها بمناسبة النقل في انكلترة • وفي اليوم الـ ١٥ من ايلول وردت برقية تفيد بمنحي الاجازة ، وهذا أمر عجاب ! كما أفادت البرقية ان علي تسليم مهام منصبي الى (الرائد مارشل : مساعد الحاكم السياسي في عقرة) • وتقدمت باحتجاج على هذا وطلبت زمنا كي أعاود فيه تنظيم اللواء (المحافظة) قبل رحيلي • لذلك رتب ان يكون انفكاكي في بداية تشرين الاول • لذلك شرعت أعمل من فوري لاصلح من امر الجهاز الاداري الممزق ، وكان مبعث قلقي الاول هو اغراء قادر بك ورفاقه على معاودة زيارة اربيل ، بغية الوصول الى حل سليم بشأن القضايا البارزة القائمة بينهم وبين الحكومة • وثبت ان ذلك اكثر صعوبة مما كنت آمل ، إذ بسبب مما كان يدبره اعدائي في اربيل اعتقد زعماء (الـخوشناو) بأني انوي الايقاع بهم من وراء هذا • ولم تتملكهم الشجاعة وتدفعهم الى المجيء حتى حلول الـ ٢٤ من ايلول •

لقد استعادت الحكومة هيبتها بوصول القوات العسكرية الى اربيل حالا • واخذت العرائض تنهال ، على ما كانت عليه قبل نجوم الاضطراب • كما اخذ الفلاحون يحاصرون الموظفين العاملين في الوحدات الادارية التابعة آتين بالقسط الاول من الضرائب المترتبة عليهم المفروضة على حاصلات الشعر والحنطة • ومن سرح نفسه من المجندين والدرك راجع يرجو اعادته للخدمة ، وفي غضون اسبوع واحد عاد العمل المنسق (الروتين) القديم ، يعمل على وجه التمام •

والشيء الجديد الوحيد هو اني ، برجاء من خورشيد اغا ، وضعت حاميات في موقعي (مخمور) و (قوش تبة) ، وهي حاميات مؤلفة من العشائريين المسلحين بدلا من الدرك النظاميين •

وفيما بعد ظهر اليوم الـ ١٥ من ايلول زرت مصحوبا بخورشيد اغا وأحمد افندي الشيخ مصطفى لشكره على اسدائه خلال ايام الاضطراب عونا • ذلك انه بسبب سكناه في مشاف المدينة الشرقية ووجود اتباع كثار له يقطنون القرى القريبة من (باستوراجاي)

قام بتزويدنا بالمعلومات تزويدا حسنا • ينضاف الى ذلك اصدار فتوى دينية تسفه الهجوم المخطط على أربيل وتدعو المحمديين الصالحين الى مؤازرة الحكومة ، كل هذا صيّره أداة فعالة في الحفاظ على صداقة القبائل غير الكردية القاطنة في جوار البلدة •

ووصل في اليوم الـ ١٨ من الشهر السيد طه الـ (سمسيديناني)، الرجل العظيم • ان له مركزا ، في الديار الكائنة الى الشمال من منطقة رواندوز ، وعلى جانبي الحد الفارسي غير مختلف عن مركز الشيخ محمود في السليمانية قبل الاحتلال البريطاني • لقد دأبت أسرته على أن تكون العنصر المهيمن في تلكم المنطقة طوال أجيال عديدة • وقد قاد جده ثورة عارمة بازاء الاتراك آملا ، عن سبيلها ، تحقيق الاستقلال القومي الكردي ، كما كانت لعمه الشيخ عبدالقادر حظوة كبيرة لدى السلطان عبدالحميد • وحتى في يوم الناس هذا يعتد شخصية ذات خطر في اصطنبول • ورؤي في السنة الماضية تنصيب الشيخ طه (حكمدارا) غرار تنصيب الشيخ محمود ، على ان تنتظم رواندوز في ولايته • وأيا كان الامر ، نبذت المفاوضات معه لافراطه في طلباته • أما اليوم فأن نفوذه قد انكسف الى حد ما ، ومرد ذلك الى الى شخصية (سمكو)[٣] رئيس قبيلة الـ (شكاك) ، وقد تحالف معه • ومهما يكن من أمر ، لا يزال الرجل ذا خطر كبير ، لذلك رتبت مقابلة معه تم في رايات[٤] الواقعة على الحدود ، وموعدها في الاسبوع الاول من ايلول ، بغية البحث معه في شؤون تتصل بمبادرة اللاجئين النصارى الى أرومية[٥] • وما ان سمع عند وصوله المكان

---

(٣) هو اسماعيل آغا وعشيرته تسكن الحدود التركية ـ الفارسية في منطقة قطور •

(٤) ثمة نهر بهذا الاسم يجري في واد بهذا الاسم وفيه قرية اسمها (خالكان) ، قريبة من (جنديان) •

(المترجم)

(٥) غير هذا الاسم الى (رضائية) •

(المترجم)

الموعود ، بالاضطرابات التي حالت دون مقابلتي له الا قطع ، تلقائيا ، الرحلة الصعبة ، على الجبال المفضية الى رالية . وفيها وجد (اسماعيل بك) فاصطحبه ، عبر كوي ، الى اربيل .

لقد مثل على غير ما هو مرتقب في بيتي ، وكان يصحبه ملا افندي . كان يرتدي ملابس الركوب الاوربية ، وقد شد رأسه بكفية على الطراز العربي ولفها بوشاح ذو لونين ، ذهبي وأخضر . وعلى الرغم من انه لم يتجاوز الـ ٢٨ من عمره فهو ذو جرم ضخم ، وطوله ٦ أقدام وزيادة ، وانه وفير اللحم . ان له رأسا كبيرا ، وخداه مترهلان ، وعيناه صغيرتان حادتان . لقد طوف في روسية ، وهو يتكلم لغة هذه البلاد بطلاقة ، وانه ليعرف الفرنسية . ان قدرته العقلية فائقة، يجمع العقلية الحوارية الاوربية الى المكر الطبيعي الذي يتسم به السَري الشرقي .

ولبث في اربيل مدة اربعة ايام ، وأمضيت كل يوم منها أحادثه ، فيستطيل حديثنا ساعات عديدة ، وانا شاعر باني كالمريد الذي يحاجج سقراط . وفي الـ ٢٠ من الشهر أخذت بيده الى (الكوير) لمقابلة (العقيد نوندر) ، وحيث ارتحت لمدة ساعة من عبء الاجابة عن اسئلته الباحثة المتبينة . لقد دعوناه لمقابلة يحث خلالها في أمر المبادلة ، فأذا به ، من الناحية الاخرى ، يريد من وراء مجيئه الحصول على العون البريطاني ، اعني : الاسلحة والمال اللازمين لتحقيق كردستان المستقلة. لقد أظهر قدرا كبيرا من الفطنة الحسنة ، وأكد بوجه أخص ، على ضعفنا في شؤون الدعاية ، اذ لم نصب جهدا كبيرا في مناهضة أكاذيب (الحزب الشريفي) و (الوطنيين الاتراك) وهي أكاذيب كانت تبث في صفوف الاكراد في كل مكان ، او لعل ما كنا نصبه من جهود لم يكن الا لماما . وزعم ان هناك ، في الاقل ، حلفان عشائريان مهمان يعملان في الشمال على اقامة دول كردية مستقلة ، والح علينا بضرورة تقديم المساعدة في اقامتها لتهيئة العقبة التي تقف في طريق الخطر الروسي ، وهو خطر عني بالمبالغة فيه كثيرا وما ان أرهقني بافكاره الدائرة حول هذا

الموضوع ، وكان رهقي تاما ، اذ أخذ يشير الى قضية المبادلة عرضا ، وينهال على المشروع المقترح لها منتقدا • ومن لكد الحظ انه كان ذات يوم في بيتي ، وهو يبحث في ذلكم الموضوع ، وقع نظره على صحيفة مصورة كانت موضوعة على المنضدة • لقد فتحها ليرى صورة سيدة ترتدي الملابس الشرقية فتأوه وسأل : « من هي ؟ » فأعلمته انها صورة سورمه خانم ، اول « سفيرة » تمثل السريان النصارى في لندن • قال : « اليكها ، ان هؤلاء النصارى لن يعودوا الى وطنهم بسلام • انهم يصبون الى ان يصبحوا أمة عظيمة ، والاكراد فيها لهم رعايا ، ولهذا لديهم سفيرة في لندن ، وهو اكثر مما لدينا • هذه السيدة عينها، أعني التي ترى صورتها هاهنا ، تآمرت على قتلي عندما كنت في بغداد في السنة المنصرمة ثاويا • » وكل هذا وانا صامت لا أحري جوابا • لقد سُري عني كثيرا عندما ودعت السيد طه في بيت ملا افندي يوم الـ ٢٣ من الشهر الجاري صبحا •

وغدا اسماعيل بك شخصا منهارا مهتاجا ، عقب سماعه بأن نوري قد نجا ، وهو الآن ، اكثر من اي وقت مضى ، مطحون بالنوازل التي مني بها • ان املاكه ، واملاك الباشا بيد اعدائه طرا ، وانه يعيش على عطايا يجود بها صدقانه احسانا • وعطفت على حاله كثيرا ، اذ على الرغم من القتول التي كان هو المسؤول عنها ، كليا او جزئيا ، كان طيبا الى ابعد مدى ، كما خدم الحكومة ، خالصا مخلصا جدا • لقد كان المنصب الذي فرضته عليه في رواندوز هو السبب فيما مني به من خراب ، في الدرجة الاولى • ووعدته بأن استمر على دفع معاشه في الوقت الحاضر • وان ابذل كل جهد في سبيل استعادة املاكه • وبعد ان مكث عندنا مليا اتخذ السبيل للالتحاق بجده الباشا العجوز راحلا ، وكان الاخير قد وصل (دركله) ثم ليحل في بيت زوج كريمته رشيد بك في شقلاوة • ولم ار ذلك العجوز كرة اخرى ، وان كنت قد تسلمت قبل مغادرتي اربيل ، رسالة منه بخطه المهزوز تطفح بالاسى على رحيلى والامل بأن الـ (سورجي) سيلقون عقابا • لقد

تناهى الي ، بعد ذلك ، ان قادر بك تمكن من احلاله في بيته في باطاس كرة اخرى • اني لقادر على ان اتصور ذلكم العجوز القلق النكد وهو يفيض في سرد الحوادث التي أدت الى سقوط رواندوز ويؤكد على ان كل شيء كان يغدو حسنا لو اتبعت النصيحة التي أسداها •

وفي الـ ٢٢ من الشهر جاءت (الآنسة مارتن) من شقلاوة راكبة حمارها الابيض ، وكانت قد رحلت اليها قبل شهر او شهرين ، لتمضي أسوأ شطر من الصيف دائبة على القيام بعملها التبشيري بين النصارى الكلدان • لقد بقيت في مقر عملها لا يقلقها شيء خلال الايام العصيبة وانجزت كثيرا في باب بعث الاطمئنان في قلوب اولئك الناس الذين ملئوا رعبا ، وكانوا في كل ساعة يرقبون الموت ذبحا • ولم يوقع بهم الـ (خوشناو) جريا على عرفهم التقليدي ابدا ذلك انهم كانوا يعدونهم عبيدا ذوي قيمة ، ولقد عامل قادر بك الآنسة مارتن باحترام فائق جدا ، وكان يؤدي لها زيارات شخصية ، ولا ريب في انه كان يأمل من وراء ذلك ان تساعده في المصالحة مع الحكومة اخيرا • لقد روت ساخرة كيف تملكه الرعب لدى رؤيته الطائرات محلقة فوق سياوه اول مرة وكيف اتخذ السبيل الى شقلاوة عائدا • انه لا يزال مضطربا وبشأن القدوم يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، ومن غضبي مشفقا ، ذلك ان الحكومة في اربيل قد استعادت في هذا الاوان سلطانها •

وأيا كان الامر ، استرد شجاعته يوم الـ ٢٤ من ايلول ووصلها بصحبه صالح بك ومصطفى اغا • لقد كان موقفه يبعث على الطمأنينة والرضى جدا ، ذلك انه وافق على اعادة ممتلكات الحكومة جميعا ، وبنصيحة منه سمحت لجهاز الحكومة القديم في منطقة شقلاوة بان يعاود العمل • وفي مقابلة خاصة جرت بيني وبينه أعلمني ان احمد مدحت افندي وصالح بك هما المسؤولان عن تضليله وعن أغراء الـ (خوشناو) على المشاركة في الاضطرابات ايضا ، كما وعد بقتل

الاول ان قدر له وعاد الى شقلاوة ، وهو من كان هاربا منها • كما أفاد بان من الضروري ان يترك صالح بك في الوقت الحاضر وشأنه، وهو ما كنت أود ان يتلبث فيها في هذا الاوان الى ان تسنح الفرصة الملائمة ليعامل وفق ما جنت يداه •

أما مصطفى آغا فقد كافئته على خدماته بزيادة طفيفة في معاشه وخولته تعويض الرجال الذين كانوا معي في (المضيق) عما فقدوه •

أما وقد تم حسم قضية الـ (خوشناو) لذا اصبحت قادراعلى صرف عنايتي الى (كوي) • ان (اللجنة الرباعية) ــ على انها كانت عاجزة عن منع الاضطرابات الثانوية ، وبالرغم من قيام جماعة من الشقاة بالاغارة على البليدة ليليا ــ اتخذت ظاهريا موقفا حياديا متحفظا ، ونجحت عموما في تصريف الواجبات الحكومية واستطال ذلك خلل أزمة عصيبة مددا • وكان تصرف (مستربات) منبعثا من فطنة فائقة كما كان مجرد وجوده كافيا للحيلولة دون قيام الاعداء بمظاهرات عدائية سافرة وكنت في هذا الاوان أدأب على اجراء محادثات طويلة بالهاتف ، وحملت سروات القوم جميعا ــ باستثناء رسول آغا و« المطران » الذي كان ما زال يعيش في معزل ــ على المجيء الى اربيل لبحث الوضع الراهن • ولما لم تكن لدي قوة وغير مقتدر على معاقبة (عبدالله اغا) لذا اضطررت الى تهدئته • كنت ارى ، في وقت ما ، ان ارتبه على البليدة (حاكما) ، وهو اكفأ رجل ميسور لمثل هذا المنصب ، ولكنني وقفت ، ويا للعجب ، على أن اقرب قرابته كانوا يمانعون في مثل هذا • لذا نسبته الى مديرية (طقطق) ، وأرضيته بمشاهرة معقولة ، وبذلك أخليت (كوي) من رجل خطر • وقررت تعيين جميل آغا حاكما على (كوي) كرة أخرى ، وكسبت ولاء السروات الصغار عن سبيل منحهم وظائف ذوات مشاهرات •

وفي الـ ٣٠ من ايلول رحلت القافلة ، كرة اخرى ، الى كوي ، مصطحبة النقيب برادشو ، وهو من كان يعود ليمضي حينا من زمان يعاود خلاله تظيم المنطقة ويستعيد ، ان استطاع ، مال الحكومة

وممتلكاتها ، وهو الذي توزع بين الوجهاء على اختلافهم • وأصاب في تنفيذ الواجب الاخير نجحا عظيما ، اذ في غضون ايام قليلة اصبح ثلثا المال المخلف ظهريا بيده كـرّة اخرى •

وفي نهاية ايلول قام احمد بك ، وهو من قبيله زراري الصغيرة القاطنة حول (ديرة) بتقديم خضوعه ، وبذلك اصبحت منطقتا كوي والـ (خوشناو) ، ومنطقة رواندوز حتى باباجيجك لدى وصول الرائد مارشل ليحل محلي ـ تحت سيطرة الحكومة ، بأساليب سلمية كـرّة اخرى •

ولم يبق الا الـ (سورجي) و (رواندوز) • وزارني قادر بك مرة أخرى يوم الـ ١٢ من تشرين الاول ليودعني ، وأفاد بان رؤساء الـ (سورجي) في دشتي يرغبون الى تقديم الخضوع • ومهما تكن الحال ، ولما كان هؤلاء هم مثيري الاضطرابات في داخل المنطقة ، فلقد كان يسيرا ان يتركوا وشأنهم على غرار ما تم بالنسبة لزعماء الـ (خوشناو) والـ (زراري) • وعلمت بان قد ارسل ، أثر رحيلي ، رتل تأديب الى دشتي حرير فاحتل باطاس ، على حين قام المجندون باحراق (ماوران) حيث قتل الدرك بكيد (هـذه بتلك والبادىء اظلم) •

وفي الـ ٢ من تشرين الاول وصل الرائد مارشل فاخذت استعد للرحيل • وفي الـ ٥ من الشهر طوفت في منطقة أربيل ،يصحبني خلفي ، وزرت جميع زعماء الـ (دزەيي) البارزين • ووجدنا خورشيد آغا فرحا بسيارته الـ (فورد) الجديدة التي قدمها له (الحاكم الملكي العام) ، جزاء على خدماته وفاقا : (ووازن الخير مثقالا بمثقال)[٦] •

وفي اليوم الـ ١٧ من تشرين الاول وفق النقيب ليتلديل في القيام

---

(٦) هو نهج رجال الاستعباد ، الاستخراب لا «الاستعمار» على ماشاع ضلة وتضليلا ـ البريطاني ، يكافئون صدقانهم ما دام فيهم نفع يرتجى ويعاقبون عدوهم ان كان في ذلك رادع للاخرين وقد ذهبوا وذهب صدقانهم وانقضت تلك السنون واهلها وكانهم احلام . (المترجم)

بفعل ثأر فذ ، وهو الذي كنت أروم تحقيقه قبـل رحيلي ، ففي ذلـك اليوم سار قسم من (رتل الموصل) في رحلة الراجعة الى مقره فبلـغ عند الظهر معسكره عند ترجان حيث يحل الحاج رشيد آغـا • وركب النقيب ليتلديل وثلة من المجندين مع العسكر خارجين وبصحبة جنديين اثنين فقط ، قاصدا مضافة الحاج رشيد اغا ، وطلب مقابلته • وأجاب أتباعه ان « سيدهم » ذهب لتفتيش حقول الرز العائدة له • وهنـا انبرى النقيب ليتلديل وقال : « آه ، ان هذا يدعو الى الاسى ، ذلك ان جماعة من العسكر تخيم خارجا تماما ، وانها تحتـاج الـى حب الحصيد تنشد علفا • » وهنا خرج الحاج رشيد آغا العجوز من غرفـة جوانية تعلو محياه الابتسامة المشرقة • وعندها أثنى النقيب ليتلديـل الى أحد جنديه وقال له : « اذهب وقل لدرويش افندي باني احتـاج الى السيارة في غضون خمس دقائق • » واتخذ الجندي سبيله وأعطى الاشارة المطلوبة ، وعندها جاءت جاءت جماعة من المجندين تسـعى وطوقت البيت فورا • والقي القبض على الحاج رشيد آغا وغدا حبيسا ثم نقل الى المعسكر عاجلا ، وهو يحتج ببراءته احتجاجا ابدا • واخذه الرتل الى الموصل حيث غدا محتجزا • وبعث القاء القبض هذا ، بين الوجهاء امتعاضا ، ودأبو خلال الايام القليلة التي جاءت في اعقابه على الاسترحام ، في كل فرصة ممكنة ، بان احصل على اذن باطلاق سراحه وكان يحدو فريقا منهم على هذا الاشفاق على انفسهم ، اما الفـريق الاخر الذي سره ان يراه راحلا فلقد كان يحدوه على ذلك العرف الشائع القاضي بان يتحد الجميع في سبيل حماية كل واحـد من آحـادهم ان وقع في قبضة الحكومة • ومن بين الفريق الاول كان علي باشا ، وكان قلقه عظيما جدا •

وأقمت في اليوم الـ ١٢ مأدبة غداء لكبار الموظفين الذين فيأمرتي، وسلمت مهام منصبي ، باعتدادي حاكما سياسيا الى الرائد مارشـل مارشل تسليما رسميا • وقضيت طوال اليوم التالي بمراسيم الوداع ، ذلك اني زرت في الصباح الوجهاء جميعا ، كمـا زرت الشيخ مصطفى

افندي . وفيما بعد الظهر أمتطيت صهوة جوادي واتخذت السبيل لمقابلة ملا افندي في (باذاواه) . وبعد ذلك اقام لي الموظفون الهنود والبلديون حفلة بستانية القى فيها (ضباط الخزانة) خطابا يطفح بالثناء ، فأجبت عنه بما يناسب المقام . واهتبلت الفرصة لاقدم ساعة من ذهب الى احمد افندى اهداها له (الحاكم الملكي البريطاني العام في العراق) جزاءا على خدماته وفاقا ، وعندها انهمرت من عينيه الدموع مدرارا . وفي اثناء ذلك وردت برقيتان تعلنان منح وسام (الصليب الحديد : M.C.) الى النقيب ليتلديل و (النوط العسكرى : M.M.) الى السيد علي افندي لما ابدياه من بسالة في اثناء الهجمة التي شنت على بلطاس . وشارك السيد علي بصخب في الهتاف له وغدا مهتاجا وكأنه طفل صغير .

وفي صباح اليوم التالي ، وعندما كان عقربا الساعة يشيران الى السادسة والنصف تماما ادى الشيخ مصطفى افندى زيارة خاصة ينشد بها موادعتي . واسبغ عليَّ بركاته (كذا : المترجم) ورجاني بان اكتب اليه . وتوافد على البيت في الساعة الثامنة مساء جميع الوجهاء والموظفين، وبلغت عدتهم الـ ٦٠ تقريبا . وشارك الجميع في احتساء الشاي والقهوة ، واسترحم الوجهاء مني لاخر مرة بان احصل على اذن باطلاق سراح رشيد آغا . وصافحتهم جميعا واتخذت مقعدي في السيارة والجمع المحتشد يطيف بها مودعا اياي وداعا بالغا .

وصحبني خورشيد آغا واحمد افندى وانور افندى موظف المالية الرئيس والسيد علي افندى . ومكثنا لساعتين او ثلاث ساعات عند (مخمور) حيث شاركت في اخر طعام كردى قدر لي ان اتناوله ، هذا وان خورشيد اغا ومشير قدما فيه افضل ما لديهما . وودعتهما باسى ورمقت (مخمور) من مبعدة ومعالمها تتلاشى . ورحل معي كل من احمد افندى والسيد علي افندى ونجل خورشيد آغا : (علو) حتى النهر ليشهدوني اعبره بالعبارة الى الضفة الاخرى .

وعندها ودعتهم جميعا ، وكانت آخر ما اذكره عن احمد افندي مظهره وهو يقف منحنيا خائر القوى .

الفصل الحادي والعشرون

الخاتمة

وهكذا (في لاعج بوقيد الشوق منصهر) خلفت (كردستان) ظهريا ، وأنا اسائل النفس : ايكتب لي القدر أن اشارك ، كرة أخرى ، اكرامها السمح ، او اجبه اخطار جبالها المعتمة . هنا (بلاد) لم يتطرق اليها الفساد ، وشعب بمنجاة منه ايضا . فيها شعاب تلال لم يطرقها مسافر اوربي في يوم ما ، ويقطنها شعب على الفطرة ولا يزال في (العصر الذهبي) متمسك بالطهر السلاج ، على ما عرفته الانسانية في عصورها الاولى ، عهد كان يعيش الكل فيه على ما يعيش الاكراد اليوم سواء بسواء . ثمة خصيصة ميمونة النقية في النوع البشري ، واعني بها أنه يسقط (الماضي) من حساب (الحاضر) فور أنقطاعه ، فلا يحزن على مافات ولا يألم لما ساء ، ولا يتذكر الا ماهو حلو مفيد ، وعلى ذلك فأن الخطف والقتل اللذين عرفتهما العصور المظلمةآنسحبت عليها ذيول النسيان ،ولم يبق في اطواء الذاكرة الا السذاجة الريفيه والاخلاق السنية . ميسم طفولة البشرية .

وشبه بهذا ماحدث لا (الكاتب) حقا ، ذلك أن ماآنتابه من رهق وقلق ، وروع وفزع ، في كردستان قد تلاشى وولى ولم تبق الا ذكريات الركوب على الجبال الوعرة والمضي خلال الوديان ، وذلك السرور الذي كان يشيع في النفس لدى روءية عادات غريبة ، والتحري عن أعراف قديمة ، والاستشعار بالتهذيب العريق ، والاستمتاع بقرى شيوخ ابيضت لحاهم ، وتلمس الروح السني الذي يتسم به الزعماء الشبان ، فائرو الدم ، وصحبتهم المسرة ، ومشاهد تلك الملابس ذوات الالوان الزاهية ، ورونق أهل الشرق الذين هم على الفطرة السليمة .

ويروادني في بعض الاحيان شعور محصله أني استطيع التضحيـــــة بمستقبلي كله من أجل أمسية أقضيها مع خورشيد اغا في (مخمور) ؛ او أن امتطي صهوة جواد ، وأمضي به خلل (المضيق) انــي رواندوز

حصلت على اصدقاء عديدون في كردستان وما كان اعدائي فيها بقلة، ومن بين الاخيرين ليس هناك الا (صالح بكخوشناو) ، من لااستطيع الى عفوه سبيلا ابدا ـ ولعل مرد ذلك حصرا ، الى أنه خدعني حقا . وكان (احمد باشا) و (الحاج بير داود) أعداء نزيهين، وكان اظهارهما الولاء والاخلاص لايعدو الشكل ، وماكان يأملان بأني اومن بــــه ابدا . . وكانت علاقاتنا الشخصيــــة علــى وئام تام دوما ، وكانت مكائدهما بالنسبة اليّ مؤنسة شائقة معا . واني لتائق الــى صـــوت (الحاج) الفضي الهرطيقي (كذا : المترجم) والى أن القي السمع الى النفجات المفرطة والكلمات المتسمة بروح الاستربياح التجاري الصريحة التي كان يتفــوه بهــــا الباشـــا .

لكن ابرز شخصية بقيت صورتها الهينة المتملصة عالقة بذهني هـــي شخصية : نوري . وهو رجل في روحه وقده (القصد) لا (الشجع) الذي يتسم به بنو جلدته . انه وطني وبطل يتوق الانسان الى مسالمته بوجه مشرف بدلا من الاتيان به الى المشنقة . ليس له مـال او نفـوذ قبلي ، لكنه غدالوة وجدت الحكومة في مســايرته امرا عسيرا . ان خلقه خلق الشاكس العجيب ، وهذا يحول دون ان يصبح على الناس حاكما ، فان لم يحن حينه مبكرا فسيمضي حياته على غرار ما امضاها (روبن هود)، يتحدى السلطة القائمة تحديا شريفا .

ومن بين صدقاني الذين حصلت عليهم في لواء (محافظة) اربيل :احمد افندي ، ولا معدى عن أن يشغل دوما مكانا سنيا .ولما كنا قد سردنا في (قصتنا) هذه الحوادث الجلى وجسيمات الامور وأهملنا ماهـــو رتيب معتاد من الامور الادارية ؛ لذا لم نشر اليه الا لماما . لكنه كان يقف بجانبي دوما يتصل لي تاريخ القبائل الماضي تفصيلا شأنه كشأن

تاريخ الافراد ، موردا السوابق القانونية المتصلة بالدعاوى التي قد يتعذر لي أن أنظر فيها ، كما كان يطلعني على جميع الشائعات الاخيرة وهمسات الاسواق ، ويمد لي يد العون على وجه يوءدي الى رعاية مصالح الحكومة والخير العام للناس ، وهو ماكان يوءمن بـه أيمانـا صادقا . واعتاد على الاختلاف الي ومقابلتي ، كل يوم عادة ، ويكون ذلك بعيد وصولي مكتبي . وأذا مانجمت اضطرابات دأب على زيارتي جيئة وذهوبا ، وماله من فواق ، كل ساعتين او ثلاث ساعات وهو يحمل معلومات جديدة ومقترحات جديدة . وأعتاد على دعوتي مرة او مرتين كل شهر ، ودعوة الضباط البريطانيين الموجودين معي في اربيل الى الطعام في بيته ، ولا معدى عن أن يكون هناك كثيرون ممن تـراود مخيلاتهم ذكريات لاحبة عن مفاضلة ١٣ او ١٤ صنفا من اصناف الطعام المطهو جيدا ، والذي كان يدأب على تقديمه دوما . وبشأن صدقاني الاخرين فأن (القارىء) يعرفهم المعرفة الكافية الوافية . واعني بهم الروحانيين : ملا افندي والشيخ مصطفى افندي والهرم خورشيد اغا والشاب مشير ومصطفى اغا الكردى وهو من أراني من اخلاصه المجرد قدرا يفوق اخلاص كل أحد فيما خلا احمد افندي ، ثم (المطـران) وجميل اغا الكويسنجقي والمعمر عبد الله باشا والشيخ محمد اغا من باليك واخيرا ميراني قادر بك الشقلاوي « هنري الثامن » (١)، وأني لا اتحسس بأزائه بالصداقة التي كنت أتحسس بها قبل مروقه . وعلى الرغم من أن هذه الشخصيات بعيدة عني اليوم جدا ، لكـنها مازالت تتراءى حاضرة في مخيلتي جميعا . وأني لاشتاق الى أن اسأل كل واحد منهم كيف هو الان ومنذ ان رأيته آخر مرة .

ولا أستطيع أن أمضي في هذا من غير أن أذكر السيد علي افندي ، ذا القلب الشجاع ، قلب الاسد ، وهو على الرغم من أنه عربي سوري ،

---

(١) لعل وجه الشبه البدانة التي كانت ميسم الاثنين . (المترجم)

لا ناقة له في هذا البلاد ولا جمل ، (كذا : المترجم) وأنه متفتح بخاصة الى تأثير الدعاية البريطانية . خدم (الحكومة) بأخلاص مابعده من أخلاص ، وفي ظروف عديدة كاد يضحي حياته فيها لأجلها .

وبشأن مستقبل (كردستان) ليس من وكد هذا (الكاتب) ولا في (كتابه) مجال ابحث مستقبل (كردستان) . ومهما يكن الأمر ، من المستحيل أن يمسك القلم عن ذكر مثل هذا : لو سحبت السيطرة البريطانية ، من غير سيطرة تركية او سيطرة من حكومة خارجية شبيهة بها تحل محلها لتخبطت البلاد في لجة من حال فوضى الى أبعد مدى . وعلى الرغم من هذا الثابت المقبول واعني به : أن الاعتبارات المالية لاتجود بشيء ما بالنسبة للانسحاب ، وليست هي عنه بديل ، فأن من العسير أن يذهب المرء الى أننا وقد جئنا للاغاثة من المضطهدين ، وللاتيان بفوائد الحكومة الصالحة ومنافعها فأننا سنتخلى بسفالة عن قصدنا ، تاركين الاهلين من غير راع يرعاهم ، وهم اناس وضعوا الثقة فينا ، ليجهز عليهم عن سبيل النيران الملتهمة الممثلة بالثارات القبلية والفتن الاهلية . (كذا : المترجم) [٢] .

أما وأن (الكاتب) يروي تجاربه الشخصية لذا فأنه يضطر اسفا الى أهمال ذكر الفعال الرائعة التي قام بها (مساعدو الحكم السياسي) الذين خدموا معه ، او خدموا في المناطق الادارية . لم يذكر أي شهر عن أشهر القلق التي مرت على النقيب كيرك في رواندوز وباطاس الا قليلا ،كما يذكر أي شيء عما عاناه من مشقات تنوء تحت وقعها الجبال الراسيات في عقرة حين دهمتها الا (سورجي) واحتلت الجانب الاكبر منها منها . وكان في حكم المستحيل ايراد تفصيلات تتصل بأدارة النقيب رندل في (كوي) حين كان يشغل منصب (مساعد الحاكم

---

(٢) ان في مقدور أهل العراق عربهم واكرادهم وتركمانهم .. التعايش السلمي واقامة دولة تنعم بالاستقرار التقدمي بمجرد ان يوقف الاستعباد عن مكائده ودسائسه . (المترجم)

السياسي) فيها من أيار سنة ١٩١٩ الى ايار سنة ١٩٢٠ وهو يعاني طوال الوقت من المرض او من القلق الذي جَبَهَه وجبه النقيب باركر ، أيام ثورة الشيخ محمود . لقد ساعد على ادارة اربيل ثلاثة ضباط هم : الملازم كيرتن والنقيب برادشو والنقيب ديكينس ومن العسير أن يزجى الثناء الكافي الوافي على النشاط والحكمة اللذين بذلوهما في تصريف واجباتهم . وحل النقيب برادشو محل النقيب رندل في (كوي) حيث ، على ماذكرنا انفا ، كان عليه أن يعالج وضعا عسيرا نجم عن وفاة حمه اغا ومروق ال (خوشناو) . أما عن (النقيب ليتلديل) فلم يبق الا القليل يضاف الى ماذكر عنه انفا ، ذلك ان فعاله التي وصفت كافية وافية لاثبات قيمته . أنه من اشجع الرجال الذين عرفهم (كاتب السطور هذه) في حياته طرا ، وانه لينبوع من النشاط الجم ، تجلى خلال الايام الشداد التي مرت على اربيل . وكان يساعده على عمله بكفاية اولئك الدرك وكانوا بأمرة الملازم بارلو اولا عندما اصبحوا قوة مستقلة ، ثم تولى امرتهم النقيب هيجنس والملازم بوا على التوالي.

يتضاف الى ذلك كله العمل الذي جرى في اربيل في الميادين الطبية والتربوية والخدمات المماثلة . لقد ادخل (النقيب ويليمس) الذي وصل الى اربيل باعداده ضابطا طبيا ، في اذار سنة ١٩٢٠ ، وبعون من طبيب عربي ، تحسينات جمة في المستشفى الذي كان قائما . كان يعالج أعدادا كبيرة من الفقراء مجانا وفي كل يوم . على حين أخذ أبناء العشائر يتقاطرون بكثرة من القرى المجاورة ، لذلك كان عمله في التخفيف عما يعانيه المصابون منهم بأمراض ذا قيمة سياسية[٣] .

وقام الموظفون البريطانيون الصغار (غير المسجلين في سجل الجريدة الرسمية) ، والموظفون الهنود بعمل طيب ايضا . ذلك أن (مستر جي او . ترنر) أمضى كثيرا من الشهور المرهقة يحاول تنظيم (دائرة المالية والمكس ال « كمرك ») ، على حين كان (مستر . سي . براون)

---

(٣) الناحية السياسية هي اول والطبية لها المقام الثاني . (المترجم)

يضطلع بالتبعة الرئيسة في تصريف أمور (مقر اللواء (المحافظة) العام) في أربيل ، ولقد تجلت أبان ذلك شخصيته الرائعة عن سبيل اداء واجبه . وكان يساعد (النقيب ليتلديل) بأقصى درجة من الكفاية[4] كل من رأسي العرفاء : كينارد وشيبارد وهما من كانا يعملان بأزاء الصعاب الكثار الثقال بهمة لاتعرف الكلل ولا الملل . ومرد كفاية شرطة البلدة ــ ولعلها أكفأ شرطة جندت محليا في اللواء (المحافظة) الى جهود (مستر اج . سي . روبنز) حصرا . أنه من قادهم طوال الوقت الذي كان (الكاتب) خلاله في اربيل . ومن بين الموظفين الهنود نذكر (مستر دلي جاند) وهو ذو كفاية عالية في شوءون الخزانة . ثم محمد صادق بات وهو من لازم وظيفته في (كوي) عندما كانت الامور على أشد ماتكون حلوكة ، أنه ليستأهل ذكرا خاصا .

وما كان ثمة مجال نصف فيه عمل الحكام السياسين في المناطق الادارية المتاخمة من أمثال العقيد نالدر ، وهو من كان يبذر الشقاق بحذق ومهارة بين صفوف قبيلة شمر القوية[5] ، وذلك كي يحول دون شنها هجمة على خطوط المواصلات بين بغداد والموصل ، عندما كان الوضع على اشد مايكون سوءا . ثم (الرائد لونكريك) وهو من رفض أن يساق الى اتخاذ أجراء معجل تدفعه اليه الخطب الثائرة التي كان يلقيها الكركوكليون ، وأستطاع بشجاعة أن يعيد النظام الى حاله في طول منطقته وعرضها تساعده على ذلك حفنة من العسكر . ثم (الرائد سون) وهو من أستطاع الحفاظ على تماسك الجبال الموحشة في منطقة السليمانية .

كان هدف (الكاتب) أن يهيء بسبيل هذه الصفحات نموذجا صيغ من تجاربه الخاصة باعتداده ضابطا في (الدائرة السياسية) في بلاد

---

(٤) كفاية لا لكفاءة لأن الكفاية هي القدرة والكفاءة هي المساواة

(المترجم)

(٥) عملا بالقاعدة الذهبية (فرّق تسد) .

(المترجم)

مابين النهرين . ولامعدى عن أن يكون هناك كثير من أعضاء (الادارة المدنية) فيتلكم البلاد لو صرفوا أقلامهم لاستطاعوا أن يقصوا اروع القصص المتصلة بمغامراتهم ، وبشكل يفوق ماقدر له منها . كان كلهم ، او كلهم تقريبا ، ملهمين في اعمالهم بتلك الروح الكبيرة التي أتسم بها (سر . ارنلد . ويلسون) ، وهو من كان يبدي لكل واحد من ضباطه أحتراما شخصيا وتقديرا ، ويشجعهم باعتداده مثالا يحتذى ، ويبدي لهم نصحا ، ولا يتدخل في اتخاذهم المبادأة ، وأن تدخل فذلك على الندرى . وفي أشد الايام حلوكة ، وفي سنة ١٦٢٠ ، لم يعمد أحد الى الجأر بالشكوى من حاله ، أذ كان يرى (رئيسه) ملازما مقره وظيفته ثابتا ، لايعرف الخوار ابدا . وأن كان يمنى بالاسى عند النهايات المفجعة لكثيرين منهم وهم من كانوا يكلف بهم كلفه بأطفاله دوما ، او عندما كانت تنثال عليه الانتقادات الضارية من اناس في (وطننا) لايعرفون عن بلاد مابين النهرين الا قليلا ، وعن اعماله الا اقل من هذا .

أن المراد من مثل هذا الجهد المتواضع ، بخاصته ، هو في أحياءذكرى اولئك الضباط البريطانيين والموظفين ، (غير المسجلين في الجريدة الرسمية) ، الذين خدموا في بلادما بين النهرين ، وعلى الخصوص في كردستان ، والذين جادوا بأنفسهم في سبيل خدمة بلادهم والناس الذين اوكلت اليهم مهمة العناية بهم . أن كثيرا من تجاربهم مقبورة معهم ، لاريب في ذلك ، وأن (الكاتب) ليأمل بأن ذوي قرباهم وصدقائهم سيجدون في (قصته) هذه صدى امالهم ومطامحهم ، ومراة تعكس مساعيهم ومغامراتهم اليومية .

كان أول من لاقى حتفه في كردستان هو : (النقيب سي . بيرسن) مساعد الحاكم السياسي في عقرة ، وقد جاء مقتله في نيسان سنة ١٩١٩ وهو يتجول بحماس المبشر من غير سلاح بين قبائل معادية خارجة عن القانون . وهلك العرف ميتون في اوائل تموز في اربيل على ماذكرناه

في مطلع (قصتنا) هذه . ثم جاءت ، في أواخر الشهر ، ثورة العمادية ، حين هوجم كل من النقيب ويلي المعين حديثا مساعد للحاكم السياسي ، والنقيب مكدونلد الضابط المكلف بشؤون الدرك ، والعريف تروب، وهم نيام على سطح بيتهم ، وقتلوا جميعا . وفي اوائل تشرين الثاني قتل غيلة كل من مستر بل (من موظفي الخدمة المدنية الهندية) والحاكم السياسي في الموصل ، وهو رجل اكسبه عمله في الحد الشمالي ــ الغربي للهند وفي الخليج الفارسي ــ بالاحرى العربي : المترجم) ناموسا رفيعا ، والنقيب سكوت المعين اخيرا مساعدا للحاكم السياسي في عقرة . وكان مقتلهما على يد مضيفيهم الزيباريين في (بيره‌كبره) . وبعد اسابيع قليلة مات النقيب ووكر ، ولعله اكثر الضباط الاحداث المنتسبين الى (الادارة المدنية) ألمعية ، وكان هذا الضابط قد اصبح للنقيب سكوت في عقرة خلفا . وسبب وفاته ، وهو في ٣٢ من عمره ، أصابته بذات الجنب ابان الحركات التي شنت أزاء القبائل التي قتلت مستر بل وسلفه . وفي حزيران من سنة ١٩٢٠ هاجمت قوة من العرب ووكر ومستر لولر ، وكانوا قد تجمعوا لمقاومتها على سطح دوائر الحكومة[٦] . وفي اثناء زيارة الرائد جي . اى . بارلو ، مساعد الحاكم السياسي فيها لرئيس قرية مجاورة اسّره مضيفه هذا ورمي بالرصاص ، بعد ذلك وهو يحاول الفرار . واخيرا ، في آب ، القي القبض على النقيب سامون مساعد الحاكم السياسي في كفري ، وكان ذلك على يد جماعة من الاكراد القبائليين سبق لهم ان حازوا على مقره ، ثم لقي حتفه قتلا وثأرا من محاولات الجهة العسكرية التي انصبت على استرجاع البليدة .

وهلك كثيرون ايضا ، ابان الثورة العربية التي اندلعت على الفرات وفي منطقة بعقوبة . ويأتي في بمقدمة هؤلاء : العقيد جي . بي . لجمن وهو من كان حاكما سياسيا على الموصل في تشرين الثاني

(٦) راجع كتابنا المترجم (ثورة العراق سنة ١٩٢٠) ص ٥٧ .

(المترجم)

١٩١٨ حتى تشرين الاول سنة ١٩١٩ . لقد زار في مطلع آب الشيخ ضاري (رح : المترجم) الزوبعي ، وزوبع عشيرة تسكن بين بغداد والفرات ، محاولا حمله على الحفاظ على الولاء الذى كان يلتزم به حتى هذا الاوان . واثر حوار طويل رمي بالرصاص من خلف من قبل أبن مضيفه ، وهو يهم بمغادرة الخيمة . أنه كيد لا نظير له في قصة بلاد ما بين النهرين الملطخة بالدماء[٧] . وكان لجمن ذو شخصية رائعة، وقد توافرت في محياه ، وفي سلوكه في الحياة ، صفات تشبه صفات زعيم بدوى يسكن الصحراء (كذا ! المترجم) . وعلى الرغم من انه ذن سريع الاهتياج ، سليط اللسان ، لكنه كان محبوبا من ممّن خدموا في أمرته جميعا . وقليل هم الذين كانوا يحجمون عن أقتحام نيران لظى ، أن أصدر لهم أمرا . (كذا : المترجم) .

فالي ارواح هوءلاء الرجال البواسل ، والى اجداثهم الفانيةالمقبورة اشتاتا تحت رمال الصحارى العربية وتربة وديان كردستان الصغيرة المزهرة : أزجي (للكاتب) تحية الوداع ! . وأني لفخور بأن يكون من احاد الضباط الذين خدموا بأمرة سرارنلد ويلسون (الحاكم الملكي البريطاني العام ابان عهد الاحتلال : المترجم) في بلاد مابين النهرين ، وأني لأزهو مستعيرا كلمات بولص الرسول ، بفعالهم التي رعت مصالح بلادهم والمجتمعات التي نيط امرها بهم : « في طوافهم غالبا ، وبين مخاطر الامور ، وخلل أهوال تجيء على أيدي السراق ، وفي نوازل المدينة ، وفي فاجئات البرية ، وفي خضم الرهق والالام ، وفي التربص الدائب ، وبين انياب الجوع ، ولدى الظمأ ، وعندالصوم غالبا ، وعند التعرض للبرد والعراء . »

---

(٧) راجع كتابنا المترجم (ثورة العراق سنة ١٩٢٠) ص ٢٢٥ . (المترجم)

الملحق الثالث

النظام الاداري في الانبراطورية العثمانية

تنقسم الانبراطورية العثمانية الى عدد من الولايات المستقلة ، يدير كل ولاية منها : (وال) مسؤول تجاه القسطنطينية رأسا • وكانت بلاد مابين النهرين او العراق تتألف قبل الحرب من ثلاث ولايات هي : الموصل وبغداد والبصرة • والولايات هذه تنقسم الى (الوية) تقابل (الاقسام الادارية) تحت الادارة البريطانية لبلاد مابين النهريـن • ورأس (اللواء) يدعى (المتصرف) • واللواء ينقسم بدوره الـى أقضية ، ورأس القضاء هو (القائمقام) • وأصغر وحدة ادارية هـي (الناحية) ويرأسها (مدير) وهذا يتعامل مع الاهلين بواسطةرؤساء العشائر ومختاري القرى • وعلى الرغم من أن لل (مدير) صلاحيات قضائية ، الا أنه لايزيد عن كونه موظفا ماليا الا قليلا • أن السلطة التنفيذية مناطة بالقائمقام ، وهذا يقابل مساعد الحاكم السياسي في الحكم البريطاني •

من التناقض الغريب أن يقوم ضابط كبير بواجبات ضابط صغير ، بالنسبة لمقره الحق • فعلى سبيل المثال يقوم الوالي بواجب المتصرف والقائمقام والمدير بالنسبة للواء والقضاء والناحية في مقره العام •

وتساعد القائمقامين وكبار موظفيهم عادة مجالس الوجهاء ، وهذا ، قبل الاحتلال البريطاني لم يكن لو قول ، او لعل له القليل منه ، بقدر تعلق الامر بحكم البلاد •

وجل البليدات التي تبلغ عدة نفوسها ٣٠٠٠ نسمة وزيادة لهـا (بلدية) يرصد لها واردات خاصة • والمجلس البلدي ينتخب لمدة أربع سنوات ويجري انتخابه من قبل الاهلين، ومالكو البيوت الذكور الذين يتسمون بصفات معينة لهم حق انتخابه • والمجلس ينتخب

جملة ، ومن يحرز اكثر الاصوات يصبح ، بموافقة الحاكم البلـــدي (المحلي) : رئيسا للبلدية ، وتستطيل مدة رآسته اربع سنوات . ان القائمقام او أي موظف كبير هو المشرف على شوءون البلدية ويدقق مصروفاتها .

ليس من الحتم اللازم ايضاح أمر النظام القضائي تفصيـلا . فبالاضافة الى المحاكم الجزائية والمدنية توجد المحاكم الشرعية ، يرأس الواحدة منها (قاض) يقضي في أمور الزواج والطلاق والارث الخ . . . وذلك كله على وفق احكام الشريعة . فان كان في مقر البلدة سكان قليلون عددا نيطت بالقاضي صلاحيات جزائية ومدنية محـــدودة .

وبالاضافة الى (القاضي) يوجد في مركز كل قضاء (المفتـي) ، وهو موظف ديني واجبه اصدار الفتاوي المتصلـة بتفسير نقاط في الشريعة المحمدية (بالاحرى الشريعة الاسلامية السمحة : المترجم) والاعلان مبدأ شهر الصيام والعيدين الكبيرين . (يريد عيد الفطر المبارك وعيد الاضحى المبارك : المترجم) .

الملحق الرابع

خلاصة الوقائع التي شهدتها بلاد ما بين النهرين من (الهدنة) حتى نهاية سنة ١٩٢٠

١٩١٨ ، تشرين الاول – كانون الاول :

أحتلال مدينة الموصل ، وولاية الموصل كلها ، بموجب شروط (الهدنة) • محاولة تشكيل لواء (السليمانية) مضافا اليه اقضية : كوي ، رانية ، وراوندوز لاعقامة دولة كردية ، يكون الشيخ محمود (حكمدار : حاكما) عليها •

جرى أحتلال (دير الزور) على الفرات وتصريف شوءونها الاءدارية (ملحوظة : كانت دير الزور ، تحت حكم الاتراك ، مقر لواء مستقل يتخابر مع اصطنبول رأسا ، ولم يكن جزءاً من العراق •)

١٩١٩ ، نيسان

مقتل النقيب بيرسن ، مساعد الحاكم السياسي في زاخو ، على يد قبيلة كويان •

ايار

قيام الشيخ محمود بسجن جميع البريطانيين الموجودين في السليمانية واعلن استقلاله التام •

حزيران

قمعت ثورة السليمانية ، وألقي القبض على « مفجرها » ونفي •

تموز

مقتل النقيب ويلي ، مساعد الحاكم السياسي في العمادية ، ورفاقه . أتخاذ اجراءات تأديب بحق قاتليه وقبيلة ال (كويان)

تشرين الثاني

مقتل مستر بل ، حاكم الموصل السياسي والنقيب سكوت مساعد الحاكم السياسي في عقرة على يد الزيباريين والبارزانيين . الحركات بأزاء هاتين القبيلتين .

كانون الاول

هجمة عربية على دير الزور . اخلاء شطر دير الزور الخاضع للاحتلال البريطاني . استمرار الحركات ضد قبائل الفرات القاطنة غربي (هيت) عدة اسابيع .

١٩٢٠ ، كانون الثاني

بدء ثورة ال (سورجي) . هجمت القبيلة في نيسان على (عقرة) وجرت حركات ضدها .

ايار

تخريب القطار المسافر على خط بغداد ـ الشرقاط على يد العرب .

حزيران

الهجوم على (تلعفر) ومقتل الحاكم السياسي فيها (الرائد بارلو) ورفاقه . استرداد البليدة باجراآت عسكرية .

تموز

أبتداء الثورة العربية الكبرى على الفرات . أخلاء لواءالديوانية

وكربلاء • حاصرة القبائل الكوفة والسماوة ، بمن فيها من الضباط السياسيين والحاميات ، الهجوم على الحلة • تخريب اقسام وسيعة من سكة حديد البصرة ـ بغداد •

آب

أنتشار القلاقل والاضطرابات في شرقي دجلة واحتلال بعقوبا وكفري من قبل القبائل ، مقتل العقيد لجمن •

ايلول

أعادة النظام الى نصابه شرقي دجلة •
مغادرة العقيد سر • أ تي • ويلسون ، وهو من كان يشغل ، منذ سنة ١٩١٧ ، منصب (وكيل الحاكم الملكي البريطاني العام) • بغداد ، ووصول سر برسي كوكس بلادما بين النهرين بوصفه (مندوبا ساميا) •

ايلول ـ كانون الاول

القيام بحركات بأزاء قبائل الفرات ، أنقاذ الكوفة والسماوة وقمع (الثورة) •

تشرين الثاني

تشكيل حكومة عربية في بغداد •

فهرست

		صحيفة
مقدمة (الناشر)		٣
الفصل الثالث عشر	يوسف بك	٥
الفصل الرابع عشر	ثلاثة اشهر رخية	٢٧
الفصل الخامس عشر	زيارات : رواندوز والحد الفارسي	٤١
الفصل السادس عشر	نوري : عظيمان حان حينهما	٧٣
الفصل السابع عشر	بدء الاضطراب	٨٩
الفصل الثامن عشر	وانفجر الاعصار	١٢١
الفصل التاسع عشر	خورشيد آغا.. بئر بوعده	١٣٧
الفصل العشرون	معاودة البناء	١٦١
الفصل الحادي والعشرون	الخاتمة	١٧٣

ملاحيق الكتاب

الملحق الثالث	النظام الاداري في الانبراطورية العثمانية	١٨٣
الملحق الرابع	خلاصة الوقائع التي شهدتها بلاد ما بين النهرين من (الهدنة) حتى نهاية سنة ١٩٢٠	١٨٥

ـ تصويبات واستدراكات

ـ آثار المترجم المطبوعة

تصويبات واستدراكات

السطر	الصحيفة	الخطأ	صوابه
٢	٦	تكمن خلقه	تكمن فى خلقه
٢٤	٣٦	مشـباط	شـباط
١٤	٤٥	العبـر	المعبـر
٢٤	٥٤	Rnunculus	Ranunculus
١٨	٥٥	لجائهـا	بمائهـا
٢	٥٦	لمعج	يتمعّج
١٨	٥٧	امـرؤا	أمـرؤ
٢١	٧٣	الموسـم	الموسـوم
١٥	٩٨	فـوى	قـوى
٨	١٠٥	الخبـز	الخبـر
٢٠	١٠٧	علق	على
٢	١١٢	اقضى	اقصى
٢١	١١٨	جنبا	جنبنا
١٢	١٢٢	بمـام	بمـا
٢١	١٢٢	ليتلديه	ليتلديل
٢٤	١٣٢	تشـيـد	تشـيـع
١٨	١٣٨	ابتاجـا	ابتهاجا
٧	١٤٠	ولمحت	وللمت
٩	٤٤	الي	اليّ
١٩	١٤٦	رحـل	رجل
٩	١٥٢	الجميـع	الجمـع

٢٦	١٥٢	الوتوق	الولوق
٣	١٥٧	نشــق	نشــفق
٢٦	١٦٢	أ	اي
٥	١٦٥	سمسيدناني	شمسيدناني
٢	١٧١	رحــلة	رحلتــه
٢٢	١٧٢	أتناولـه	أتنــاوله
١٦	١٧٣	وشــبه	وشــبيه
١٨	١٧٦	شــهر	شيء
٢٤	١٧٨	لكفاءة	كفاءة

على الرغم مما بذلناه من عناية مستانية في مراجعة اخطاء طبع (تجارب الطبع) ـ وبالاسف ـ لامعدى من (مسرد) لها ولتصويباتها،وقد تكون في الكتاب غيرها ، غير خافية عن القاريء الكريم فمعــذرة .

آثار المرحوم (مترجم الكتاب) المطبوعة

١ ـ (مقالات واحاديث ج١) ط سنة ١٩٥٨ .. .. نافذ

٢ ـ (اصول ادارة الشرطة) ـ بالاشتراك مع المرحوم اسماعيل الراشد (طبعة اولى) سنة ١٩٥٧ .. .. نافذ

٣ ـ (اصول ادارة الشرطة) ـ (طبعة ثانية) سنة ١٩٥٨ .. .. نافذ

٤ ـ (حضارة العالم الجديد) ـ فصول تاريخية شارك في اعدادها ٦٠ استاذا جامعيا وعلما من الكتاب ط سنة ١٩٥٨ .. .. نافذ

٥ ـ (في بلاد الرافدين) صور وخواطر ط سنة ١٩٦١ ـ .. .. نافذ

٦ ـ (فن الدراسة) طبع في بيروت سنة ١٩٦١ .. .. نافذ

٧ ـ (بغداد .. مدينة السلام ج١) بالاشتراك مع المرحوم د.مصطفى جواد ط سنة ١٩٦٢ .. .. نافذ

٨ ـ (ثورة العراق سنة١٩٢٠) ط سنة ١٩٦٥ .. .. نافذ

٩ ـ (رحلات الى العراق ج١) ط سنة ١٩٦٥ .. .. نافذ

١٠ـ (بغداد ـ مدينة السلام ج٢) بالاشتراك مع المرحوم د.مصطفى جواد ط سنة١٩٦٧ .. .. نافذ

١١ـ (رحلات الى العراق ج٢) ط سنة ١٩٦٨ النسخ محدودة

١٢ـ (بلاد مابين النهرين بين ولاءين ج١) ط سنة ١٩٦٩ .. .. نافذ

١٣ـ (رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان ج١) ط سنة ١٩٧٠ .. .. نافذ

١٤ـ (بلاد مابين النهرين بين ولاءين ج٢) ط سنة ١٩٧١ النسخ محدودة

١٥ـ (رحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان ج٢) ط سنة ١٩٧٢ .. .. نافذ

١٦ـ (سنتان في كردستان ج١) ط سنة ١٩٧٣ النسخ محدودة

١٧ـ (سنتان في كردستان ج٢) ط سنة ١٩٧٣ الذي تحمله بيمينك ايها القارىء الكريم

ملحوظة ـ سنسعى الى اعداد كتاب (بلاد مابين النهرين بين ولاوين ج٣ و ج٤) وكتب مترجمة ومؤلفة اخرى للطبع باذن الله .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٣٢٣) لسنة ١٩٧٣

صــور وخارطــة

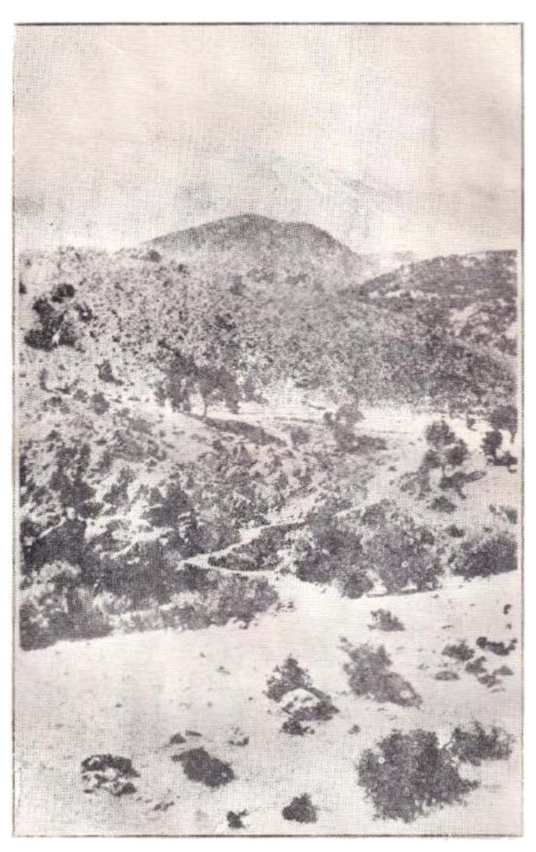
واردة في (الكتاب الاصــل)

ملحوظة :

ان الصــور الاخرى المضافة اريد بها توضــيح التعليقات لزيادة للفائدة العــامة .



السـر آرنولـد تالبوت ولســن



على طريق فارس
(منظر كولاداغ)



اطفـــال اكـراد



نسـاء كرديـات



اكـراد مـن منطقـة روانـدوز



نساء مسيحيات من (كوى)



(حمه آغا)
ينفث الدخان ليستسلم للرقاد

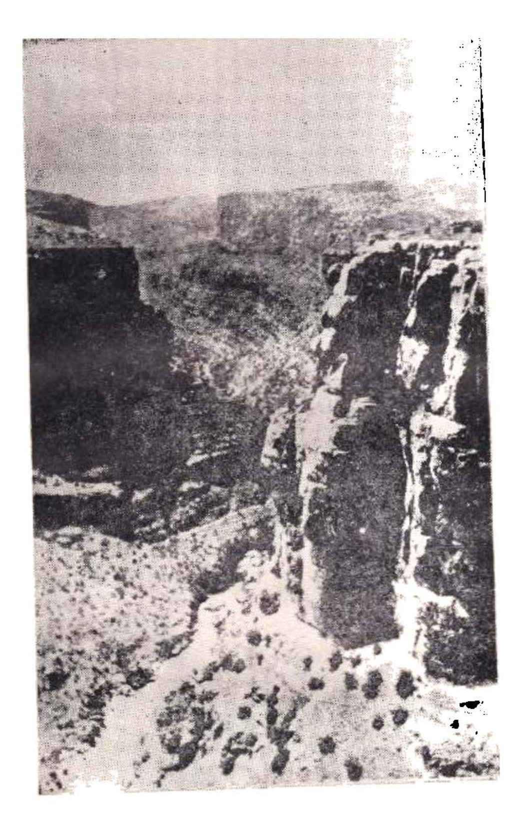
منظر (كوي)



مـلا (كـوي)



رؤســاء آل (خوشــناو)



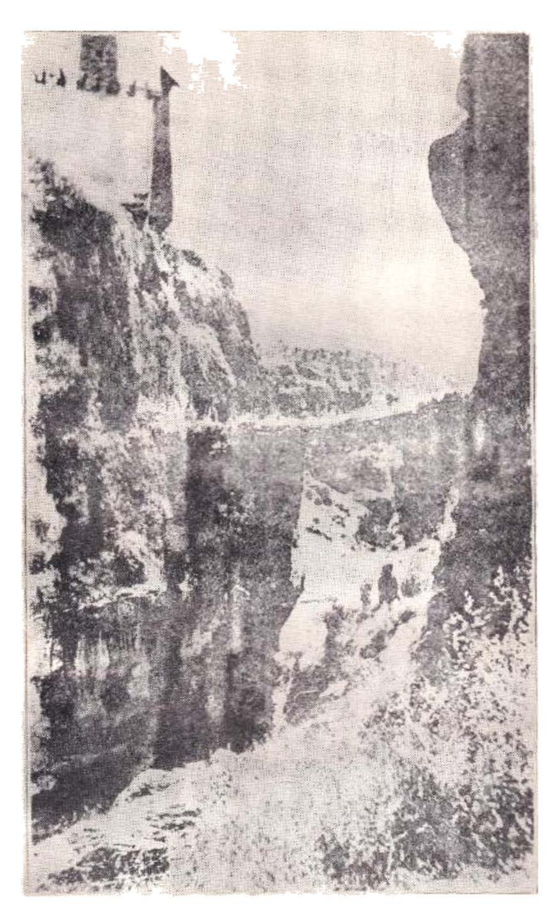
مضيـــق روانـــدوز



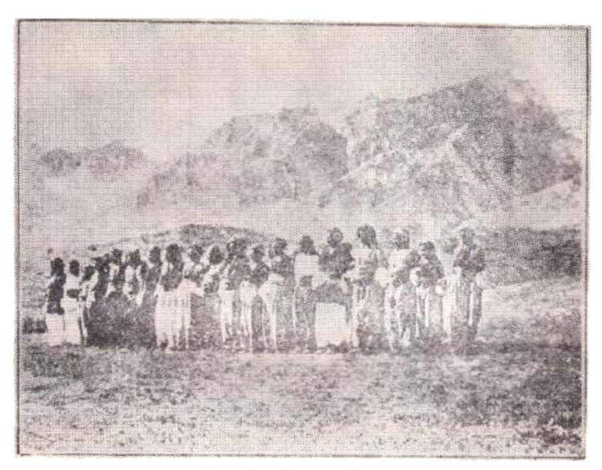
محمد على آغـا



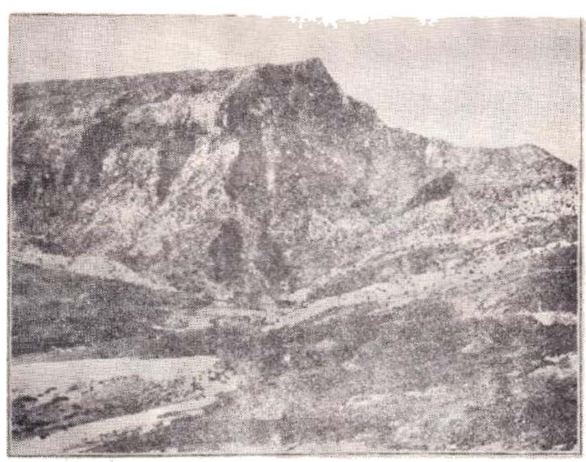
اسـماعيل بـك



الطريق الوحيـد الماد من الشمال الى روانـدوز



جندرمة رواندوز



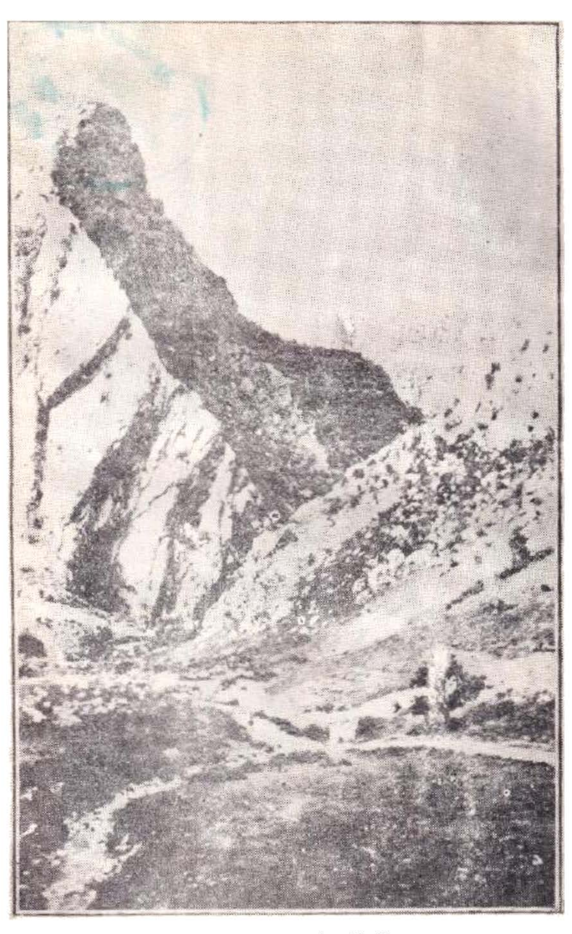
مضيق الزاب الاكبر في (بلودين)



محمد علي آغا والنقيب مارشـــل وخليفة الرشـــيد
(الربيـــع في زنديـــان)



اكويـــان



مدخل المضيق مـن جهة روانـدوز

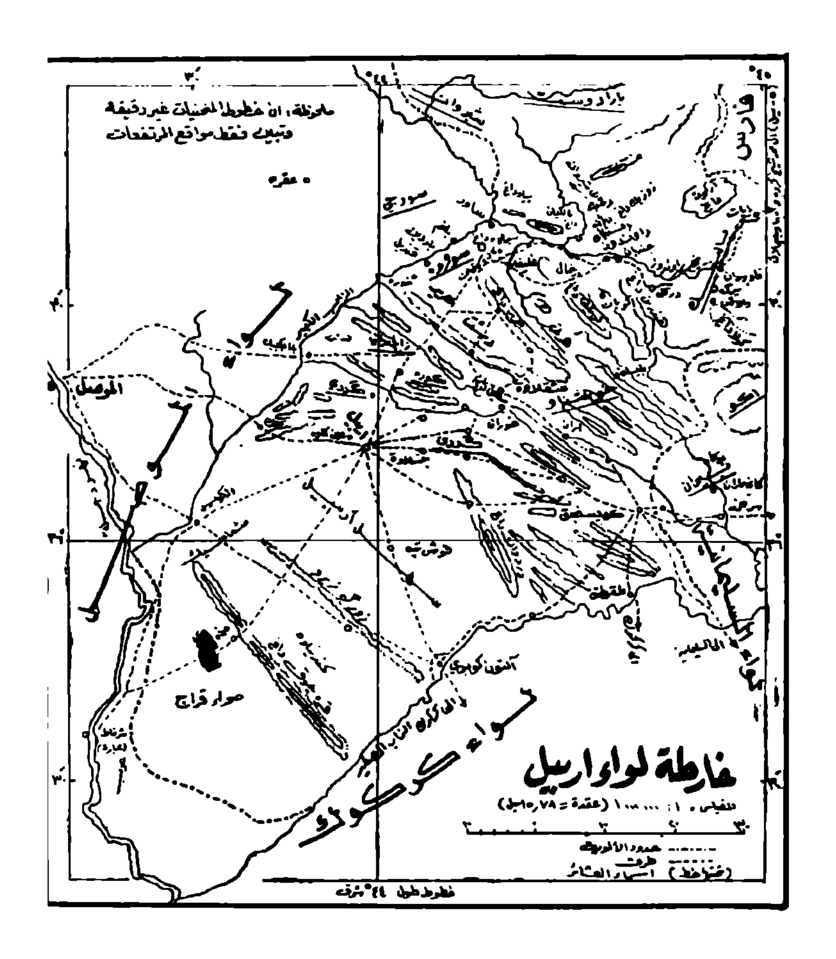
ملا حويز آغا من كوي



دولاب الهواء في كوي أثناء «العيد» سنة ١٩١٩



بقايا اسفل مدينة رواندوز


ملاحظة: ان خطوط المضيات غير دقيقة
وتبين فقط مواقع المرتفعات
عقره
الموصل
سوار قراج
آلتون كوبري
خارطة لواء اربيل
مقياس ١ : ١٠٠٠٠٠٠ (عقدة = ١٥,٧٨ ميل)
حدود الالوية
طرق
خطوط طول ٤٤° شرقي



يتبين في هذا الجزء من الكتاب أثر ثورة المواطنين الأكراد الكرام في الاحتلال البريطاني البغيض ، وكيف صيّروا رجاله (على مثل جمر الغضا في الضرم !) ، وزعزعوا كيانه على ما يشهد به المؤلف نفسه عياناً . لذلك كان هذا (الكتاب) كتاباً سيتاوه الأعقاب على توالي الأحقاب .

فؤاد جميل

رسم الغلاف بريشة الفنان غازي

~~٧٠~~ فلساً
٦٠

طبع الغلاف في مطبعة الزهراء - بغداد